جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين
(التفسير وعلوم القرآن)

سنة الله في التدافع بين الحق والباطل
- دراسة قرآنية -

إعداد الطالب
مرتضى محمد الزغارنة
(٢١٠١٩٠٦٦)

إشراف
فضيلة الدكتور /هارون كامل الشرباتي
الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

١٤٣٥هـ -٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : { وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [سورة البقرة: ٢٥١] .

قال تعالى :{وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [سورة الحج: ٤٠].

نوقشت هذه الرسالة يوم السبت بتاريخ 2014/1/4م

الموافق 3/ ربيع أول/ 1435هـ

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
د. هارون كامل الشرباتي	مشرفاً ورئيساً	.....
د. عطية صدقي الأطرش	عضواً داخلياً	.....
د. إسماعيل أمين نواهضة	عضواً خارجياً	.....

الإهداء

** إلى صاحب الخلق العظيم ، النبي المرسل الصادق الوعد الأمين، الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد صلى الله عليه وسلم.

** إلى الّلذين ربياني ... أمي وأبي ...أمد اللهُ في عمرهما وأحسن لهما في الخاتمة.

** إلى التي شاطرتني العناء، زوجتي (أم مثنى)، وحملت معي هم دراستي وأكثرت لي من الدعاء

** إلى فلذات كبدي :(مثنى ، وفيحاء ، وريحان)... الذين أسأل الله تعالى لهم العناية والرعاية، وأن يزيدهم علمًا ونورًا وهداية.

** إلى إخواني وأخواتي الأعزاء – حفظهم الله جميعاً.

** إلى كل من جمعتني بهم لحظة وداد ، وأحببتهم في الله.

** إلى الشهداء الأبرار، والمجاهدين الأخيار ، الذين أبوا الذلة والصغار.

** إلى الأسرى البواسل والجرحى الأطهار.

**إلى العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين ، وطلاب العلم المجتهدين.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع ، راجياً العلي القدير أن ينفع به ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

امتثالاً لقول الله تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٧﴾} [سورة إبراهيم:٧] ،أتوجه إلى الله - سبحانه وتعالى - بالحمد والشكر والثناء على ما أنعم عليّ من إتمام هذه الرسالة ،وأسأله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ،وانطلاقاً من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((من لا يشكُر النَّاس لا يشكر الله))(١). واعترافاً منِّي لأهل الفضل بفضلهم فإنني أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث، كما أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور /هارون كامل الشرباتي، المشرف على هذه الرسالة، على جهوده التي بذلها في التوجيه والإشراف، وإبداء التوجيهات والملاحظات الدقيقة والقيّمة .

فجزاه الله خير الجزاء، ونفع به وبعلمه، سائلاً المولى عز وجل أن يكرمه ويحفظه ويمنّ عليه بدوام الصحة والعافية.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين، عضويّ لجنة المناقشة:

الدكتور : إسماعيل أمين نواهضة حفظه الله.

والدكتور : عطية صدقي الأطرش حفظه الله.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما سيقدمانه لي من توجيهات ونصائح سيكون لها أكبر الأثر في إثراء هذه الرسالة والارتقاء بها، وأسأله سبحانه أن ينفعني بملاحظاتهما التي يبديانها لإثراء هذا البحث ؛ حتى يخرج إلى النور بأفضل صورة وأبهى حلة ، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

---

(١)أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، (٦٧١/٢)، حديث رقم (٤٨١١).سنن أبي داود،سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي(ت:٢٧٥هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الفكر. والترمذي في جامعه ، كتاب الأطعمة،باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ،(٣٣٩/٤)،حديث رقم (١٩٥٤). الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ) ، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،دار إحياء التراث العربي - بيروت.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر، إلى جامعتي جامعة الخليل، ممثلة برئيس وأعضاء مجلس الأمناء،ورئيس الجامعة والعمداء والمدرسين كافة، وأخص منهم أساتذتي في كلية الشريعة، عمادة وأساتذة ومحاضرين كرام .وعمادة كلية الدراسات العليا.

كما أتوجه بالشكر لكل من ساعدني، أو أسدى إليّ بنصيحة ولم أذكُره باسمهِ ويكفيه أن الله ﷻ يذكره.

وأخيرًا أسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُنَّة الله في التدافع بين الحق والباطل ـ دراسة قرآنية ـ

إعداد

الطالب : مرتضى محمد الزغارنة

إشراف

الدكتور هارون كامل الشرباتي ـ حفظه الله ـ

الملخص

جاء هذا البحث في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، تحدثت في الفصل الأول عن معنى السنن الإلهية لغة واصطلاحاً، وأهمية دراسة هذه السنن، ، ثم بينت مميزات سنن الله وخصائصها.

وفي الفصل الثاني :تناولت فيه معنى الحق والباطل في اللغة والاصطلاح، ثم جاء الحديث عن طبيعة العلاقة بين الحق والباطل ، ذكرت في هذا المبحث بعض الأمثال القرآنية التي ضربها الله ـ عزّ وجلّ ـ لكل من الحق والباطل، ثم بينت أنّ الصراع بين الحق والباطل هو صراع عقدي قديم.

وفي الفصل الثالث :تناولت فيه بعض صفات أهل الحق وأهمها، وفي المبحث الثاني كان الحديث عن المنكرين لدعوة الحق وهم المشركون والمنافقون واليهود والنصارى.

أما الفصل الرابع :فقد بينت فيه ماهية التدافع من حيث معناه وآثاره وملامحه ،وفي المبحث الثاني ذكرت بعض أسباب التدافع بين الحق والباطل.

وفي الفصل الخامس والأخير : بينتُ أسباب النصر في المبحث الأول، ثم انتقلت في المبحث الثاني للحديث عن معوقات النصر (أسباب الهزيمة) ، ثمّ ختمت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، قائد الغرّ المحجلين،أما بعد:

فإنّ المتدبر في آيات الله القرآنية والكونية يجد أنّ هذا العالم الفسيح الذي خلقه الله ﷻ بكل ما فيه ، يخضع لنظام دقيق وقانون ثابت لا يتغير ولا يتبدل ، قدّره الخالق ﷻ لهذا الكون ، فما يحدث فيه لا يقع صدفة ، وإنما هو قدرٌ مقدور ، قال تعالى :{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾} [سورة الفرقان ٢٥/ :٢] . هذا القانون هو قانون السنن الإلهية ، الذي تسير المخلوقات على وفقه ؛ لذا أكثر القرآن الكريم من الإشارة إلى مثل هذه السنن، ولفت الانتباه إليها ،وهي جديرة بالدراسة والفهم ، بل إن دراستها وفهمها من الأمور التي لا بدّ أن يعيها المسلم جيداً ؛ لأن المسلم مأمور بإعمال عقله فيما خلق له من النظر والتأمل في آيات الله المبثوثة في هذا الكون ، الذي استخلفه الله فيه.

ومن هذه السنن الجديرة بالدراسة والبحث سنة التدافع بين الحق والباطل ؛ لما في إيضاح جوانبها من رفعٍ لمعنويات المسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها ، وبثٍ للأمل والتفاؤل في نفوسهم ،بأنّ الله ﷻ ناصرهم لا محالة ، ولن يخذلهم أبداً، وخاصة بعد أن تكالبت عليهم الأمم،وذلك يعني استعادة دورهم في الريادة، كما أنّ دراسة هذه السنة يبين لنا طبيعة العلاقة بين المسلمين وأعدائهم ، وما هي الضوابط والوسائل في التعامل معهم ؛ حتى لا يخلط عوام المسلمين بين العدو والصديق والغث والسمين .

فالله ﷻ - بعلمه الشامل ، وحكمته البالغة - قدّر وقضى أن يكون الصراع بين الحق والباطل موجوداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما أنّ علينا أن ندرك طبيعة هذا الصراع ، وأنّه مستمر إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى : { وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ }[سورة البقرة ٢/ :٢١٧]

وعلى ضوء ذلك سأستعرض بعض الآيات القرآنية التي أشارت إلى سنة التدافع بين الحق والباطل ،سواء بالإشارة أو بصريح العبارة ، وأقوم بدراستها دراسة موضوعية ، مع الربط بين هذه السنة، وبعض سنن الله الأخرى ، وإسقاطها على الواقع الذي تحياه الأمة.

أولا : أسباب اختيار هذا البحث:

١-الرغبة في خدمة كتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والتبحر فيه ؛ لأن عجائبه لا تنقضي ولا يخلق على كثرة الرد .

٢- محاولة فهم الواقع الذي نعيش في ضوء السنن والقوانين التي وضعها الخالق - سبحانه وتعالى .

٣- الرغبة في خدمة الأمة الإسلامية من خلال استنهاض طاقات الأمة وبعث الأمل في النفوس في زمن أصاب فيه الإحباط الكثير من أبناء المسلمين.

٤-الحديث عن سنة التدافع يبرز قدرة المسلمين على تغيير الواقع .

ثانياً :أهمية البحث:

إن الوقوف مع سنن الله - عزّ وجل - وبالذات سنة التدافع لمن الواجبات التي ينبغي لأهل الحق أن يلموا بها ويعرفوها لأسباب:

١- الاستفادة منها في تفسير الأحداث والمستجدات .

٢- فقه السنن والعمل بمقتضاها يجعل المسلم يتعامل مع الأحداث وفق منهج الله - عزّ وجلّ -

٣- فقه السنن يعين العبد الذي ينشد الحقيقة والخيرية للوصول إلى أهدافه وغاياته،وتحقق له الطمأنينة والأمن في هذه الحياة ، وما بعد هذه الحياة

٤- غياب فقه السنن ، وبخاصة سنة التدافع يقود إلى الفوضى ، والحيرة والاضطراب، واليأس والقنوط .

ثالثاً : أهداف البحث :

١- بيان المقصود بالسنة الإلهية وأهميتها وذكر أهم خصائصها .

٢ -بيان المقصود بالحق والباطل، وتحديد طبيعة العلاقة بينهما .

٣ -الحديث عن صفات أهل الحق والمنكرين له ودراسة ذلك دراسة تفصيلية .

٤-الحديث عن سنة التدافع بين الحق والباطل وبيان ماهيته وأسبابه.

٥- الحديث عن أسباب النصر والهزيمة.

رابعاً: الجهود والدراسات السابقة :

لا بد من الإشارة إلى الجهود والدراسات السابقة التي بذلت في موضوع الصراع بين الحق والباطل ومهدت الطريق ، وكشفت أبعاداً مهمة حول قضايا النصر والهزيمة ومن أبرزها :

١- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، للدكتور عبد الكريم زيدان . والكتاب على روعته وعظمته تناول عدداً من السنن الربانية ولم يتعرض بتفصيل كاف

للحديث عن السنن وطبيعتها وخصائصها وحجمها، وكيفية التعامل معها . كما تناول الكاتب سنن الله المتعلقة بسلوك البشر وأفعالهم في الدنيا وما يترتب عليها من نتائج في الدنيا والآخرة مثل :سنن الله في الأسباب والمسببات ، سنن الله في الهدى والضلال ،سنن الله في الابتلاء ، سنن الله في الظلم والظالمين ، سنن الله في الرزق ،ومنها سنن الله في التدافع بين الحق والباطل .

٢- الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف ، لعادل محمد صالح ، وهي رسالة علمية قدمت في جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، نوقشت عام ١٤٠٩هـ، نال بها الباحث درجة الماجستير. تتبع فيها صور الصراع بين الأنبياء وأقوامهم كما جاءت في سورة الأعراف ، فبدأ بصراع آدم ﷺ مع إبليس ، وانتهى بصراع نبينا ﷺ مع قومه ، ثم عرج على نظرة الفلاسفة في العصر الحاضر للصراع .

٣- أسباب النصر والهزيمة في ضوء القرآن لعبد الله إبراهيم المغلاج. بحث مشارك في الملتقى القرآني الدولي المصاحب لجائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن الكريم للعسكريين الرابعة - الرياض ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٤- رسالة ماجستير بعنوان سنة التدافع بين الحق والباطل - دراسة موضوعية - للطالب خالد موسى الزهراني ،جامعة أم القرى - مكة المكرمة،حيث جاءت هذه الرسالة في (خمسمائة وأربع وستون صفحة).

٥- سنة التدافع بين الحق والباطل ، للباحث كامل محمود الشرباتي، رسالة ماجستير - ماليزيا، ولم أطلع على الرسالة.

٦- سنة التدافع بين الحق والباطل ، للباحث محمد الصرايرة، رسالة ماجستير - الأردن، ولم أطلع عليها.

خامساً:منهج الباحث :

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي من خلال :

١-جمع الآيات التي ذكرت التدافع أو ألمحت إليه في القرآن الكريم .

٢-تصنيف وترتيب الآيات تصنيفاً موضوعياً حسب فصول ومباحث الخطة المقترحة .

٣-الرجوع إلى السنة النبوية ، معتمداً الصحيحين أولاً، ثم كتب الحديث المعتمدة الأخرى .

٤- دراسة الآيات بالرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة ، بعد جمعها واستقرائها ثم تحليلها والاستنباط منها ، في ضوء ما ذكر أئمة التفسير فيها .

٥- التعريف ببعض شخصيات البحث (ترجمة الأعلام المبهمة الواردة في البحث) .

٦- بيان معنى الكلمات الغريبة وذلك في الهامش .

٧- تذييل البحث بالفهارس الخاصة بموضوع الدراسة .

خامسا: محتوى البحث :

يتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ، وهي كالتالي :

المقدمة :وتتضمن أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه، والدراسات السابقة ، ومنهج الباحث .

الفصل الأول :- السنة الإلهية (تعريفها وأهميتها وخصائصها):-

المبحث الأول :تعريف السنة الإلهية لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : أهمية دراسة السنن الإلهية والسبيل إلى معرفتها.

المبحث الثالث : مميزات السنن الإلهية وخصائصها.

الفصل الثاني :الصراع بين الحق والباطل :-

المبحث الأول :التعريف بالحق والباطل.

المبحث الثاني :طبيعة العلاقة بين الحق والباطل :-

الفصل الثالث :- صفات أهل الحق ، وصفات المنكرين لدعوة الحق :-

المبحث الأول : صفات أهل الحق :-

المبحث الثاني :المنكرون لدعوة الحق

الفصل الرابع :- التدافع بين الحق والباطل (ماهيته وأسبابه) :-

المبحث الأول : ماهية التدافع بين الحق والباطل :-

المبحث الثاني :- أسباب التدافع بين الحق والباطل.

الفصل الخامس :- أسباب النصر ومعوقاته:-

المبحث الأول : من أهم أسباب النصر:

المبحث الثاني: معوقات النصر(أسباب الهزيمة):

الخاتمة :

وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على :-

١ ـفهرس الآيات القرآنية .

٢ ـفهرس الأحاديث النبوية .

٣ ـفهرس المراجع .

٤ ـفهرس الموضوعات

الفصل الأول

السنة الإلهية (تعريفها وأهميتها وخصائصها) وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:تعريف السنة الإلهية لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : أهمية دراسة السنن الإلهية والسبيل لمعرفتها.

المبحث الثالث : مميزات السنن الإلهية وخصائصها

المبحث الأول:تعريف السنة الإلهية لغة واصطلاحاً

المطلب الأول :مَفْهُوم السّنة فِي اللُّغَة

بعد الرجوع إلى معاجم اللغة تبين أن هناك عدة معان للفظة السنة، يمكن إجمالها على النحو الآتي :

١- سنّ الْحَدِيد :حدّده(١) ، وسنّ الْمَاء عَلَى وَجْهه :صبّه صبًّا سَهْلًا ،" وسنّ الأميرُ رعيته: أحسن سياستها، وسنّ فلان فلانًا أي مدحه وأطراه .وفرسٌ مسنونةٌ :متعهدة بحسن القيام عليها، وسنّ الله على يد فلان قضاءَ حاجتي :أجراه، واستنت الطريق : وضحت "(٢).

٢- والسّنة :الطريقة، يقال :سنّ سّنة حسنة :أي طريقة حسنة(٣) ، وسنّ الله سّنة أي طريقًا قويمًا ، وفي الحديث عن جرير(٤)ـ رضي الله عنه ـ عن النبيﷺ قال :"من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حَسَنةً فَلهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ من عَمِلَ بها بَعْدَهُ من غيْرِ أَنْ يَنْقصَ من أُجُورهِمْ شيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة سَيِّئَةً كان عليه وزْرُهَا وَوزْرُ من عَمِلَ بها من بَعْدِهِ من غيْرِ أَنْ يَنْقصَ من أَوْزَارهِمْ شَيْءٌ"(٥).

٣- ويطلق لفظ السّنة على الوجه والصورة(٦).

٤- والسّنة هي السيرة(٧).

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني ، الحسن بن محمد ، مفردات ألفاظ القرآن ، دار القلم ـ دمشق، (٥٠٤/١). الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة،طبعة :١٩٩١م، (٤٤٩/١).

(٢) الزمخشري ، أساس البلاغة ، (٤٤٩/١).

(٣) المرجع السابق .

(٤) هو جريْر بن عبْد الله بن جابر بن مالك البجلي ،منْ أعْيان الصحابة. حدّث عنه الكثيرون . بايع النبي -صلى الله عليْه وسلم- على النصْح لكل مسْلم. انظر : الذّهَبي ، أبوعبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء ،المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، (٤٦٣/٣).

(٥) مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٣٦١) ، صحيح مسلم ، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة،(٧٠٤/٢)، رقم الحديث (١٠١٧).

(٦) انظر: ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر – بيروت ط : الأولى ، (٢٢٠/١٣).

(٧) المرجع السابق ، (٢٢٠/١٣) .

المطلب الثاني :مفهوم السّنة الإلهية في الاصطلاح:

أثناء البحث في الكتب ذات الاختصاص للعلماء والمفسرين تبيّن أنّ السّنة في الاصطلاح لها عدّة تعريفات، منها:

١- وهي ما سّنه الله في الأمم المكذبة من وقائع(١).

٢- وسّنة الله تعالى قد تقال :لطريقة حكمته وطريقة طاعته(٢).

٣- وعرّفها الجرجاني(٣) قائلاً : "هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب"(٤) .

٤- والسنةُ :" هي الْعادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بِنظيره الأول؛ ولهذَا أَمر ﷻ بِالاعتبار وقال: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾}[سورة يوسف ١٢/: ١١١] ،والاعتبار أَن يقرن الشيءُ بِمثْله فيعلم أَنَّ حُكمَه مثل حكمِه "(٥).

٥- ويعرف سيد قطب(٦) السنن بأنّها :"النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين" (٧).

٦- فيما يرى الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، أن السنن الإلهية هي: "الطريقة المتبعة في معاملة الله ﷻ للبشر بناء على سلوكهم

---

(١) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب - الرياض، طبعة ١٤٢٣هـ،(٢١٦/٤). الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر – بيروت، (٣٨٣/١).

(٢) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، (٥٠٤/١).

(٣) الجرجاني :هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبارعلماء العربية (٧٤٠هـ - ٨١٦هـ)،له نحو خمسين مؤلفًا منها التعريفات .انظر : الزركلي ، خير الدين، الأعلام ، دار العلم للملايين – بيروت،ط١٥، ١٩٨٤،(٧/٥).

(٤)الجرجاني ،علي بن محمد بن ، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري،دار الكتاب العربي – بيروت ،(١٦١/١).

(٥)ابن تيمية ، تقي الدين أحمد (ت : ٧٢٨هـ) ، مجموع الفتاوى ، المحقق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية ، طبعة : ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م ، (١٣ /٢٠).

(٦) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية "موشا" في أسيوط.تخرج بكلية العلوم بالقاهرة سنة(١٩٣٤م). ألف كتباً عديدة، منها : كتابه المشهور معالم في الطريق، وتفسير الظلال،وقد حكم عليه بالإعدام في ١٩٦٦/٨/٢٩.(انظر : الزركلي، الأعلام ، (١٤٧/٣).

(٧) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ط : دار الشروق ، (٤٨٠/١).

وأفعالهم وموقفهم من شرع الله ﷻ وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"(١).

وقد أبدع صاحب المنار عندما ربط المادة اللغوية لكلمة "سنة " بالمعنى الدلالي لها عندما قال: " إنها الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة أو المثال المتبع، من قولهم: سنَّ الماء إذا وَالَى صبَّه، فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب، فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد"(٢). وهذا يدل على مدى ارتباط المعنى اللغوي للفظة مع معناها الاصطلاحي.

وقد أحسن الدكتور رمضان خميس القول عند تعريفه للسنة ، حيث قال: "السنة هي القانون الضابط المهيمن، والفعل النافذ الحاكم الذي يجري باطراد وثبات وعموم وشمول، مرتبًا على سلوك البشر"(٣).

ويمكن أن يُختار من بين التعريفات المتعددة للسنن بأنها: " منهج الله ﷻ في تسيير هذا الكون، وعمارته، وحكمه، وعادة الله ﷻ في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله "(٤).

ويتضح من هذا أن علماء اللغة وأهل التفسير توافقوا على أن السنة هي الطريقة، فإذا ما أضيف إليها لفظ الجلالة لتصبح سنة الله، صار معناها طريقة الله ﷻ، فسنة الله ﷻ أي " طريقته سبحانه في تسيير أمور الكون وفق قانون عام فيه معنى التماثل في النتائج إذا تماثلت المقدمات "(٥).

---

(١) زيدان ، عبد الكريم ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ،مؤسسة الرسالة، ط٣، ٢٠٠٢م، ص١٠.

(٢) انظر: رضا ، السيد محمد رشيد (ت ١٣٥٤هـ) ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط :١٩٩٠، (١١٥/٤)، بتصرف قليل.

(٣) زكي ، رمضان خميس ، مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم ،ص١٣.

(٤) الخطيب ، شريف ، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م، ص٢٧.

(٥) انظر: خصاونة ،عماد عبد الكريم ،السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، مجلة المنارة، المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني ، ٢٠٠٩م ، ص٢١٢ .

المطلب الثالث: السنة في القرآن الكريم:

وردت كلمة (سُنّة) في القرآن الكريم، ست عشرة مرة، في عشر آيات ، ضمن عشر سور من سور القرآن، وقد جاءت بصيغة المفرد (سُنَة) وصيغة الجمع (سُنَن) (١)،فجاء مفرداً في أربعة عشر موضعاً ، وجمعاً في موضعين، وجاء مضافاً إلى الله ﷻ في تسعة مواضع ، ومضافاً إلى الرسل عليهم السلام في موضع واحد ، ومضافاً إلى الأولين في أربعة مواضع، ومضافاً إلى الذين من قبل في موضع واحد، وجاء نكرة مجردة عن الإضافة في موضع واحد(٢) .

والسنة : وإن أضيفت إلى غير الله ﷻ في بعض النصوص ، فإنها لا تنفك عن كونها من خلق الله وإرادته وقدرته ﷻ ، قال العلامة الطاهر بن عاشور : (وإضافتها إلى الأولين باعتبار تعلقها بهم ،وإنما هي سنة الله فيهم ، والإضافة لأدنى ملابسة)(٣).

وفيما يأتي تعيين الآيات التي ورد فيها لفظ السنة وفق ترتيبها في القرآن الكريم، وهي :

١- قوله ﷻ في سورة آل عمران: {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾}

[سورة آل عمران ٣/:١٣٧-١٤١] .

والآيات الكريمة كما هو واضح من سياقها تدور حول الحديث عن التداول الحضاري والسنة الماضية في إصابة كل من الفريقين، حتى ينقي الله تعالى صف المؤمنين ويدحر فلول الكافرين، وفيها دعوة للمؤمنين إلى النظر في مآل المكذبين والتدبر في عاقبتهم، وفي هذا بيان لأمر الله الماضي في كونه وخلقه، وهذه حكمة الله الماضية في المداولة بين الكفر والإيمان لحكم يعلمها تعالى من تمحيص صفوف الإيمان ومحق جنود الكفر، والله غالب على أمره ولكن أكثر

---

(١) انظر: عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار المعرفة – بيروت ، ط٤ ،١٤١٤هـ ص٤٦٦.

(٢) الغلبزوري ، توفيق بن أحمد ، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم ، ص٤.

(٣) ابن عاشور ، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ) ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤ هـ ، (٢٥/١٤).

الناس لا يعلمون.

والسنن التي يشير إليها سياق الآيات ويوجه النظر إليها هي:

"بيان عاقبة المكذبين على مدار التاريخ، ومداولة الأيام بين الناس والأنبياء لتمحيص السرائر ، وامتحان قوة الصبر على الشدائد، واستحقاق النصر للصابرين والمحق للمكذبين"(١).

يقول الشهيد سيد قطب – رحمه الله -:"وفي هذه الآيات الكريمة إشارة إلى سنة الله الجارية في المكذبين، ليقول للمسلمين: إن انتصار المشركين في هذه المعركة ليس هو السنة الثابتة، إنما هو حادث عابر وراءه حكمة خاصة.. فالقرآن الكريم يرد المسلمين هنا إلى سنن الله في الأرض؛ يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها الأمور، فهم ليسوا بدعًا في الحياة فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافًا إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبدت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بأسباب النصر، وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ"(٢).

٢- وقوله ﷻ: {يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾} [سورة النساء ٤/:٢٦] . يعني: "طرائقهم الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها { وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ } أي من الإثم والمحارم، { وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } أي في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله"(٣).

٣- وقوله ﷻ : {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾} [سورة الأنفال ٨/:٣٨] .

يقول إمام المفسرين (الإمام الطبري) ، عند تفسيره للآية السابقة : (قل يا محمد لمشركي قومك: إن ينتهوا عمّا هم مقيمون عليه من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينيبوا إلى الإيمان يغفر الله ﷻ لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم

---

(١) الجريتلي ، أبو مريم محمد ، السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع ، موقع الألوكة.

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٥٠/١)، بتصرف يسير.

(٣) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، ط : الثانية ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩ م ، (٢٦٧/٢).

وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم، وإن يعودوا لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر ، فقد مضت سنتي في الأولين منهم ببدر ومن غيرهم من القرون الخالية؛ إذا طغوا وكذبوا رسلي ولم يقبلوا نصحهم من إحلال عاجل النِّقم بهم، فأحلّ بهؤلاء إنْ عادوا لحربك وقتالك مثل الذي أحللت بهم)(١).

وقد وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الكافرين وموقفهم من الإسلام،حيث جاء في الآية السادسة والثلاثين قوله تعالى : {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾} [سورة الأنفال:٣٦] فالكافرون ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، وأنهم سينفقونها وستكون عليهم حسرة ثم يغلبون، فأتت هذه الآية الكريمة لتبيّن لهم أنهم إن إنتهوا فإنّ الله بحلمه وفضله ورحمته سيغفر لهم، وإن يعودوا لما درجوا عليه ، ويصدوا عن الإسلام بأفعالهم السابقة فقد خلت (سنة) الله ﷻ في الأمم الماضية، وسيجري عليهم ما جرى على من سبقهم من الذين كفروا.

٤- وقوله ﷻ : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾} [سورة الحجر١٥/:١٠-١٣]

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله تعالى ـ معلقاً على الآيات السابقة من سورة الحجر : " يُسلِّي الحقُّ ـ سبحانه ـ رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ويوضح له أن ما حدث له من إنكار ليس بِدعاً، بل حدث مثله مع غيره من الرسل سواء من إنكار أو تجاهل أو سخرية.

وإذا كنت أنت (يا محمد) سيد الرسل وخاتم الأنبياء؛ فلابُدَّ أن تكون مشقتك على قَدْر مهمتك، ولابُدَّ أن يكون تعبُك على قَدْر جسامة الرسالة الخاتمة "(٢). وأضاف في تفسيره للآية الثالثة عشرة من نفس السورة قائلاً : "وهكذا يوضح الحق سبحانه أن قلوب الكفرة لا تلين بالإيمان؛

---

(١) انظر: الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط١ ،١٤٢٠هـ ،(٥٣٦/١٣). وانظر قريبًا من هذا المعنى في : الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط :١٤٠٧ هـ ، (٢٠٨/٢).

(٢)الشعراوي ، محمد متولي ، تفسير الشعراوي ، ص١٧٩٨ .

ولا تُحسِن استقبال القرآن، ذلك أن قلوبهم مُمْتلئة بالكفر، تماماً كما حدث من الأقوام السابقة، فتلك سُنّة مَنْ سبقوهم إلى الكفر "(١).

والآيات الكريمة تتحدث - كما هو واضح من السياق - عن صورة من صور الصراع بين الحق والباطل، ولون من جدل أهل الباطل مع الحق وحزبه، فدلت الآيات الكريمة على أن هؤلاء المعاندين الرافضين لا يؤمنون ولن تشرب قلوبهم روح التصديق وقد كذبوا بما جاءهم من الحق؛ فسنة الله - عز وجلّ - واضحة في المكذِّبين والمكذَّبين، فالهلاك والدمار هو مصير من كذب وعاند ورفض دعوة الحق ، والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة للأنبياء وأتباعهم، وهذه سنة الله في كل زمان ومكان لم ولن تتغير.

٥- ومن الآيات التي ورد فيها لفظة " سنة " قوله تعالى في سورة الإسراء: {وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾} [سورة الإسراء ١٧/:٧٦-٧٧] . والآيتان الكريمتان وردتا أيضًا في سياق الحديث عن الصراع بين الحق والباطل، وموقف هؤلاء المعاندين من الدعوة والداعية والرسالة والرسول، ورغبتهم في أن يخرجوه من الأرض التي يدعو فيها إلى الله عز وجل، وموقف صاحب الدعوة والرسالة بقدرته المطلقة وعزته وحكمته من هؤلاء في أنهم لا يخلفون الرسول لو أخرجوه من الأرض، ورد الفعل هذا ليس خاصاً بالرسول ﷺ وحده بل هو قانون مطّرد وسنة ماضية لا تتحول ولا تتبدل. " فما من أمة تستفزّ رسولها وتحاربه وتخرجه ، فلن تلبث من بعده طويلاً ،بل ستحلّ بها سنة الله - عزّ وجل - من العذاب كما حلّت بمن سبقها من الأمم المكذبة لأقوامها "(٢)

٦- وقوله : { وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾} [سورة الكهف ١٨/:٥٥] . "أي ما منع الناس من الإيمان، والحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم حجة الله، فلم يمنعهم عدم البيان، بل منعهم الظلم والعدوان، عن الإيمان، فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة

---

(١) تفسير الشعراوي ،ص١٨٠١ .

(٢) انظر : الألوسي ، محمود أبو الفضل ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (١٣١/١٥).

الله، وعادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا، عوجلوا بالعذاب، أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مقابلة ومعاينة، أي: فليخافوا من ذلك،وليتوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مرد له "(١).

٧- وقوله : { مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:٣٨] . "هذا دفعٌ لطعنِ من طَعَنَ في الرسول صلى الله عليه وسلم، في كثرة أزواجه، وأنه طعن، بما لا مطعن فيه، فقال: { مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ } أي: إثم وذنب. { فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ } أي: قدر له من الزوجات، فإنّ هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله، ولهذا قال: { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا } أي: لا بد من وقوعه "(٢).

٨- وقوله : {لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:٦٠-٦٢] . "{ سُنَّةَ الله } أي : سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا"(٣) .

٩- وقوله : { وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ [سورة فاطر ٣٥/:٤٢-٤٣] . " يقول تعالى - ذكره -: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أُحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م، ص٤٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٦٦٦ .

(٣)الزمخشري ، الكشاف ، (٥٧١/٣).

مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم "[1].فهذه هي سنة الله - عزّ وجلّ - لن تتبدل ولن تتحول ولن تتغير ، فهل من معتبر.

١٠- وقوله : {وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [سورة الفتح ٤٨/:٢٢-٢٣] " وهكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنته الكونية الثابتة التي لا تتبدل . فأية سكينة؟ وأية ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم؛ وهم يسمعون من الله أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود؟ وهي سنة دائمة لا تتبدل . ولكنها قد تتأخر إلى أجل . ولأسباب قد تتعلق باستواء المؤمنين على طريقهم واستقامتهم الاستقامة التي يعرفها الله لهم . أو تتعلق بتهيئة الجو الذي يولد فيه النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين ، لتكون له قيمته وأثره . أو لغير هذا وذلك مما يعلمه الله . ولكن السنة لا تتخلف . والله أصدق القائلين : { ولن تجد لسنة الله تبديلا } "[2].

فتحصل من هذه الآيات الصريحة معاني السنة الواردة في القرآن الكريم وهي ثلاثة :

المعنى الأول : الطريقة الحميدة وهو المعنى المراد في سورة النساء[3] .

المعنى الثاني : سنة الله ﷻ فيما أباح للرسل ، وهو المراد في موضع سورة الأحزاب الأول[4]

والمعنى الثالث : العادة المألوفة والمثال المتبع في التعامل مع الأمم حال الطاعة وحال المعصية وهو المراد في سورة آل عمران وسائر النصوص القرآنية الأخرى .

والمعنى الثالث هو المقصود في هذا البحث، وهوالمعنى الذي عناه أهل العلم في كلامهم عن سنن الله ﷻ في هذا الكون .

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة في معظم آيات السنن في القرآن الكريم يظهر الآتي:

أولا: أن لفظة سنة وردت في القرآن الكريم أحيانًا مفردة (سنة) وأحيانًا مجموعة {سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿٢٦﴾} [سورة النساء ٤/:٢٦]

ثانيًا: أنها أحيانًا تأتي مقطوعة (أي ليست مضافة) وأحيانًا تأتي مضافة وإضافتها تكون إلى الله

---

(١) الطبري ، جامع البيان ، (٤٨٤/٢٠) .
(٢) انظر :الظلال ، (٤٨١/٦ -٤٨٢).
(٣) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٢٦٧/٢).
(٤) المرجع السابق ، (٤٢٧/٦) .

تعالى: {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ٤٣}[سورة فاطر:٤٣] ،أو مضافة لنون العظمة والضمير العائد عليه سبحانه{وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ٧٧} [سورة الإسراء ١٧/:٧٧] ، وأحيانًا تضاف إلى غير الله تعالى كقوله عز وجل: { لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣} [سورة الحجر ١٥/:١٣] وقوله : {فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ ٤٣} [سورة فاطر ٣٥/:٤٣] .

ثالثاً: أن السياق الذي وردت فيه اللفظة غالبًا ما يدور حول الصراع بين الحق والباطل والكفر والإيمان، وصدود الكفر أمام نور الإيمان، وأساليب الباطل أمام ضوء الحق الناصع.

رابعاً: أنها قد ترد عقب بيان جزء من المنهج التشريعي، كما ورد ذلك في سورة النساء عقب الحديث عن أمر الزواج ومتعلقاته.

خامساً: أنها قد تأتي بمعنى العقوبة النافذة والقدر المحتوم، وسيتضح ذلك - إن شاء الله- عند الحديث عن صفات السنة الإلهية والخصائص العامة لورود السنن.

المبحث الثاني : أهمية دراسة السنن الإلهية والسبيل إلى معرفتها:

إنّ من رحمة الله تعالى بعباده وإكرامه لهذه الأمة، التي هي خير الأمم وآخرها، أن جعل معجزة نبيها ﷺ باقية خالدة، لا تنتهي بانقضاء زمانها وزمانهم، كما كانت معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.

وهي كتاب الله المفتوح لكل ذي بصيرة ، المشتمل على كل ما فيه صلاحها ونجاحها، من حِكم وأحكام، وقصص وأخبار، معجزة باقية ما بقي الليل والنهار، إلى أن يأتي وعد الله.

"وهذا القرآن الكريم قد أمر بالنظر والتفكير فيما خلق الله في السموات والأرض ليزداد الناس يقيناً بأن الله هو الخالق العظيم ، وليعلموا أن ما خلقه الله كان بدقة ونظام ، وأن كل ما فيه يجري بأمر الله ، أي وفق ما وضعه له من نظام . فمن هذه الآيات الداعية إلى النظر في الكون والتأمل بما فيه للوقوف على أسراره وكيفية جريانه ، قوله تعالى : {قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١} [سورة يونس:١٠١] ، فالأصل في معرفة هذا القانون العام في هو النظر والمشاهدة والتأمل والاستقراء والتجارب . ومع هذا يوجد في القرآن الكريم إشارات لحقائق علمية يشملها هذا القانون العام"(١) أي سنن الله - عزّ وجلّ - .

وكان من جملة ما جاء في الكتاب العزيز أيضاً، في الحث على تدبر وتأمل آيات الله الكونية المبثوثة في صفحات الكون، وآياته الشرعية المودعة كتابه المصون، قوله تعالى: {أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦} [سورة الحج ٢٢/:٤٦] جاء في تفسير الإمام الطبري بأنّ الله - عزّ وجل - يقول :" أفلم يسيروا هؤلاء المكذّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع ضربائهم (أقرانهم) من مكذّبي رسل الله الذين خلوْا من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكَّروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذّب رسله، فينيبوا من عتوّهم وكفرهم، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحقّ(قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيَّنا(أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) يقول: أو آذان تصغي لسماع الحقّ فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل.وقوله:(فَإِنَّهَا لا تَعْمَى

(١) زيدان ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، ص٨ .

الأبْصَارُ) يقول: فإنها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم؛ ولكن تعمى قلوبهم التي في صدورهم عن معرفة الحق ونصرته "(١).

ويشير الشيخ الشعراوي - رحمه الله تعالى - إلى أن للسياحة والسير في الأرض فائدتان : " فإما أنْ تكون سياحة استثمارية لاستنباط الرزق إنْ كان الإنسان في مكان يضيق به العيش فيه، كهؤلاء الذين يسافرون للبلاد الأخرى للعمل وطلب الرزق.

وإما أن تكون سياحة لأَخْذ العبرة والتأمل في مخلوقات الله في مُلْكه الواسع ليستدل بخَلْق الله وآياته على قدرته تعالى.

والسياحة في البلاد المختلفة تتيح لك فرصة ملاحظة الاختلافات من بيئة لأخرى، فهذه حارة وهذه باردة، وهذه صحراء جرداء وهذه خضراء لا يوجد بها حبة رمل، لذلك يخاطبنا ربنا تبارك وتعالى:{ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُواْ.. }[الأنعام: ١١]

فالعطف في الآية بـ (ثُمَّ) يدل على أن للسياحة مهمة أخرى، هي الاستثمار وطلب الرزق، ففي الآية إشارة إلى الجمع بين هاتين المهمتين، وكأن الله يقول للأنسان السائر في أرجاء المعمورة إياك أنْ تغفل - وإن كانت سياحتك للعمل - عن آيات الله في المكان الذي سافرت إليه، وخُذْ منه عبرة كونية تفيدك في دينك.

وفي آية أخرى يقول سبحانه:{ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ.. }[النمل: ٦٩] العطف هنا بالفاء التي تفيد الترتيب، يعني: سيروا في الأرض لتنظروا آيات الله، فهي خاصة بسياحة الاعتبار والتأمل، لا سياحة الاستثمار وطلب الرزق "(٢). وهذه لفتة جميلة من لفتات الشيخ رحمه الله تعالى.

وقال سبحانه وتعالى في تدبر كلامه: {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾} [سورة ص ٣٨/: ٢٩]، وضَمِنَ سبحانه وتعالى لمن تأمل ذلك تأمل المسترشد المهتدي المدّكر أن يصل إلى مراد الله من ذلك، قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾} [سورة القمر ٥٤/: ١٧] ؛ (ليصل إلى سنن الله الثابتة وقوانينه المطردة، التي أودعها سبحانه هذا الكون ليسير على وفقها، ويتحرك بموجبها، ويعمل بمقتضاها، لتكون هادياً له ومرشداً، فيتناسق نظامه

---

(١) الطبري ، جامع البيان ، (١٨/٦٥٧-٦٥٨).

(٢) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص٢٦٢٢ .

في تصوره وشعوره، وفي واقعه وارتباطه، وفي عمله ونشاطه، مع تلك السنن، ليؤدي وظيفة الخلافة في الأرض.

وحين يتناسق ويتفاهم مع تلك النواميس التي تحكمه، وتحكم سائر الأحياء، يملك معرفة أسرارها، والانتفاع بها على وجه يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة)(١).

"ولقد اعتنى القرآن الكريم بالسنن الإلهية عناية كبيرة شملت آيات كثيرة، بأساليب مختلفة في كثير من سوره، إما بالتصريح بذكرها، أو شرح عواملها ونتائجها، أو ضرب الأمثلة من حياة الأمم الماضية، التي تكشف مدى تمسك أولئك بالسنن أو انحرافهم عنها، وما آل إليه أمرهم من عواقب حسنة أو سيئة نتيجة لذلك " (٢).

إذن فالبحث في السنن الإلهية ودراستها، يعد جزءًا من الدراسات الإسلامية التي تعنى بإظهار مكنونات القرآن وكشف أسراره وما جاء في السنة النبوية متصلاً بذلك، وقد أرشد العلماء قديماً وحديثاً إلى هذا العلم، فأشار الشيخ أبو حامد الغزالي المتوفى سنة خمس وخمسمائة للهجرة، إلى هذا العلم فقال في الإحياء: (وأما القسم المحمود -من العلوم- إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته، وأفعاله، وسننه في خلقه، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإنّ هذا علم مطلوب لذاته، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد)(٣).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله -: (إنّ إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم، لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه) (٤).

فالذي يدرس السنن الإلهية ويسقطها على الواقع الذي تحياه البشرية جمعاء، يمكنه تحديد الداء الذي أصاب الأمة ، وتحديد مكمن الخلل ، عندها - وبكل سهولة - يستطيع أن يصف الدواء الإلهي الذي يزيل عللها، ويعيد لها صحتها، ولا شك أنّ في إدراكنا للسنن الربانية فوائد عظيمة، حتى لو لم نقدر على تفادي حدوثها والنجاة منها، "حيث يعطينا هذا الإدراك والمعرفة صلابة في

---

(١) انظر: سيد قطب ، في ظلال القرآن (١/ ٣٩٤).
(٢) انظر: الخطيب ، شريف ، السنن الإلهية (٦/١).
(٣) الغزالي ، أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة - بيروت ، (٣٩/١) .
(٤) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار، (١١٤/٤).

المواقف، بخلاف من يجهل مصدر الأحداث، فإنّ الذي يعلم تكون لديه بصيرة وطمأنينة، أما الذي يجهل فليس لديه إلا الحيرة والخوف والقلق"(١).

" فمعرفة السنن وفهمها معرفة لبعض الدين؛ولذلك تعتبر دراستها من الأمور المهمة جداً "(٢).

والعلم بالسنن الإلهية،يعطي المسلم دافعية إلى أن يعمل وينتج، ويمنعه هذا العلم من الهزيمة النفسية التي ربما أقعدته عن الحركة الإيجابية في كثير من جوانب حياته.

(والقرآن الكريم إذْ يَردّ المسلمين إلى سنن الله في الأرض، فهم ليسوا بدعاً في الحياة، فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافاً، إنما تتبع هذه النواميس ، فإذا درسوها، وأدركوا مغازيها، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، واطمأنوا إلى ثبات ذلك النظام، واستشرفوا المستقبل على ضوء ما كان في الماضي، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين، لينالوا النصر والتمكين، بدون الأخذ بأسباب النصر وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول) (٣).

كما أن فقه السنن الإلهية يصحح عقيدة المسلم في جانب القدر، ويقوي إيمانه بأنّ هذا الكون يسير بنظام دقيق محكم، وفق نواميس ثابتة لا مجال فيه لمصادفة، بل كله من تدبير حكيم حميد.

وتظهر أهمية الحديث عن السنن الإلهية " في كون السبيل لمعرفة سنة الله هو الرجوع إلى كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم محمد ﷺ فما فيهما هو القول الفصل"(٤)، وأعْظِم بها من غاية وأعظم بها من سبيل تلك التي تدلنا على الله تعالى الذي سنّ السنن وقدّر الأمور تقديراً.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى في بيان أهمية السنن وتعهدها "إن هنالك سنناً ثابتة لهذا الكون؛ يملك الإنسان أن يعرف منها القدر اللازم له، حسب طاقته وحسب حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض. وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية؛ وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها"(٥).

---

(١)السلمي ، محمد صامل ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار الوفاء، المنصورة ،ط١ ،١٩٨٨م ص٥٤.

(٢) زيدان ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، ص١٤ .

(٣) انظر: قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، (٤٥٠/١).

(٤) زيدان ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، ص١٣.

(٥) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، (٦٧/٣).

" إنّ الحديث عن السنن الإلهية يعد منارة للمسلم اليوم في ظلمات هذا العصر بما فيه من تعقيدات ومعضلات يكون فيها الحليم حيرانَ، غير أن المسلم الواعي الذي يتعهد كتاب ربه بالقراءة والعناية والتدبر والفهم هو وحده الوحيد القادر على أن يكون واعياً ومستوعباً لكل ما يجري في هذا الكون من أحداث "(١) .

فنحن كمسلمين مدعوون إلى دراسة هذه السنن وفهمها وتوضيحها للناس كافة ـ حكاماً ومحكومين ـ فلا نترك مناسبة إلا ويجب استغلالها من قبل العلماء والدعاة والمدرسين لِيُبعث الأمل في قلوب المسلمين لإخراجهم من القلق والحيرة التي قد يعيشونها بسبب جهلهم لهذه السنن وبالذات سنة التدافع بين الحق والإيمان ، وبيان أنّ العاقبة للمتقين، فالمسؤولية كبيرة على عاتق علمائنا اليوم أكثر من أي وقت مضى لاستلام هذا الدور والقيام به حق قيام، وإلا فنحن مقصرون أمام الله تعالى في خدمة هذا الدين العظيم.

وينقسم الناس في تعاملهم مع السنن الإلهية إلى ثلاثة أصناف، منهم من يؤمن بهذه السنن ويهتم بها أشد اهتمام ويدرسها ويتعامل في كل أمره وفق هذه السنن، ومنهم من يغفل عنها ولم يدرك أهميتها، وقسم ثالث لا يؤمن بشيء اسمه سنن ،وبالطبع فهم ليسوا سواء، "وللكون والحياة والأحياء سنن ماضية لا تتخلف ولا تحابي. فمن اتبع هذه السنن أفلح وفاز، ومن حاد عنها ضل وخسر"(٢).

بعد عرض ما سبق يمكن إيجاز أهمية دراسة السنن الإلهية في النقاط التالية:

١ـ أنّ دراسة السنن الإلهية فيها إعمالٌ للعقل فيما خلق له من التفكر والتدبر وأخذ العِبر والعِظات.

٢ـ أن العناية بدراسة السنن الإلهية، ينبه الأمة أفراداً وجماعات على أخطائها حين تتعثر ويصيبها ما تكره فترسم لنفسها الطريق الصحيح لتسير على وفقه للوصول إلى قمة سلم الحضارة، ذلك المرتقى الذي لا يصلح إلا لها، بل لا يملك الوصول إليه إلا هي، لأنها التي تملك التصور الصحيح عن الخالق والكون والحياة والإنسان، ويخلصها كذلك من مشاكلها، ويوجه ويضبط طاقات وجهود مفكريها ودعاة الإصلاح فيها.

٣ـ أن دراسة المسلم للسنن الإلهية، يعمق إيمانه بالله ـ عزّ وجل ـ، ويزيد يقينه بأن الله هو مالك كل شيء، ويبرز له شيئاً من حكمة الله سبحانه وعدله، وإبداعه في خلقه ، كما يزيد إيمانه

---

(١) انظر :السنن الإلهية في القرآن ودورها في استشراف المستقبل ، ص٢١٤ .

(٢) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، (١٧١/٤).

بالقدر، ويقوي يقينه بأن كل ما يحدث، يحدث بقدر من الله سبحانه وحكمه، وعندها يطمئن إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٤- أن فقه المسلم للسنن الإلهية ، وانتفاعه بها، وتناسقه معها، يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة ،ويدفعه للعمل والإنتاج، ويزيل من نفسه ما قد يصيب غيره من هزيمة نفسية، وإحباط يقعده عن تحقيق دوره في عمارة الأرض، كما أنّ وعيه بهذه السنن يعطيه صلابة في مواقفه، وثباتاً في خطاه، وإصراراً على المضي قدماً في سبيل تحقيق دعوته، مع حسن التعامل مع الأحداث والمستجدات.

المبحث الثالث : مميزات السنن الإلهية وخصائصها:

وبعد أن تبين لنا فيما سبق بعض فوائد وأهمية دراسة ووعي سنن الله المختلفة ، أنتقل للحديث عن بعض خصائص ومميزات هذه السنن.

وسنن الله تعالى من منظور القرآن الكريم لها خصائص عديدة، فالناظر والمتفحص في آيات الله تعالى وسننه ومنهجه سبحانه في تسيير شؤون الكون، يرى أن هذه الخصائص لازمة لا تنفك عن هذه السنن تحقيقاً لعدل الله تعالى وحكمته وعظمته، وسأكتفي بذكر ثلاثٍ من هذه الخصائص، مستشهداً عليها بالدليل القرآني، مستعرضاً بعض أقوال المفسرين في الآية موضع الاستشهاد.

الخاصّة الأولى: الثبات والديمومة والاستمرار:

إن من خصائص السنن الكونية والاجتماعية التي عينها القرآن الكريم خاصية الثبات والدوام ، أي أنها لا تتغير ، ولا تتبدل ، ولا تتحول ، وهي تجري على الآخرين كما جرت على الأولين، وتعمل في عصر الخلف عملها في عصر السلف ،وثبات السنن وعدم تغيرها وتحولها أمر لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان كما يقال، يدل عليه تاريخ الأمم والحضارات والواقع المشهود، فكل من جاء بالأسباب وأتى بالموجبات تحققت فيه سنن الله وأحاطت به.

فمثلاً من جاء بأسباب الهلاك والدمار وقعت به وفق سنة الله تعالى لا محالة، وأن الهلاك لن يتبدل إلى نعيم وفقاً لثبات السنن ،ومن وجب عليه العذاب في الدنيا لإتيانه بأسبابه لا يتحول عنه إلى غيره؛ لأن سننه تعالى تجري على وزان العدل والحكمة، ولا يظلم ربك أحداً .

ودليل خاصية الثبات قوله تعالى: { سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢}

[سورة الأحزاب:٦٢] وقوله تعالى: {فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ

ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴿٤٣﴾} [سورة فاطر: ٤٣]. "لأن السُّنة لا تتحوّل ولا تتبدّل إلا بالأقوى الذي يأتي ليُغير السنة بأخرى من عنده، فإذا كانت السُّنة من الله القوي بل الأقوى، فهو سبحانه وحده الذي يملك هذا التحويل، ولا يستطيع أحد أبداً تحويل سنة الله، فإذا قال سبحانه، فقوله الحق الذي لا يُبدِّله أحد، ولا يُعارضه أحد "(١).

"وهذا من تمام الحق، وكمال العدل، وعظمة التشريع، فالثبات صفة تتميز بها السنن، فهي ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، وعليه فيمكن القياس على نتائجها بالنظر إلى مقدماتها، فالمسلم مأمور أن يُعمل بصره وبصيرته في سِيَر الأولين لتكون له العبرة، وهو مطمئن لثبات تلك السنن وبأنه يمكن له أن يفيد منها في أيامه ومستقبله "(٢). "والذي يمعن النظر في الآيتين المتقدمتين يجد أن العبارة التي أكد بها الله سبحانه ثبات سننه في خلقه عبارة لا تحتمل الريب واللبس ،ومن ذلك استعمال أداة النفي(لن) تلك الأداة التي تفيد النفي في الاستقبال ؛ فتنفي وقوع التبديل والتحويل في سنن الله تعالى في المستقبل "(٣) ، وذلك "لأن (لن) حرف نفي واستقبال "(٤).

فلن في قوله تعالى تفيد النفي مع التأبيد، فيما يعني بالضرورة الثبات لهذه السنن، وليكون في ذلك زيادة في التأكيد "أن الله لا يخالف سنته لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سَنن واحد، والمعنى: لن تجد لسنن الله مع الذين خَلَوْا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلاً(٥).

وهذا الثبات يمكن أن نلحظه إذا ما استعرضنا سريعاً أحداث التاريخ وكيف كانت انتصارات الأمم السابقة، وكيف كان انهزامها، من خلال تعامل هؤلاء وهؤلاء مع سنن الله تعالى.

---

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص٢٠٩٠ .

(٢) السنن الإلهية في القرآن ودورها في استشراف المستقبل.

(٣) الغلبزوري ، توفيق بن أحمد ، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم.، ص٢٢ .

(٤) ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ، دار الفكر - بيروت ،الطبعة السادسة ، ١٩٨٥، ص٨٧٥ .

(٥) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، (١١٢/٢٢).

وعدم التبدل أو عدم التحول بمعنى واحد عند الرازي، والحكمة من التكرار كما يراها تتمثل في أن "عدم التبديل يفيد حصول العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره، وأن عدم التحويل يفيد حصول العلم بأن العذاب لا يتحول عن مستحقيه إلى غيرهم[1]، فتكامل المعنيان.

يقول سيد قطب - رحمه الله - في تعليقه على هذه الآية: {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾} [سورة فاطر: ٤٣] "وهكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنته الكونية الثابتة التي لا تتبدل. فأية سكينة؟ وأية ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم؛ وهم يسمعون من الله أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود؟ وهي سنة دائمة لا تتبدل"[2].

ويضيف سيد أيضاً:" والأمور لا تمضي في الناس جزافًا،والحياة لا تجري في الأرض عبثاً، فهناك نواميس ثابتة تتحقق لا تتبدل ولا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة، ويعلمها للناس، كي لا ينظروا إلى الأحداث فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصلية، محصورين في فترة قصيرة من الزمان، وحيّز محدود من المكان. ويرفع تصورهم لارتباطات الحياة، وسنن الوجود، فيوجههم دائمًا إلى ثبات السنن واطّراد النواميس "[3].

فإذا اقتضت سنة الله تعالى نصر المؤمنين العاملين بمنهجه، والمنفذين أوامره، فإن هذه السنة ثابتة إلى أن يشاء الله تعالى لها ذلك، فهي بهذا ثابتة لا تتغير، وبالمقابل إذا اقتضت سنة الله تعالى معاقبة المجرمين والمفسدين في الأرض المتنكبين لشرعه تعالى، والعاصين لأوامره، فإنّ هذه السنة كذلك ثابتة لا تتغير، والعبرة دائماً بالعاقبة والخاتمة.

والقرآن الكريم يضرب لنا الأمثلة من الأمم السابقة لتكون لنا نبراساً وهادياً في صياغة مستقبل الأمة وما يجب لها أن تكون عليه بين سائر الأمم، قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ

---

(١) انظر: الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة : الأولى ، (٣٢/٢٦).

(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٨١/٦).

(٣) المرجع السابق ، (١٥٥/٦).

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾}

[سورة النور:٥٥ [.

وهكذا فان سنن الله تعالى في الحياة ثابتة لا تتغير ولا تتحول، أما ما نلاحظه اليوم من علو أهل الكفر على أهل الإيمان فإنّ ذلك مرده إلى حكمة يريدها الله تعالى بنا بعد أن تركنا التمسك بالنهج القويم، وما إنْ نعود إلى كتاب ربنا، ونلتزم أوامره حتى تتحقق فينا سنته تعالى في تغيير هذا الوضع إلى الوضع الصحيح السليم. وهذه سنته سبحانه التي قد خلت من قبل وهي "طريقة الله سبحانه وعادته السالفة في نصر أوليائه على أعدائه"(١).

وما دام أنّ من خصائص السنن أنها ثابتة ، لا تتغير ولا تتبدل ، فهكذا ينبغي أن يكون أهل الحق أهل الإيمان ثبات على الحق لا تؤثر فيهم المؤثرات والمغريات مهما كانت ، كيف لا؟ ورب العزة يخاطبهم من فوق سبع سماوات قائلاً : {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [سورة إبراهيم:٢٧]

الخاصّة الثانية: حتمية الوقوع والنفاذ:

وقد اخترت هذه الخاصة من عموم قوله تعالى: {إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾} [سورة آل عمران:٤٧] ،وقوله تعالى في سورة النحل : {إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾} [سورة النحل:٤٠] ، يقول صاحب تفسير المنار عند تفسيره الآية السابعة والأربعين من سورة آل عمران " فالقضاء بمعنى الإرادة ، فإنما يقول له كن فيكون ، قالوا : إنّ هذا ورد مورد التمثيل لكمال قدرته ونفوذ مشيئته ، والتصوير لسرعة حصول ما يريد بغير ريث ولا تأخر"(٢) ،وهذه الخاصية تنبني على ما سبقها، فقوله تعالى: {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴿٤٣﴾} [سورة فاطر: ٤٣] يقضي بأن هذه السنة متحققة لا محالة.

---

(١) انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٢م، (٢٨٠/١٦).

(٢) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار، (٢٥٣/٣) .

" وسنن الله ﷻ كما هو قضاؤه متحققة لا محالة ، لأن السنن جزء من القضاء، ولا رادّ لأمر الله ولا لقضائه، ولن يستطيع كل البشر مهما أوتوا من قوة سواء كانت قوة جسدية أو قوة عقلية أن يحولوا دون وقوع سنن الله تعالى وتحققها ونفاذها، فكل القوى أمام قوة الله لا شيء(١)، "فوعده صادر عن إرادته الطليقة، وعن حكمته العميقة. وهو قادر على تحقيقه، لا رادّ لمشيئته، ولا معقب لحكمه، ولا يكون في الكون إلا ما يشاء"(٢)، {وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦} [سورة الروم:٦] . أي: " هذا الذي أخبرناك به - يا محمد -من أنا سننصر الروم على فارس، وعد من الله حق، وخَبَر صدق لا يخلف، ولا بد من كونه ووقوعه؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلى الحق، ويجعل لها العاقبة"(٣)

" وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أمور منها:-

١) أنه لا يخلف وعده .

٢) أن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون."(٤) .

" فسنن الله بهذا نافذة لا تتخلف، فحيثما وُجِدت مقدمات الأمر كانت نتيجته متلازمة معه، لهذا قصّ الله تعالى علينا قصص الأمم السابقة ؛ لتكون لنا عبرة وعظة، حتى لا نفعل مثل ما فعلوا فنهلك مثل ما هلكوا، بل يريد الله تعالى منا أن نأخذ بأسباب الحيطة والحذر لئلا يصيبنا ما أصابهم، وفيه إفادة أن الأمر متحقق الوقوع "(٥).

وقد المولى - سبحانه وتعالى - في أكثر من موضع في كتابه العزيز أنه من يعمل سوءًا يُجز به ، ومن يعمل خيراً يلاقيه، فقال سبحانه و تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨} [سورة الزلزلة:٧-٨] . يقول الإمام الرازي عند تفسيره للآيتين

---

(١) خصاونة ، السنن الإلهية في القرآن ودورها في استشراف المستقبل ، ص٢١٨ .

(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٧٩/٥).

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٦ / ٣٠٥) .

(٤) الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار (ت : ١٣٩٣هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع بيروت - لبنان،عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، (١٦٤/٦-١٦٥).بتصرف يسير.

(٥) زيدان ، عبد الكريم ، السنن الإلهية ، ص٢٣ .

السابقتين : "ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته"(١).

ومفاد ذلك أن الجزاء والنتيجة متعلقتان بالمقدمة "لأن الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه، فسنة الله تعالى ثابتة ومطردة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على قوم دون قوم. ولولا ثباتها واطرادها وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة وطلب الاعتبار بما حل بهم، ولكن لما كان ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم، حَسُنَ ذِكر قصصهم وطلب الاعتبار والاتعاظ بها"(٢).

الخاصة الثالثة: العموم:

فهي حاكمة على جميع الأفراد، والأمم والمجتمعات، فإذا وقفنا عند قانون من قوانين الله تعالى كقانون النصر نعلم أن له ضوابط ومعالم تنسحب على الجميع دون مجاملة ولا محاباة. "فالكل أمام القانون الإلهي سواء، المتقدم والمتأخر، القوي والضعيف ،الكل تحت طائلة السنن "(٣).

والناظر في حياة الرسول وسيرته يجد هذا المعنى واضحًا، فعندما أخذ الصحابة سنة الله في النصر مثلاً آتى النصر لهم أُكُله وأعطى ثمره، وعندما خالفوا أمر الرسول لم تنخرم لهم السنة ولم تتبدل ؛ بل حكمت عليهم وفيهم أعظم خَلْق الله - صلى الله عليه وسلم- ، يقول الحق في سورة آل عمران : {أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾} [سورة آل عمران:١٦٥] . فلا محاباة ولا تمييز أمام سنة الله - عزّ وجلّ -.

"وهذه الخاصية تعني أن السنن الإلهية شاملة لكل البشر، لا تحابي أحدا على أي أساس ولا تستثني أمة من هذه القاعدة الكلية الشاملة، فسنن الله تعالى لا تنخرم، فهي عامة لكل من يقع في جانب من جوانب السنن الإلهية، فلا اعتبارات لفرد على فرد، ولا لأمة على أمة، ولا لجماعة على جماعة، فهي سنن مطردة، وهي بهذا تنطبق على كل أمة بما يناسب فعلها والتزامها بحيثيات تلك السنن "(٤).

---

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٥٨/٣٢).
(٢) زيدان ، السنن الإلهية ، ص١٣.
(٣) الحميد ، حسن بن صالح ، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض ،ط٢ ، ١٤٣٢هـ ، ص٨٢ .
(٤) انظر: زيدان ، السنن الإلهية، ص١٣ .

إذن فسنة الله تعالى عامة شاملة، لا تستثني أحداً ولا تحابي أحداً، بل "إن الله تعالى ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، فالباغي يصرع في الدنيا، وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة، وذلك لأن العدل هو نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها عند الله تعالى من خلاق"(١).

"والشمولية من مقتضى العدل والحكمة، فلو انخرمت سنة من السنن لقوم دون غيرهم لصار ذلك مدعاة إلى الركون عن هذه السنن ،ومن ثمّ إلى عدم الاطمئنان إلى عموميتها وشمولها، أما والحال غير ذلك فان الاطمئنان كل الاطمئنان والثقة كل الثقة، في هذه السنن بما يلبي الحكمة من معرفتها والعمل بمقتضاها "(٢).

والذي يؤكد شمولية السنن الإلهية أن الناظر في التاريخ البشري يجد أن ما انطبق على أمة أخذت بالسنن ينطبق على أيّة أمة أخذت بتلك السنن، بل إنّ الناظر في التاريخ يجد أن السنن لا تُحابي أحداً، حتى المسلمين عندما يتنكبون هذه السنن فإنه يصيبهم ما أصاب غيرهم ممن تنكب تلك السنن، ولا أدلّ على ذلك ما حصل للمسلمين في غزوتي أحد وحُنين.

وهذه قاعدة كبرى في الإسلام متعلقة في العمل والجزاء كما يصفها سيد قطب - رحمه الله - عند تعليقه على قوله تعالى : {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾} [سورة النساء:١٢٣-١٢٤] وهو "أن ميزان الثواب والعقاب ليس موكولاً إلى الأماني. إنه يرجع إلى أصل ثابت، وسنة لا تتخلف، وقانون لا يحابي. قانون تستوي أمامه الأمم -فليس أحد يمت إلى الله سبحانه بنسب ولا صهر- وليس أحد تُخرق له القاعدة، وتُخالف من أجله السنة، ويُعطل لحسابه القانون ... إنّ صاحب السوء مجزيٌ بالسوء؛ وصاحب الحسنة مجزيٌ بالحسنة. ولا محاباة في هذا ولا مماراة"(٣).

فالذي يفهم السنن الإلهية وعمومها يملك القدرة على التعامل مع هذه السنن، ويحسن الاستعداد لنتائجها.

من هنا يمكن القول:

---

(١) انظر: ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، (٦٣/٢٨).

(٢) السنن الإلهية في القرآن ودورها في استشراف المستقبل ، ص٢١٩ .

(٣) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن، (٢٤٣/٢).

١- إن السنن الإلهية ثابتة لا تتغير ولا تبدل.

٢- وقوعها نافذٌ وحتمي.

٣- عامة لا تنتقي ولا تحابي ولا تجامل أحداً أبداً.

"ولقد نجم عن هذا الثبات وذلك العموم والاطراد أمران:
الأول :استبعاد عنصر المصادفة تماماً، إذ لا يمكن للمصادفة أن تثبت نظاما أو تجعله شاملاً.
الثاني :هو أن الثبات والاطّراد والشمول جعل قيام العلم أمراً ممكناً في الأمور العلمية والعملية الإنسانية والتجريبية على حد سواء ؛ إذ لو تغيرت السنن والنواميس من مكان إلى آخر أو من زمان إلى آخر لما قامت حقائق ثابتة وعلوم راسخة ننطلق منها لتحقيق التقدم والحضارة "(١).

(١) انظر : الجريتلي ، أبو مريم محمد ، السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع ،موقع الألوكة.

الفصل الثاني :- وفيه مبحثان :-

المبحث الأول :التعريف بالحق والباطل .

المبحث الثاني :طبيعة العلاقة بين الحق والباطل :-

المبحث الأول :التعريف بالحق والباطل : وفيه مطلبان :-

المطلب الأول :الحق في اللغة والاصطلاح والقرآن .

أولا: الحق في اللغة :

"الحق نقيض الباطل ، وقيل الحق :أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أتى به من القرآن وقيل الحق :اسم من أسماء الله ﷻ ، وقيل صفة من صفاته ، وقيل :هو الموجود حقيقة ، المتحقق وجوده ، وأستحق الشيء ، أستوجبه "(١).

وفي جمهرة اللغة : "وحق الأمر يحق ، وقال قوم : يحق حقاً، إذا وضح فلم يكن فيه شك وأحققته إحقاقا"(٢).

وجاء في المفردات : "أصل الحق : المطابقة والموافقة ، والحق يقال على أوجه :

الأول : يقال لموجد الشيء ولهذا قيل في الله تعالى: {وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ ﴿٣٠﴾} [سورة يونس ١٠/: ٣٠]

الثاني : يقال للموجَد ولهذا يقال:فِعلُ الله تعالى كله حق نحو قولنا:الموت حقّ والبعث حق (٣)".

ثانياً:الحق في الاصطلاح:

عرّفه الجرجاني في كتاب التعريفات فقال" :الحقّ في اصطلاح أهل المعاني هو الحكم المطابق للواقع، ويقابله الباطل(٤) ".

ثالثاً : الحق في القرآن:

أما الحقّ في الاستعمال القرآني فذكر ابن الجوزي(٥) أنَّ الحقَّ في القرآن على ثمانية عشر وجهاً ،منها(٦) : -

---

(١) انظر :ابن منظور ، لسان العرب ، (٤٩/١٠). وانظر: ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، المحقق : عبد السلام محمد هارون ، اتحاد الكتاب العرب ،الطبعة : ١٤٢٣ هـ ، (١٥/٢).

(٢) ابن دريد ، الجمهرة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط : الأولى ، (٢٧/١).

(٣) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ص١٢٥.

(٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص٢٩.

(٥)عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علّامة عصره في التاريخ والحديث، مولده ووفاته ببغداد،(٥٠٨هـ -٥٩٧هـ).له نحو ثلاثمائة مصنف، منها(زاد المسير في علم التفسير، و فضائل القدس) .انظر: الزركلي ، الأعلام ، (٣١٦/٣- ٣١٧).

(٦) ابن الجوزي ، أبوالفرج جمال الدين عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ،مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت ، ط: الأولى ، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤ م ، ص٢٦٦-٢٦٩.

١- **الحق هو : الله ﷻ، ومنه قوله ﷻ:** {وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴿٧١﴾} [سورة المؤمنون ٢٣/:٧١] ." **فالحق هو الله ﷻ والمراد: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك { لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } أي: لفساد أهوائهم واختلافها "** (١).

٢- **الحق هو :القرآن ،ومنه قوله تعالى:**{فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٥﴾} [سورة الأنعام ٦/:٥] . **قيل المراد بالحق هنا القرآن ،فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون ، أي أخبار الشيء الذى كانوا به يستهزءون وهو القرآن** (٢).

٣- **الحق هو : الإسلام ، ومنه قوله تعالى: { قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾} [سورة التوبة:٢٩] "ودين الحق هو الإسلام"**(٣) .

وقوله أيضاً :{ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾ } [سورة الأنفال ٨/:٨] . **والمراد إظهار الإسلام وقطع دابر الكفر** (٤).

٤- **الحق هو : العدل . ومنه قوله تعالى في الأعراف : {رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾} [سورة الأعراف ٧/:٨٩] أي: " افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم، { وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } أي: خير الحاكمين، فإنك العادل (العدل) الذي لا يجور أبدًا "**(٥).

---

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤٨٤/٥).
(٢) انظر: الشوكاني ، فتح القدير، (١٠٠/٢).
(٣) الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي ، تفسير أحكام القرآن ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط : ١٤٠٥هـ ، (٢٨٢/٤) .
(٤) الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني . (٣٢٩/١).
(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،(٤٤٨/٣).

٥- الحق هو : الصدق ، ومنه قوله تعالى : {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ ﴿٤﴾} [سورة يونس ١٠/:٤] أي "صدقا لا خلف فيه "(١).

٦- الحق هو : الوجوب :قال تعالى : {وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴿١٣﴾} [سورة السجدة ٣٢/:١٣] . أي وقع القول ووجب (٢).

وهذه المعاني التي أوردها ابن الجوزي ربما احتاج بعضها إلى تحقيق أكثر في إرادتها المعنى المنصوص عليه، غير أنني أوردتها للإشارة على سعة الاستخدام القرآني لهذا المصطلح.

هذا وقد ورد لفظ الحق في القرآن الكريم أكثر من مائتي مرة، والمراد منه على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذي وردت فيه الآيات الكريمة، وهذه الألفاظ على اختلاف مواقعها في الآيات لا تخلو من معنى الثبوت والمطابقة للواقع.

المطلب الثاني :الباطل في اللغة والاصطلاح والقرآن :

أولاً:الباطل في اللغة:

بَطَل الشيءُ يَبْطُل بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلاناً ذهب ضيَاعاً وخُسْراً فهو باطلٌ(٣)،وسُمِّي الشيطانُ الباطلَ لأنه لا حقيقةَ لأفعاله (٤).

ثانياً : الباطل في الاصطلاح:

وأما الباطل في الاصطلاح فهو:" نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص"(٥) .

وقيل:" الباطل هو الذي لا يكون صحيحاً بأصله وما لا يُعتدُّ به ولا يفيد شيئاً"(٦).

فبناءً على ما سبق فإنّ الباطل يدل على عدم الثبات والاستقرار.

---

(١) البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، المحقق :عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي– بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ (٤١٠/٢).

(٢) الرازى ، مفاتيح الغيب ، (١٥٥/٢٥).

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، (٥٦/١١).

(٤) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، (٢٤٤/١).

(٥) الراغب الأصفهاني ، المفردات ، ص٩٧.

(٦) الجرجاني ، التعريفات ، ص٦١.

ثالثاً:الباطل في استعمال القرآن:

ورد لفظ الباطل في القرآن ستًا وعشرين مرة[١]، والمراد منه على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذي وردت فيه الآيات الكريمة، ومعناه العام لا يخلو من الزوال الذي لا ثبات له ولا قرار.

وذكر أهل التفسير أن الباطل في القرآن على أربعة أوجه[٢] : -

١- : الكذب ، ومنه قوله تعالى :{وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾} [سورة العنكبوت ٢٩/:٤٨] **. وقوله : {لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ ﴿٤٢﴾}** [سورة فصلت ٤١/:٤٢] ،أي :**"لا تكذبه الكتب التي قبله وليس بعده كتاب فيكذبه "**[٣].

٢- : الإحباط ، ومنه قوله تعالى في البقرة : {لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴿٢٦٤﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٦٤] ، أي **"لا تحبطوا أجرها بالمنّ والأذى"**[٤].

٣- : الظلم ، ومنه قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ ﴿٢٩﴾} [سورة النساء ٤/:٢٩]

٤- : الشرك ، ومنه قوله تعالى : {وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾} [سورة البقرة ٢/:٤٢] ، **{وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾}** [سورة الإسراء ١٧/:٨١] **.**

قال بعض المفسرين : إن الباطل في هذه الآية : هو تسويلات الشيطان[٥] ، فيكون ذلك وجهاً خامساً .

---

(١) عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص١٥٧.

(٢) ابن الجوزي ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،ص١٩٦-١٩٧.

(٣) انظر : الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر - دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ ، (٢٤١/٢٤).

(٤) البيضاوى ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الفكر - بيروت ،(٥٦٦/١).

(٥) ابن عجيبة ، أبو العباس أحمد بن محمد ، البحر المديد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط: الثانية ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م ، (١٦٥/٤).

المبحث الثاني :طبيعة العلاقة بين الحق والباطل :- وفيه مطلبان :-

المطلب الأول :الأمثال التي ضربها اللهﷻ للحق والباطل :

من حكمة الله - عزّ وجل - ومن تدبيره لعباده أن ضرب لهم الأمثال ، وذلك لحاجتهم إليها ، فيدركوا ما غاب عن أسماعهم وأبصارهم ، لذلك سمّى سبحانه من يعقل الأمثال عالماً، فقال الله تعالى : {وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾} [سورة العنكبوت ٢٩/:٤٣]

وقال : {وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} [سورة الحشر ٥٩/:٢١] وإذا كان هذا هو شأن الأمثال،فحريٌّ بالمسلم - أن يعلمها ويعقلها.

قال بعض السلف: " كنتُ إذا قرأتُ مثلاً من القرآن فلم أفهمه بَكَيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ } [سورة العنكبوت: ٤٣] " (١).

يقول الشيخ الشعراوي- رحمه الله تعالى - :"وضَرْب المثل معناه إيقاع شيء صغير ليدل على شيء كبير؛أو بشيء جليّ ليدل على شيء خفيّ؛ لِيُقرِّب المعنويات إلى وسائل الإدراكات الأولى وهي مُدْركات الحِسِّ من سمع وبصر وبقية وسائل الإدراك.

وحين تأتي المعاني التي تناسب الطموح العقلي؛ فالإنسان يتجاوز مرحلة الحِسِّ إلى المعلومات المعنوية؛ فيقربها الحق سبحانه بأن يضرب لنا الأمثال التي توصل لنا المعنى المطلوب إيصاله"(٢).

ولقد ضرب الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أمثلة عدة للحق والباطل،وصوّر سبحانه العلاقة بينهما تصويرًا دقيقًاً لبيان خصائص كل منهما، وأبرَزَ صفاتِهما وبيّن سبحانه طبيعة العلاقة بينهما، حتى لا يختلط الأمر على الناس، وقد رأيتُ أن أبرز هذه العلاقة من خلال بعض الأمثال القرآنية.

---

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤/٤٧٤).

(٢) الشعراوي ، تفسير الشعراوي، ص ١٧٦١.

المثل الأول:

قال تعالى في سورة الرعد : {أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾}

[سورة الرعد ١٣/:١٧] .

يقول الزمخشري:"هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمَثَّل الحقَّ وأهلَه بالماء الذي ينزل من السماء، فتسيل به أودية الناس فيحيون به، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي، وأن ذلك ماكث في الأرض باقٍ بقاءً ظاهرًا يثبت الماء في منافعه، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشْك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه"(١).

فَجَعْلُ اللّه هذا المثل للحقِّ والباطل، يعني: أنّ الباطل كالزبد يذهب ويضيع ، والحق كالماء والفلز يبقى في القلوب.

وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزبد يرى في الصورة شيئاً وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات(٢).

"شاء سبحانه أن يُبيِّن لنا بالأمور الحِسِّية؛ ما يساوي الأمور المعنوية؛ كي يعلمَ الإنسانُ أن الظُّلْمَ حين يستشري ويَعْلو ويَطْمِس الحق، فهو إلى زَوَال؛ مثله مثل الزَّبد "(٣).

"وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الزَّبَدَ مَثَلٌ لِلْبَاطِلِ وَأَنَّ الْمَاءَ مَثَلٌ لِلْحَقِّ، فَارْتَقَى عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا فِي الْمَثَلَيْنِ مِنْ صِفَتَيِ الْبَقَاءِ وَالزَّوَالِ لِيُتَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى الْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ بِأَنَّ الْفَرِيقَ الْأَوَّلَ هُوَ الْبَاقِي الدَّائِمُ، وَأَنَّ الْفَرِيقَ الثَّانِيَ زَائِلٌ بَائِدٌ، كَقَوْلِهِ: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ

---

(١) انظر: الزمخشري ، الكشاف،(٢/ ٤٩٣)

(٢) البغوي ، معالم التنزيل ، (١٤/٣).

(٣) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص ١٧١١.

أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾} [سورة الأنبياء:١٠٥-١٠٦]

فَصَارَ التَّشْبِيهُ تَعْرِيضًا وَكِنَايَةً عَنِ الْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَقِبَ ذَلِكَ : {لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾} [سورة الرعد:١٨] "[1].

فالله سبحانه شبّه دعوة الحق التي نزلت على رسوله محمد ﷺ بالماء ، الذي ينزل من السماء وتجري به أنهار وسيول ، لما فيه من النفع لكل الكائنات الحية وبدونه تنعدم الحياة. مصداقاً لقوله عزّ وجلّ : {وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة الأنبياء ٢١/:٣٠] .

فدعوة الحق فيها نَفْعٌ للبشرية في كل زمان ومكان كنفع الماء لحياة الكائنات الحية. إذ لا خلاص ولا سعادة ولا راحة للبشرية إلا بهذه الرسالة المحمدية ، فهي المُخَلِّصة لها من ضلالاتها وأوجاعها وهمومها على مدار العصور وكرّ الدهور.فالبشرية اليوم لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها، إلا بالإسلام الحق ،فحاجتها إليه كحاجة الإنسان والحيوان والنبات للماء.

المثل الثاني:

قال تعالى في سورة إبراهيم: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ } [إبراهيم: ٢٤ – ٢٦] "شبّه الله تعالى كلمة الإيمان بشجرة ثبتت عروقها في الأرض وعلت أغصانها إلى السماء، وهي ذات ثمر في كل حين، ذلك أنّ الهداية إذا حلّت قلبًا فاضت منه على غيره، وملأت قلوبًا كثيرة فكأنّها شجرة أثمرت كل حين، لأنّ ثمراتها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة، ومثل كلمة الكفر وما شاكلها مثل شجرة خبيثة كالحنظل ونحوه مما ليس له أصل ثابت في الأرض بل عروقها لا

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (١٢٠/١٣).

تتجاوز سطحها وقد اقتلعت من فوق الأرض ؛ لأنّ عروقها قريبة منه، فكما أنّ هذه لا ثبات لها ولا دوام، فكذلك الباطل لا يدوم ولا يثبت بل هو زائل، وثمره مرّ كريهٌ كالحنظل"(١).

يقول الإمام البغوي:"الحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان"(٢).

يقول صاحب الظلال: (إنّ الكلمة الطيبة (كلمة الحق) كالشجرة الطيبة ، ثابتة سامقة مثمرة لا تزعزعها الأعاصير ، ولا تعصف بها رياح الباطل؛ ولا تقوى عليها معاول الطغيان وإن خُيّلَ للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان سامقة متعالية ، تطل على الشر والظلم والطغيان من علو، وإنْ خُيّلَ إلى البعض أحياناً أنّ الشر يزحمها في الفضاء مثمرة لا ينقطع ثمرها ، لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آناً بعد آن(٣).

ويضيف قائلاً:(إنّ الكلمة الخبيثة (كلمة الباطل) كالشجرة الخبيثة؛ قد تتعالى وتتشابك؛ ويُخيل إلى بعض الناس أنّها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى .ولكنها تظل نافشة هشة ، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض . . وما هي إلا فترة ثم تُجتث من فوق الأرض ، فلا قرار لها ولا بقاء .

ليس هذا وذلك مجرد مثل يُضرب ، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع . إنما هو الواقع في الحياة ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان" (٤).

فالله - عزّ وجلّ - بعد أن "وصف الكلمة الطيبة بما سلف أخبر بفوز أصحابها ببغيتهم في الدنيا والآخرة فقال: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [سورة إبراهيم: ٢٧] أي يثبتهم بالكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها العجيبة فيما سلف مدة حياتهم، إذا وجد من يفتنهم عن دينهم ويحاول زللهم كما جرى لبلال وغيره من أصحاب رسول الله ، وبعد الموت في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة

---

(١) المراغي ، أحمد مصطفى (المتوفى سنة ١٩٥٢م) ، تفسير المراغي ، مكتبة مصطفى البابي ،ط١ ،١٩٤٦م (١٥٠/١٣).

(٢) تفسير البغوي ، (٣٧/٣).

(٣) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٤٠/٤-٤٤١).

(٤) المرجع السابق.

وفى مواقف القيامة فلا يتلعثمون ولا يضطربون إذا سئلوا عن معتقدهم ولا تدهشهم الأهوال ".(١)

والخلاصة: أنّ الآيات دعوة قوية وصريحة للإيمان، وتحذير ورفض للكفر والضّلال.أي دعوة لكل مسلم بأن ينحاز للحق ،ويتمسك به وإن كلفه ذلك أغلى ما يملك؛لأنّ الفوز كل الفوز في اتباع الحق ،والخسارة كل الخسارة لمن حادَ عن سبيل الحق،واتّبع الباطل وسلك طرق الشيطان.

دروس وعبر مستفادة من هذين المثلين:-

١-الحقّ يمتاز بالثبات والبقاء فشبّهه سبحانه بالماء النازل من السماء، والمعادن التي ينتفع بها، أما الباطل فيمتاز بعدم الثبات وعدم البقاء، لذا شبّهه سبحانه بزبد الماء وزبد المعادن الذي يهيج ثم يضمحل ويتلاشى(٢).

٢- غالب الأمور التي يراها الناس مرتفعة عالية ذات لجج وصوت أغلبها باطل لا خير فيه، وإنما الحق يمشي بهدوء وثبات وسكينة ويقين؛ لأنه يعلم أنه سيصل إلى منتهاه ،عاجلاً أم آجلاً.

٣- أنّ كون الزبد طافٍ فوق الماء والمعدن فيه دلالة على طبيعة العلاقة بين الحق والباطل وأنّها حركة صراع دائم وربما يطول، لأن هذا الطفو مرتبط بحركة الماء والمعدن، وربما يكون للباطل جولة أو جولات، لكنّ النهاية دائمًا في صالح الحق والخير تماماً كما كانت في صالح المعدن والماء(٣).

٤-أنّ الحق رائحته طيبة ومثمر في حين أنّ الباطل رائحته خبيثة كالحنظل بلا ثمر.

٥- أنّ ارتفاع الباطل و علوه وزهو أهله بذلك إنما هو ابتلاء من الله لأهل الخيروالإيمان وفي ذلك الابتلاء فوائد جليلة منها(٤):

أ) اختبار إيمانهم وصبرهم وثباتهم على الحقّ و صدعهم به و مجالدتهم لأهل الباطل.

ب) لَيُعْلَيَ اللهُ بذلك ذكرهم في الدنيا و يرفع درجاتهم في الآخرة.

---

(١) انظر : تفسير المراغي ، (١٤٧/١٣ - ١٥٠).

(٢) الشريف ، محمود ، الأمثال في القرآن ، دار عكاظ - جدة ، ط٤، ١٩٨٥، ص٨٠.

(٣) باجودة ، حسن محمد ، تأملات في سورة الرعد، ص١٢٧.

(٤) الغبيشي ، محمد بن شائع ، سيل الحق وزبد الباطل ، موقع صيد الفوائد.

ج) ليتداعى أهل الحق لنصرته والذَّودِّ عن حياضه فيُحْدِثُ لهم ذلك نشاطاً ،ويودّعوا حياة الدَّعة والسكون وينتشلهم ذلك من الكسل و التواني إلى حياة البذل والعطاء وذلك من أعظم المنافع .وكم من بلية أحدثت في الأمة حياة.

د) أنّ صراع الباطل للحق يكسب الحق وأهله قوة ومناعة في مواجهة الباطل في جولاته القادمة.

٦- أنّ صراع الحق للباطل دليل على قوة الحق ،فالسيل الضعيف لا يحمل زبداً إنما يحمله السيل القوي الجارف المتدفق ، وكذلك الحق يتصارع مع الباطل ولكنه ما يلبث أن يصرعه قال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} [سورة الأنبياء:١٨].

يقول سيد - رحمه الله- عند تفسيره للآية السابقة: "فكأنّما الحق قذيفة يقذف بها على الباطل ، فيشق دماغه !فإذا هو زاهق هالك ذاهب، هذه هي السنة المقررة ، فالحق أصيل في طبيعة الكون والباطل منفيٌ عن خلقة هذا الكون أصلاً ، طارئ لا أصالة فيه ، ولا سلطان له ، يطارده الله ، ويقذف عليه بالحق فيدمغه . ولا بقاء لشيء يطارده الله.

ولقد يُخيّل للناس أحياناً أنّ واقع الحياة يخالف هذه الحقيقة التي يقررها العليم الخبير وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشاً كأنه غالب ، ويبدو فيها الحق منزوياً كأنه مغلوب، وإن هي إلا فترة من الزمان ، يمد الله فيها ما يشاء ، للفتنة والابتلاء . ثم تجري السنة الأزلية الباقية: { بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق } والله يفعل ما يريد"(١).

٧- أنّ الحق تميل إليه القلوب وتنجذب نحوه ، وتبحث عنه ، أما الباطل فمبغوضٌ مكروهٌ تنفر منه النفوس ،وهذا رصيد قوي للدعاة و المصلحين ،فالنفوس مجبولة على حب الخير و بغض الباطل ، فعليهم أن يجتهدوا في بيان الحق و تجلية الباطل.

٨- النصر والغلبة والتمكين لأهل الحق ودين الإسلام مهما طال ليل الباطل هي نتيجة الصراع بين الحق والباطل {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [سورة القصص:٨٣] فليستبشر المسلمون بوعد الله بأنه سيطمس بنورالحق ظلمات الباطل قال

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، (١٥١/٥).

تعالى : {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} [سورة الأنبياء ٢١/:١٨] ، {وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾} [سورة الإسراء:٥١] .

المطلب الثاني :الصراع بين الحق والباطل قديم :

إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم البشرية،تمتد جذوره إلى أعماق التاريخ،بل تمتد عند أول نفخة من روح الله - تعالى -،في هذا المخلوق-آدم عليه السلام-،عندما أخبر الله-تعالى-ملائكته بخْلقه،وأمرهم أن يسجدوا له عند أول نفخ للروح فيه،فامتثلت الملائكة لأمر الله-تعالى- إلا إبليس تخلف ونكص عن أمر الله-تعالى- ، يقول سبحانه : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾} [سورة الكهف:٥٠] وعندما راجعه ربه-تعالى-في ذلك برّر هذا التصرف الأحمق،بمقولة لا تقلّ جرمًا عن الجرم الأول؛برفض السجود.فقال الله على لسان إبليس : {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾} [سورة ص:٧٥-٧٦] فكان على أثر ذلك الطرد لإبليس من الرحمة،والاهباط إلى الأرض،بعد أن أغوى آدم وزوجه،وجعلهما يأكلان من الشجرة،المحظورة عليهما في الجنة.قال تعالى : {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾} [سورة البقرة:٣٦] هنا جاء التحدي من إبليس،لهذا المخلوق-الذي طرد لأجله من الجنة-،بأن يكون بالمرصاد، وفي صراع معه ومع ذريته،إلى يوم القيامة الذي أنظره الله إليه بقوله: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾} [سورة الأعراف:١٦-١٧] وجاء التحذير من الله-تعالى-،لذرية آدم من هذا العدو المتربص لهم بالعداوة والإغواء،بقصد إدخالهم النار معه،وإدخالهم ضمن دائرة الغضب الإلهي. قال تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا

إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾} [سورة الأعراف:٢٧] ،ثم جاء الخطاب بالتحدي الإلهي لهذا اللعين،أن يستخدم من أدواته ما يشاء للغواية،فعباد الله المخلصين؛هم المنتصرون في هذا الصراع،ومن انضم إلى جند الشيطان كان مصيره كمصير إبليس في الطرد واللعنة والعذاب.

قال تعالى: { قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ } [سورة الإسراء:٦٣-٦٤] . ففي هاتين الآيتين خمسة أوامر لإبليس: اذهب، استفزز، وأَجْلب، وشاركهم، وعِدْهم. "وهذه الأوامر ليست لتنفيذ مضمونها، بل للتهديد ولإظهار عجزه عن الوقوف في وجه الدعوة، أو صَدّ الناس عنها، وكأن الحق سبحانه يقول له: إفعل ما تريد ودبِّر ما تشاء، فلن توقِف دعوة الله؛ لذلك قال بعدها: { إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾}[سورة الإسراء: ٦٤] "(١) .

فالشيطان متى صادف من الإنسان غفلة ، فإنه سرعان ما يمنيه ويزين إليه الباطل ويزخرفه ، ومن حيله "أن يُزيِّن الدنيا لأهل الغفلة ويقول لهم: إنها فرصة للمتعة فانتهزها وَخذْ حظك منها فلن تعيش مرتين، وإياك أن تُصدّق بالبعث أو الحساب أو الجزاء. وهذه وساوس لا يُصدّقها إلا مَنْ لديه استعداد للعصيان، وينتظر الإشارة مجرد إشارة فيطيع ويقع فريسة لوعود كاذبة، فإنْ كان يوم القيامة تبرّأ إبليس من هؤلاء "(٢)، { وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾} [سورة إبراهيم:٢٢] ، أما إذا كان هذا الإنسان منتبهاً لوساوس الشيطان ومكائده وحِيَله ، عندها يستطيع أن يفوت الفرصة على هذا اللعين .وهكذا قد حسم الله ـ تعالى ـ

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ،ص٢٠٧٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٠٧٧ .

نتيجة الصراع بين الحق،الذي يمثله آدم والمؤمنون من ذريته،وبين الباطل الذي يمثله إبليس وجنوده،وإن الغلبة دائمًا في النهاية للحق وأهله،مهما طال الزمان.

ثم يتمثل الصراع بين الحق والباطل ، في أول مواجهه تقع على الأرض بينهما ، بعد نزول آدم وزوجه وإبليس من الجنة.

تبدأ الحلقة الأولى من هذا الصراع على وجه الأرض، بين ولدي آدم -عليه السلام- اللذين مثّلا الحق والباطل ، بغض النظر عن الدوافع الأولى لهذا الصراع ، فإنه يشتم رائحة غواية إبليس،ونفخه في رأس أهل الضلال . فها هما قد استجابا للحكم،بأن يتقربا لله بالقرابين،ومن يَتقبل قربأنه،فهو على الحق والآخر على الباطل.وعندما تقربا وُتقبِل من أحدهما-الذي على الحق-،لم يعجب ذلك أهل الضلال، فكان التهديد بالقتل،مهما كانت النتيجة،ولو كانت الولوج إلى النار.

يقول تعالى : {وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧} [سورة المائدة:٢٧] ، إنّ هذه الحادثة على بداءتها وصغرها- في نظر البعض-، لكنها تمثّل منعطفًا خطيرًا في حياة البشرية على وجه الأرض،حيث مّثلت نقطة الصراع الأولى بين الحق والباطل على وجه الأرض،ولذا كانت العقوبة مضاعفة عليها. يقول تعالى {مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ٣٢} [سورة المائدة:٣٢] .

ثم يستمر الصراع بعد ذلك عبر الأجيال ، وكان الأنبياء وأتباعهم،يحملون لواء الحق ويدافعون عن دعوة الله ، في مواجهة أهل الطغيان والباطل ، الذين جّندهم إبليس لمواجهه الحق.

فهذا نوح عليه السلام "بعثه الله تعالى لما عُبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة"(١).فقال سبحانه في سورة الأعراف : {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩} [سورة الأعراف:٥٩] ، ومع أنه دعاهم ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، إلا أن أكثرهم "استمر على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام

(١) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق : محمد بيومي وأخرون ، مكتبة الإيمان - المنصورة ، ص٤١ .

والأوثان "[1] ، واتهموا نوحاً - عليه السلام - بأنه على ضلالة ، {قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾} [سورة الأعراف:٦٠-٦١] ، ثم دعا ربه - عزّ وجل : {أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾} [سورة القمر:١٠] فاستجاب له ربه - عزّ وجل قائلاً : {فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾} [سورة القمر:١١-١٧]

وهذا هود - عليه السلام - لما "أمر قومه بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره، ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة، وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة {قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾} [سورة الأعراف:٦٦] أي هذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يرتجى منها النصر والرزق، ومع هذا نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك.

{قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾} [سورة الأعراف:٦٧] . أي ليس الأمر كما تظنون ولا ما تعتقدون: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾} [سورة الأعراف:٦٨] . لكنهم أصروا على كفرهم وعنادهم فكان مصيرهم الهلاك كما أخبر بذلك رب العزة - سبحانه وتعالى - حيث قال : {وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾} [سورة هود:٥٨-٦٠] "[2].

وهكذا كان حال أكثر الأمم في مواجهة رسلهم و رفض دعوتهم : {وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾} [سورة النحل ١٦/:١١٣] ،ثم لمّا بُعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، واجهه قومه بالصد والتكذيب : {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ

(١) ابن كثير ، قصص الأنبياء ص٤٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٥ .

وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾} [سورة الفرقان:٤] ومحاولة القتل والسجن الإبعاد، قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾} [سورة الأنفال ٨/:٣٠] ،ولقد أخبره ورقة بن نوفل بهذا الأمر بعد نزول أول الآيات عليه في غار حراء :((فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى . فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ :هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى . يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)) (١)، ومقاطعة وتجويع، كما بينت ذلك السُنَّة النبوية، أَنّ قُرَيْشاً لَمّا رَأَتْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا وأَصَابُوا فيهِ أَمْنًا وَقَرَارًا، اجْتَمَعُوا وَائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ عَلَى أَنْ لا يُنْكِحُوا إلَيْهِمْ وَلا يُنْكَحُوهُمْ وَلا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا، وَلا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ فَلَمّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ كَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ ثُمّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمّ عَلّقُوا الصّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ(٢)، وقد لاقى النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم من جراء هذه المقاطعة التي استمرت ثلاث سنوات أصنافاً من الجوع والحرمان.

"وقد واجه النبي وصحبه هذه المحن بكل صبر وثبات ويقين بنصر الله تعالى، وتنوعت مواجهة الباطل بأساليب عدة كالصبر وتحمل الأذى قال تعالى: {وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾} [سورة يونس ١٠/:١٠٩] ، وقال تعالى: {وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾} [سورة المزمل ٧٣/:١٠]، ثمّ رد الظلم والعدوان، قال تعالى: {وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾} [سورة البقرة ٢/:١٩٠] إلى الفتح والتمكين، وقيادة البشرية نحو النور والهداية.

---

(١) البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة ـ بيروت ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧، كتاب بدء الوحي،باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،(٤/١) ، حديث رقم (٣).

(٢) انظر: هارون ، عبد السلام ، تهذيب سيرة ابن هشام ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : الرابعة عشرة، ص٨١

حتى غدا دين الله عزيزاً منيعاً بفضل ما بذلوا من صبر وثبات على مدى بضع وعشرين عاماً من الصراع ما لانت لهم قناة، فكسرت شوكة الكفر، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وغدا أشد الناس عداوة للنبي ﷺ جنداً مخلصين لله ولرسوله ولدينه، فأي نصر هذا الذي حازه أصحاب رسول الله، إنها قوة الإيمان والثقة بنصر الله ودفاعه عن عباده المؤمنين "(١).

"ويعتبر الصراع الذي مرت به دعوة نبينا محمد ﷺ مع الباطل مدرسةً يجدر بكل باحث يريد أن يقف على حقيقة الصراع بين الحق و الباطل أن يدرس ويتدبر هذا النموذج الذي تجلت فيه كل مراحل الصراع الذي بدأ من أول يوم وقف فيه النبي ﷺ على جبل الصفا يدعو قومه للإيمان"(٢)، وقد ذكر الترمذي في سننه بسنده عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَعِدَ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الصَّفَا فَنَادَى يَا صَبَاحَاهُ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالَ: ((إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُمَسِّيكُمْ أَوْ مُصَبِّحُكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي] فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ، {تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾} [سورة المسد ١١١/:١]))(٣).

ويقص علينا القرآن،وتنقل لنا السنة المطهرة،-على صاحبها أفضل الصلاة والسلام-حلقات عديدة من هذا الصراع،وكيف تأتي الحماية من الله-تعالى-،في أوقات الشدة والأزمات،وعندما تعلو صهوة الباطل،-في بعض الأوقات-ويخاف على أهل الحق من الفتنة.

قال تعالى : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾} [سورة البقرة: ٢١٤] . وقال أيضاً : {حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾} [سورة يوسف: ١١٠]

وهكذا تسير قافلة الحق،بحماية الله،لتواجه قافلة الباطل بخذلان الشيطان.

يقول سيد قطب: "المؤمن ذو نسب عريق،ضارب في شعاب الزمان،إنه واحد من ذلك الموكب الكريم،الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم:نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف

---

(١) اللوح ،عبد السلام حمدان ، القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل ، بحث مقدم إلى مؤتمر " الإسلام والتحديات المعاصرة " ، في الفترة : ٢-٢٠٠٧/٤/٣م ، ص٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢١ .

(٣) رواه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة تبت يدا ، (٤٥١/٥)، حديث رقم (٣٣٦٣).

وموسى وعيسى ومحمد-عليهم الصلاة والسلام.-قال تعالى : {وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾} [سورة المؤمنون:٥٢] هذا الموكب الكريم،الممتد في شعاب الزمان من قديم يواجه-كما يتجلى في ظلال القرآن-مواقف متشابهة،وأزمات متشابهة،وتجارب متشابهة،على تطاول العصور وكر الدهور،وتغير المكان،وتعدد الأقوام،يواجه الضلال والعمى،والطغيان والهوى، والإضطهاد والبغي،والتهديد والتشريد.ولكنه يمضي في طريقه،ثابت الخطو،مطمئن الضمير، واثقًا من نصر الله،متعلقًا بالرجاء فيه،متوقعًا في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾} [سورة إبراهيم:١٣-١٤] موقف واحد،وتجربة واحدة،وتهديد واحد،ويقين واحد،ووعد واحد للموكب الكريم..وعاقبة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف،وهم يتلقون الاضطهاد والتهديد والوعيد ... "(١)

وقد جاءت السنة المطهرة لتؤكد بكل وضوح أنّ الصراع بين الحق والباطل ماضٍ إلى يوم القيامة،قالﷺ:((لاتَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))(٢).

وفي رواية :((لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)) (٣) ."والصراع بين الحق والباطل لا ينتهي ببيان نظري ، بل لا بد من معركة حاسمة يُزهق فيها الباطل ويعلو الحق ويزدهر، لذا فقد أكرم الله تعالى النبي ﷺ وصحبه بمعركة حاسمة دارت رحاها على أرض بدر، وقد كان المسلمون يتمنونها قافلة يأخذونها بيسر دون قتال وأرادها الله أن تكون حاسمة ذات شوكة، وفي ذلك إشارة إلى أنّ الباطل لا بدّ أن تُكسر شوكته ويُهدم بنيانه ليبقى الباطل ضعيفاً مهيناً، وعندها يزهو الحق ويزدهر وتكون له هيبة في النفوس"(٤).

---

(١) من مقدمة الظلال ، (١٢/١).

(٢) مسلم ، صحيح مسلم،كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمدﷺ ،(١٣٧/١) ، حديث رقم (١٥٦).

(٣) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ،(١٥٢٤/٣) ، حديث رقم (١٩٢٢).

(٤) اللوح ، عبد السلام حمدان ، القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع ، ص١٧ .

قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون (مثال على الصراع بين الحق والباطل):-

قال تعالى في سورة الأعراف متحدثاً عن جزء من قصة موسى - عليه السلام - والتي تمثل نموذجاً حياً لطبيعة الصراع بين الحق والباطل ، حيث بعثه الحق - سبحانه وتعالى - إلى فرعون الذي بات مثلاً لكل طاغية متكبر يحارب الحق وينصر الباطل {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾} [سورة الأعراف:١٠٣]

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية : "وبعد أن تكلم الحق - في الآيات التي سبقت الآية مدار البحث - عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - عليهم السلام - وما دار بينهم وبين أقوامهم، وكيف أهلك سبحانه المكذبين وأنجى المؤمنين، أراد أن يأتي بتاريخ رسول من أولي العزم من الرسل، أي من الذين تعرضوا في رسالاتهم لأشياء لا يتحملها إلا جَلْد قوي. ودعوة موسى - عليه السلام - لليهود أخذت قسطاً وافراً في القرآن، بل إن قصة موسى مع قومه هي أطول قصص القرآن؛ لأن انحرافاتهم ونزواتهم وتمردهم على أنبيائهم كانت كثيرة، وكان أنبياؤهم كثيرون لذلك فهم يفتخرون بأنهم كثيرو الأنبياء، وقالوا: نحن أكثر الأمم أنبياء. والرد على هذا الادّعاء وهذا الزعم : إن كثرة الأنبياء تدل على أنّ الداء متأصل في هؤلاء القوم ؛ لأن الأطباء لا يكثرون إلا حين يصبح علاج المريض أمراً شاقاً. إذن فكثرة أنبيائهم دليل على أن رسولاً واحداً لا يكفيهم، بل لابد من أنبياء كثيرين"(١). ثم قال سبحانه :{وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾} [سورة الأعراف:١٠٤] ، فبيّن موسى - عليه السلام - لفرعون أنه رسول من عند الله - عزّ وجل - والذي هو رب كل شي بمن فيهم فرعون الذي ادّعى الربوبية : { فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾} [سورة النازعات: ٢٤] ، والسبب في هذا الوهم وهذا الغرور الذي أصاب هذا الفرعون هو أنه استخف قومه فأطاعوه في كل ما يقول بسبب فسقهم وجهلهم : {فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾} [سورة الزخرف:٥٤] ، بل كان يقول لهم : {مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص١٠٤٥ .

أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾} [سورة غافر:٢٩] " أي: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وهو في ذلك كاذب، لأنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاء به من الرسالة بدليل قوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾} [سورة النمل:١٤]"(١) ، بل وصل الأمر بفرعون بعد أن جاءه موسى عليه السلام بالحق المبين إلى أن يقول : {اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾} [سورة غافر:٢٥] ، ثم لم يكتف بهذا الإجرام ، بل زاد عليه قائلاً: {ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾} [سورة غافر:٢٦] ، والسبب في ذلك " أنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى مخافة أن ينزل بهم العذاب ، ثم ذكر العلة التي لأجلها أراد أن يقتله ، فقال : { إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ } الذي أنتم عليه من عبادة غير الله ، ويدخلهم في دينه الذي هو : عبادة الله وحده { أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } أي : يوقع بين الناس الخلاف ، والفتنة ، جعل اللعين ظهور ما دعا إليه موسى ، وانتشاره في الأرض ، واهتداء الناس به فساداً ، وليس الفساد إلا ما هو عليه هو ، ومن تابعه"(٢) " وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتّباع خير الخلق ، فهذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ }"(٣) وعلى الرغم من كل ذلك استمر نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ في دعوته واثقاً بنصر الله ـ عزّ وجل ـ له ولو بعد حين.

<u>وقفة مع مؤمن آل فرعون :-</u>

ورد ذكر هذا الرجل في سياق قصة موسى ـ عليه السلام ـ التي جاءت في سورة غافر ، فقال سبحانه : {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

---

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١٤٢/٧).

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، (٤٨٨/٤).

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٧٣٦ .

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾} [سورة غافر:٢٨] "فهذا الرجل المؤمن يرى أن عليه واجباً أن يحذر وينصح ويُبدي من الرأي ما يراه (يناصر الحق) . ويرى من الواجب عليه أن يقف إلى جوار الحق الذي يعتقده كائناً ما كان رأي الطغاة"(١) وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة والعلماء أنصاراً وجنداً للحق ، مهما كلفهم هذا الأمر من جهود وتضحيات ، فكل شيء من أجل الدين والعقيدة يهون.

تحدي فرعون لموسى - عليه السلام - بالسحر والسحرة :-

لما رأى فرعون اصرار موسى وثباته على دينه ،وجه إليه تهمة السحر - خاصة بعد أن رأى بعض الآيات والمعجزات الدالة على صدق موسى ، وبالأخص معجزة العصا التي تحولت - بإذن الواحد الأحد - إلى حية تسعى، عندها طلب فرعون من موسى

فلما قامت الحجج على فرعون وانقطعت شبهه ، ولم يبق له قول سوى العناد، عدل إلى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته : {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾} [سورة الشعراء:٢٩-٣٣] ،وهذان هما البرهانان اللذان أيده الله بهما، وهما العصا واليد"(٢). ثمّ قال سبحانه : {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾} [سورة طه:٥٦-٥٩] "حيث يخبر سبحانه وتعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله، في تكذيبه بآيات الله واستكباره عن اتباعها،وقوله لموسى إن هذا الذي جئت به سحر، ونحن نعارضك بمثله.ثم طلب من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم ومكان معلوم. وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام: أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرة بحضرة الناس ، ولهذا قال : {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴿٥٩﴾} [سورة طه:٥٩] وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم، {وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾} [سورة طه:٥٩] أي من أول النهار

---

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، (٢٥٦/٦).

(٢) انظر : الطبري ، جامع البيان ، (١٨/ ٣٢٢) ، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٩٧ .

في وقت اشتداد ضياء الشمس، فيكون الحق أظهر وأجلى، ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً في ظلام، حتى لا يستغل فرعون ظلمة الليل ليروج على الناس سحره وباطله، بل طلب أن يكون نهاراً جهرة، لأنه على بصيرة من ربه، ويقين بأن الله سيظهر كلمته ودينه"(١) ،"وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره "(٢).

إيمان السحرة بعد أن غُلِبوا من نبي الله موسى - عليه السلام -:-

وبعد هذا التحدي وتحديد الموعد بين الفريقين ، فريق الحق الذي يمثله موسى - عليه السلام - وفريق الباطل الذي يمثله فرعون وجنوده وأتباعه ذهب فرعون ليجمع أكبر عدد من السحرة ، فكان له ما أراد ، يقول المولى - عزّ وجل - مخبراً عن هذا الأمر : { فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾} [سورة طه: ٦٠] "وحضر فرعون وأمراؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم"(٣).

"فجميع فرعون كل ما يقدر عليه، مما يكيد به موسى، فأرسل في مدائنه من يحشر السحرة الماهرين في سحرهم، وكان السحر إذ ذاك، متوفراً، وعلمه علماً مرغوباً فيه، فجمع خلقاً كثيراً من السحرة، ثم أتى كل منهما للموعد، واجتمع الناس للموعد"(٤).

وحين اجتمع السحرة من جميع البلدان، وعظهم موسى عليه السلام،وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل، الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه وأقام عليهم الحجة، وقال لهم: {قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾} [سورة طه: ٦١] ، "أي: لا تنصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبون الحق، وتفترون على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيب سعيكم وافتراؤكم، فلا تدركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون وملائه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب"(٥).

وعلى الرغم من كل هذه النصائح والتوجيهات من موسى - عليه السلام - والتي وجهها للسحرة للإيمان برب السماوات والأرض ، إلا أنهم أبوا ذلك ، ولم يعودوا إلى رشدهم إلا بعد أن رأوا

---

(١) ابن كثير، قصص الأنبياء ، ص٢٠٠

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ،ص٥٠٨ .

(٣) قصص الأنبياء ،ص٢٠٠.

(٤) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ،ص٥٠٨.

(٥) المرجع السابق .

بأعينهم حقيقة الأمر وذلك بعد أن ألقوا حبالهم وعصيهم التي سحروا أعين الناس بها، ثم ألقى موسى عليه السلام عصاه ، فإذا هي حيت تسعى ، بل وأخذت تلقف كل ما ألقوا من العصي والحبال، ولنبقى مع آيات الله ـ عزّ وجل ـ التي تصور المشهد : فيقول سبحانه : {قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦} [سورة طه:٦٥-٦٦] ،وبعد ذلك أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه أن يُلقي عصاه : {وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧} [سورة الأعراف:١١٧] "فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة ، ولا خيال، ولا زور ولا بهتان ولا ضلال، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق، الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق"(١): { فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨} [سورة الأعراف:١١٨] . وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى وأراح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين، وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى: { وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢} [سورة الأعراف:١٢٠-١٢٢] ، "وهكذا انقلب السحرة المأجورون ، مؤمنين من خيار المؤمنين . على مرأى ومسمع من الجماهير الحاشدة ومن فرعون وملئه . لا يفكرون فيما يعقب جهرهم بالإيمان في وجه الطاغية من عواقب ونتائج ، ولا يعنيهم ماذا يفعل أو ماذا يقول .

هذا الإيمان الذي فاجأ فرعون وعملاءه . وخاصة بعد التعبئة والأساطير والأكاذيب التي حيكت ضد موسى ـ عليه السلام ـ . عبأوهم بأكذوبة أن موسى ساحر يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره ، ويريد أن يجعل الحكم لقومه؛ وأن السحرة سيغلبونه ويفحمونه . . ثم هاهم أولاء يرون السحرة يلقون ما يلقون باسم فرعون وعزته . ثم يُغلبون حتى ليقرّون بالغلب؛ ويعترفون بصدق موسى في رسالته من عند الله ، ويؤمنون برب العالمين الذي أرسله ، ويخلعون عنهم عبادة فرعون ، وهم كانوا منذ لحظة جنوده الذين جاءوا لخدمته ، وانتظروا أجره ، واستفتحوا بعزته!

إن لنا أن نقدر ذعر فرعون لهذه المفاجأة ، وذعر الملأ من حوله ، إذا نحن تصورنا هذه الحقيقة؛ وهي إيمان السحرة الكهنة هذا الإيمان الصريح الواضح القاهر الذي لا يملكون معه إلا أن يلقوا سجداً معترفين منيبين .

---

(١) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص٢٠٢ .

عندئذ جن جنون فرعون ، فلجأ إلى التهديد البغيض بالعذاب والنكال . بعد أن حاول أن يتهم السحرة بالتآمر عليه وعلى الشعب مع موسى"(١)! وما أشبه الليلة بالبارحة فما جرى ويجري في مصر اليوم ما هو إلا صورة أخرى من صور الصراع بين الفراعنة الجدد وبين معظم أبناء الشعب المصري الذين لم ولن يرضوا بالذل والهوان ، كما أنهم لن يرضوا بعودة حكم الفراعنة الذين يرفعون شعار : {مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾} [سورة غافر:٢٩]

"فلما رأى فرعون هؤلاء السحرة قد أسلموا وأشهروا ذكر موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ في الناس على هذه الصفة الجميلة، أفزعه ذلك، ورأى أمرا بهره، وأعمى بصيرته وبصره، وكان فيه كيد ومكر وخداع، وصنعة بليغة في الصد عن سبيل الله، فقال مخاطباً للسحرة بحضرة الناس: {قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ ﴿٤٩﴾} [سورة الشعراء:٤٩] أي هلا شاورتموني فيما صنعتم من الامر الفظيع بحضرة رعيتي ؟ ! ثم تهدد وتوعد وأبرق وأرعد، وكذب فاتهمهم قائلاً:{إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴿٤٩﴾} [سورة الشعراء:٤٩] ،وهذا الذي قاله من البهتان الذي يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر والكذب والهذيان، بل لا يَرُوج مثله على الصبيان، فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن موسى لم يره هؤلاء يوماً من الدهر، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر ؟ ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم، حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم، واجتباهم من كل فج عميق، وواد سحيق"(٢). ثم جعل يهدد بالعذاب الغليظ بعد التهويل فيما ينتظر المؤمنين : { فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴿٧١﴾} [سورة طه:٧١] "إنها الحماقة التي يرتكبها كل طاغية ، حينما يحس بالخطر على عرشه أو شخصه ، يرتكبها في عنف وغلظة وبشاعة ، بلا تحرج من قلب أو ضمير . . وإنها لكلمة فرعون الطاغية المتجبر الذي يملك تنفيذ ما يقول . . فما تكون كلمة الفئة المؤمنة التي رأت النور!

إنها كلمة القلب الذي وجد الله فلم يعد يحفل ما يفقد بعد هذا الوجدان . القلب الذي اتصل بالله فذاق طعم العزة فلم يعد يحفل الطغيان . القلب الذي يرجو الآخرة فلا يهمه من أمر هذه الدنيا قليل ولا كثير : {قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾} [سورة

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، (٣٤٧/٥).
(٢) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص٢٠٢ .

الشعراء:٥٠-٥١] لا ضير . لا ضير في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف . لا ضير في التصليب والعذاب . لا ضير في الموت والاستشهاد . . لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون . . وليكن في هذه الأرض ما يكون : فالمطمع الذي نتعلق به ونرجوه { أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَآ } جزاء { أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ } . . وأن كنا نحن السابقين . ." (١)

وهكذا تربى النفوس المؤمنة في كل وقت وحين على تحمل الأذى والكرب والضيق لتواجه بها الطغيان والظلم والتعذيب .

انتقام الله - عزّ وجل - من فرعون وجنوده:-

قال تعالى: {وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿٣٩﴾} [سورة القصص:٣٩] "استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل.

{وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾} [سورة القصص:٣٩] ،فلذلك تجرأوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان.

{فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ ﴿٤٠﴾} [سورة القصص:٤٠] "عندما استمر عنادهم وبغيهم"(٢) "وكأن الحق سبحانه لم يُمهلهم إلى أن يعودوا إليه يوم القيامة، إنما عاجلهم بالعذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة" {فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴿٤٠﴾} [سورة القصص:٤٠] أي: ألقينا بهم في البحر، وهذا الأخذ الذي يشمل الجميع في قبضة واحدة يدلُّ على قدرة الآخذ، وهذه مسألة لا يقدر عليها إلا الله القوي العزيز"(٣).كما قال سبحانه: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} [سورة هود:١٠٢] . ثم يقول سبحانه: {فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾} [سورة

(١) انظر : قطب ، في ظلال القرآن ، (٣٤٨/٥).
(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٦١٦ .
(٣) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص٣٢٢٠ .

القصص:٤٠] أي: "انظر:نهايتهم ،وقد جاءت عجيبة من عجائب الزمن وآية من آيات الله، فالبحر والماء جُنْد من جنود الله، تنصر الحق وتهزم الباطل"(١)،

ثم قال سبحانه عن فرعون: {فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾} [سورة يونس:٩٢] "فالحق لو لم يأمر البحر بأن يلفظ جثمان فرعون، أما كان من الجائز أن يقولوا: إنه إله، وإنه سيرجع مرة أخرى؟

ولكن الحق سبحانه قد شاء أن يلفظ البحر جثمانه كما يلفظ جيفة أي حيوان غارق؛ حتى لا يكون هناك شك في أن هذا الفرعون قد غرق، وحتى ينظر من بقي من قومه إلى حقيقته، فيعرفوا أنه مجرد بشر، ويصبح عبرة للجميع، بعد أن كان جباراً مسرفاً طاغية يقول لهم:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾} [سورة القصص:٣٨] "(٢). وهكذا تنتهي حقبة من حقب الصراع بين الحق والباطل ، بل قل:انتهت جولة من جولات هذا التدافع المتواصل بين أهل الإيمان من جهة وبين أهل الشرك والظلم والطغيان ، والذي لم ولن يتوقف إلى يوم أن يقوم الناس لرب العالمين ، بعد أن استخلف الله -عز وجل - ومكّن لمن آمن برب موسى وهارون - عليهما السلام - ، وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى : {وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾} [سورة الأعراف:١٣٧] ، وأسأل الله العلي العظيم أن يعجل بالفرج والنصر والتمكين للإسلام والمسلمين ، وأسأله أن ينصر الحق في أقرب حين، ليندحر الباطل وأعوانه أذلة صاغرين. اللهم آمين.

ومن خلال هذا العرض يدرك كل ذي لب حتمية الصراع بين الحق والباطل، ويتبين لنا أنّ الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشرمستمر ولا يمكن أن يلتقيا في منتصف الطريق، لذلك وجب على أهل الحق في كل زمان ومكان أن يأخذوا الأمر بكل جد وأن يعدوا للأمر عدته {وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ص٣٢٢٠.
(٢) المرجع السابق ، ص٣٢٢٠ .

نَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾} [سورة الأنفال:٦٠] حتى لا تكون فتنة ويكون النصر للحق وأهله مهما علا الباطل وطال زمانه {قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾} [سورة التوبة:١٤-١٥].

ولاشك، فإنّ التاريخ غني بالأمثلة والعبر التي تؤكد على أن المعركة بين الحق والباطل قائمة ومستمرة، وأنّ الله سبحانه يختار للدفاع عن هذا الحق من كان أهلاً للدفاع عنه، وأنه سبحانه يجعل العاقبة للحق في نهاية المطاف {بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾}[سورةالأنبياء:١٨].

ظنون خاطئة:-

من يظن أن الله لن ينصر أولياءه، ولن ينصر الدعاة إليه، وأن الله لن ينصر المؤمنين فهو مسيء الظن بالله.

ومن إذا تأمل الشرق والغرب قال: إن الدولة ستكون لهم طيلة الوقت، فهو مسيء الظن بالله.

ومن قال: إن الله لن ينصر المؤمنين، وسيبقون مستغلين مستضعفين، مقهورين مسجونين، عليهم سيوف العذاب، وأنواع الابتلاء، وأن الله لن يظهرهم في الدنيا، فهذا مسيء الظن بالله: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾} [سورة الحج:١٥] ، "وقد ظَنَّ الكفار هذا الظن حين رَأَوْا بوادر نصر الإيمان وعلامات فوزه، فاغتاظوا لذلك، ولم يجدوا شيئاً يريح خاطرهم إلا هذا الظن.

لذلك؛ يردُّ الله غيظهم عليهم، فيقول لهم: ستظلون بغيظكم؛ لأن النصر للإيمان ولجنوده مستمر، فليس أمامك إلا أنْ تجعل حبلاً في السماء وتربط عنقك به، تشنق نفسك حتى تقع، فإنْ كان هذا الكيد لنفسك يُنجيك من الغيظ فافعل"(١) فالله ناصر دينه.

---

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص٢٥٩٢ .

هكذا يقول الله لهم: {مَّن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾} [سورة الحج:١٥] فهذا الذي يظن أن الله لن ينصر رسوله، ولن ينصر دينه ليعلق حبلاً في السقف، ويلفه حول عنقه، فيشنق به نفسه،"وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم"(١).

والذين يقولون اليوم: المسلمون ينتقلون من ابتلاء إلى ابتلاء، المسلمون يخرجون من محنة، ويدخلون في محنة أخرى، المسلمون يقتلون في بلد ثم ينتقل التقتيل إلى بلد آخر، المسلمون لا أمل لهم في الظهور ولا النصر، نقول: هذا من سوء ظنك بالله، ألم يتعهد الله بأن ينصر من ينصره في الدنيا قبل الآخرة: {كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾} [سورة المجادلة:٢١] ، {ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [سورة الحج:٤٠] ، والله الذي لا إله إلا هو ليأتين نصر الله، والله الذي لا إله إلا هو ليقوم الإسلام قومة يمحو الكفر فلا يكون له وجود، هكذا أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

فلنحذر أن يتسرب اليأس إلى قلوبنا إذا رأينا النكبات والبلايا تنزل بالمسلمين الواحدة تلو الأخرى، ولا نسمع بنصر كبير يحصل للمسلمين، نقول: انتظروا، فإنّ المنح بعد المحن ، والجزاء والعطاء يكون بعد البلاء، وكما يقول الدكتور محمد راتب النابلسي : كل شِدّة بعدها شَدّة إلى الله.

وستأتي الأنباء في عمرنا، أو في عمر من بعدنا بنصرة الإسلام وأهله؛ لأن الله تعهد بأن ينصر أولياءه، والله لا يخلف الميعاد ،فالنصر آتٍ لا محالة ، ولن تبقى الدولة والغلبة للكفرة إلى آخر الزمان، يستحيل ذلك، مهما كان عندهم من التخطيط والإدارة، والقوة والأسلحة، فلن تستمر لهم الدولة؛ لأننا على يقين بأن الله سينصر دينه، على يقين بأن الله سيظهر أولياءه.

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٥٣٥ .

فإذا كان كل شيء بيد الله، فنحن علينا العمل والاجتهاد، والدعوة إلى الله، والقيام بحق الله، والله سينصر دينه، فلا نقلق ولا نجزع؛ فالله سينصر دينه ولو بعد حين.

يقول سيد قطب - رحمه الله تعالى - :- " ثمّ ها هنا أمر جدير بالتنويه، وهو أن بعض ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، فيحسبون أن الله يرضى عن الباطل فيملي له في غيّه، ويقبل بالشر ويرخي له العِنان! أو يحسبون أن الله سبحانه لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل، فيدع للباطل أن يحطم الحق ولا يتدخل لنصرته! أو يحسبون أن هذا الباطل حق، وإلا فلِمَ تركه الله يغلب وينتصر؟! أويحسبون أن من شأن الباطل أن يغلب الحق في المعركة، وأن ليس من شأن الحق أن ينتصر! ثم يدع المبطلين والمفسدين يتمادون في باطلهم، ويسارعون في إفسادهم، ويلجون في طغيانهم! وهذا كله وَهْم وباطل، وظن بالله غير الحق، والأمر ليس كذلك. وها هو ذا سبحانه يحسم الموقف(١) فيقول: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾} [سورة سبأ ٣٤/:٢٦] ، ويقول أيضاً: {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾}[سورةغافر ٤٠/:٧٨]

ومن المفيد أن أختم حديثي هنا بالقول: إنّ القرآن الكريم أشار إلى سُنَّة أخرى وثيقة الصلة بسُنَّة الصراع بين الحق والباطل، ألا وهي (سنة التدافع)، تلك السنة التي تقرر أنه سبحانه لا يُمكِّن للباطل في هذه الحياة ليستعبد الناس، ولا يفسح له المجال ليسخر عباد الله لخدمته وتحقيق مآربه، بل إنه سبحانه يقيم من أهل الحق من يقف في وجه الباطل، ويتصدى له في معاركه كافة، وهذه السُّنَّة هي المُعبَّر عنها بقوله سبحانه: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٥١] .

المطلب الثالث :الصراع بين الحق والباطل عقدي :

كثيرًا ما يتساءل الناس عن أسباب الصراع بين الحق والباطل، وكثيرًا ما يختلف الناس في تحديد الأسباب والدواعي الكامنة وراء هذا الصراع، فيحصل الجدل ويتفاقم النقاش، فمن الناس من يدعي أن أسباب هذا الصراع هي المصالح والمنافع، ومنهم من يدعي أن أسباب الصراع المناصب ومراكز القوى، لكن الله تعالى قد حسم الصراع بين الحق والباطل وأظهر حقيقته، وهي

(١) قطب ، في ظلال القرآن ،(٥/٢).

أنه مهما تعددت أسباب الصراع الظاهرة إلا أن هناك سببًا حقيقيًا كامنًا وراء هذا الصراع،ألا وهو صراع العقيدة والدين والملة، فالصراع عقدي ولو تعددت أشكاله وصوره.

فأهل الباطل شغلهم الشاغل الصد عن سبيل الله - عزّ وجل - ،وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين ذلك، منها قوله تعالى :{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيد } [سورة إبراهيم:٣] أي : " ويمنعون من أراد الإيمان بالله واتّباعَ رسوله على ما جاء به من عند الله ، من الإيمان به واتباعه"(١)

وقال سبحانه في نفس السورة (سورة إبراهيم) أيضاً: { وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾} [سورة إبراهيم ١٤/:١٣] ، يقول الإمام الرازي في تفسيره للآية السابقة :"أي: ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودتكم إلى ملتنا "(٢) ، وهذا يعني أن الصراع هو صراع عقدي بامتياز، فالأنبياء يدعون إلى توحيد الله عزّ وجلّ - وأقوامهم يدعون إلى الشرك به .

ويقول- سبحانه -أيضاً عن طبيعة هذا الصراع في سورة الكهف: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾} [سورة الكهف ١٨/:٢٠] ، حيث جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن أهل الكهف ، أولئك الفتية الذي فروا بدينهم بعد أن هُددوا بالقتل بسبب إيمانهم ، ومعنى يعيدوكم في ملتهم "أي يرجعوكم إلى الملة التي هي من خصائصهم، أي لا يخلو أمرهم عن أحد الأمرين إما إرجاعكم إلى دينهم أو قتلكم"(٣).فالذي يترك الإيمان ويرتد عن دينه يكون في خسارة ما بعدها خسارة، ولن يفلح أبداً وقال سبحانه عن بني إسرائيل: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴿١٢٠﴾} [سورة البقرة ٢/:١٢٠] ،وقال تعالى في سورة البروج: {وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾} [سورة البروج ٨٥/:٨] .ومن الملاحظ أن

---

(١) الطبري ، جامع البيان ، (٥١٥/١٦).

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٧٨/١٩).

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (٢٨٧/١٥).

أعداء الإسلام يضمرون الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين، لكنهم في كثيرمن الأحيان يحاولون إخفاء مشاعر الغيظ والحقد تجاه المسلمين، لا حرصًا منهم على المشاعرولكن مخافة أن يثور بركان الإيمان في النفوس فيثأروا لعقيدتهم ودينهم، ومهما حاول أعداءالإسلام إخفاء حقيقة مشاعرهم إلا أن غيظهم وحقدهم الدفين لا يمكن اخفاؤه مصداقًا لقوله سبحانه :{قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴿١١٨﴾} [سورة آل عمران ٣/:١١٨] .فقد جاء في البروتوكول الرابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون قولهم:"حينما نمكن لأنفسنا فسنكون سادة الأرض، لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة الموّقتة لهذا هي أثمار ملحدين ...وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية(١).ولكن لن يحكم أحد أبدًا على ديننا من وجهة نظرها الحقة، إذ لن يستطاع لأحد أبدًا أن يعرفها معرفة شاملة إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف أسرارها"(٢).

ويقول الباحث :إنّ اليهود يسمّون حروبهم ومعاركهم بأسماء لها علاقة بدينهم وعقيدتهم الفاسدة، كحرب الغفران ،وعامود السحاب، وغير ذلك من الأسماء التي تدل على أنهم ينطلقون في حروبهم وعدوانهم من منطلقات عقائدية ، فهلّا عاد المسلمون إلى العقيدة الصحيحة ، وجعلوا حياتهم وفق منهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه.

وهنا أقول :إن المقاومة الفلسطينية في غزة العزة قد أحسنت العمل عندما أطلقت على العدوان الغاشم على غزة عام ٢٠١٣م اسم معركة حجارة السجيل.

وإنّ دلّت هذه التسميات على شيء فإنّما تدل على أنّ الصراع بيننا نحن المسلمين،وبين أعدائنا وبالأخص منهم يهود، إنّما هو صراع عقيدة ووجود.

ما هي عاقبة الصراع في الدنيا والآخرة؟

إنّ أي صراع بين متناقضين لا بدّ أن يُحسم في نهايته لأحد الطرفين، والمتدبر والمراقب للصراع بين الحق والباطل يلمس الحقيقة الكبرى، ويرى السنة الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل

---

(١) يقصد بالديانات الأممية عند اليهود كل الديانات غير الديانة اليهودية اليهودية. انظر:(البروتوكول ١٤).

(٢)بروتوكولات حكماء صهيون ،أعده وقدم له ،محمد خليفة التونسي،ط٥ ،١٩٨٠م،ص١٧٦-١٧٨،بتصرف.

في انتصار الحق على الباطل في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣} [سورة الفتح ٤٨/:٢٣] .

أولاً:- نصر الله لأهل الإيمان في الدنيا:-

يقول الله - عز وجل -: {وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦} [سورة آل عمران:١٢٦] ، ويقول أيضاً في نفس الصورة : {إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠} [سورة آل عمران:١٦٠] ، جاء في سورة الأنفال قوله- عز وجل -: {فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠} [سورة الأنفال:٤٠] ،فهذه الآيات وغيرها تؤكد على حقيقة مهمة ألا وهي أن النصر من عند الله- عز وجل -، لكن بشرط نصرة دينه - سبحانه وتعالى - ، فهو القائل : {إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧} [سورة محمد:٧] ويأتي نصر الله لأهل الإيمان في الدنيا بأشكال عدة ، منها:-

١/"انتصار الحق على الباطل بجند الله الكونية"(١)،

وجنود الله لا حصر لها : {وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ٣١} [سورة المدثر:٣١] ، ومن جنود الله في إهلاك أهل الباطل من الكافرين:-

أ- الرجفة:

قال تعالى : {فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨} [سورة الأعراف:٧٧-٧٨]،أي "جاءتهم صيحة من السماء ورَجْفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة{ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ } أي: صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد"(٢).

(١) انظر : اللوح ،عبد السلام حمدان ، القوة الإيمانية ، ص٢٣.
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤٤٢/٣).

ب- الريح:

وهي نعمة من نعم الله إلا إذا شاء الله أن يجعلها نقمة وعذاب كما كان إهلاك قوم عاد بها ،قال سبحانه : {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾} [سورة الذاريات:٤١] ، وجاء أيضاً في سورة الحاقة قوله تعالى : {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾} [سورة الحاقة:٦-٧] أي: "باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج"(١).

كما أنّ الله - عزّ وجل - هزم الأحزاب في غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة بالريح ، فيقول سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾} [سورة الأحزاب:٩] يقول تعالى مخبراً "عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين، في صرفه أعداءهم وهزيمته لهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق "(٢)، حيث هزمهم رب العزة بالريح والملائكة شر هزيمة فعادوا يجرون أذيال الهزيمة ، بعد أن جاءوا للقضاء على الإسلام والمسلمين.

ت- الإمطار بالحجارة :يقول سبحانه وتعالى في إهلاكه لقوم لوط - عليه السلام - : {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾} [سورة هود:٨٢-٨٣]" حجارة من "سجيل" وهي بالفارسية: حجارة من طين، ، وقوله: { مَنْضُودٍ } أي: منضودة في السماء، أي: معدة لذلك.أو: يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم. وقوله: { مُسَوَّمَةً } أي مُعْلَمَة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه."(٣). كما أهلك أصحاب الفيل بالحجارة التي حملتها الطير الأبابيل :

---

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١٦٩/٧). و الطبري ، جامع البيان ، (٤٤٤/٢١).
(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٣٨٣/٦).
(٣) انظر : المرجع السابق ، (٣٤٠/٤) . و البيضاوي ، أنوار التنزيل ، (٢٥١/٣).

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾} [سورة الفيل:١-٥]. وهناك إهلاك بالإغراق في البحر،وبالجراد والقمل والضفادع والدم ...

٢-انتصار الحق على الباطل بجند الله من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، كما كان الحال مع طالوت وجالوت، قال تعالى: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٥١] ، وكما هو الحال مع النبي ﷺ وصحبه الكرام، في معاركه مع قريش والتي توجت بفتح مكة وإخراجه ﷺ لقبائل اليهود من جزيرة العرب، والفتوحات الإسلامية بعد وفاته ﷺ التي أطلت على مشارق الأرض ومغاربها(١).

٣-انتصار الحق على الباطل بفناء أهل الحق دفاعاً عن دينهم وثباتهم عليه، وإن بدا هذا الحال للبعض بأنه هزيمة، لكنه النصر المؤكد لأهل الإيمان، حين ظفروا برضوان الله وجنانه، وبقيت آثارهم وسيرهم في الدنيا مثالاً للثبات على الدين والبذل والتضحية والفداء، وقد مثّل أصحاب الأخدود هذه الحالة حيث قُتل المؤمنون بالنار، فخلّد الله ذكراهم، وبقيت قصتهم مثلاً يضرب على مر العصور لأهل الثبات على الدين،قال تعالى: {قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾} [سورة البروج ٨٥/:٤-٨] .(٢)

أما انتصار أهل الإيمان على الباطل في الآخرة فلا حصر له، ولكن أكتفي بذكر بعض الأمثلة القرآنية الدالة عليه على النحو الآتي:

قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾} [سورة الشورى ٤٢/:٧] ، "يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا

(١)اللوح ،عبد السلام ، القوة الإيمانية ، ص٢٤.
(٢) المرجع السابق.

بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله(وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول: ومنهم فريق في نار الله الموقدة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله" (١).

فأهل الحق في الجنة وأهل الباطل في السعير.

٢- قال تعالى: {لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾} [سورة الحشر ٥٩/: ٢٠] ، "أي لا يستوي مستحقو النار ومستحقو الجنة في حكم الله تعالى في الفضل والرتبة يوم القيامة، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه"(٢).وهذا ترغيب في العمل للجنة، وترهيب من العمل للنار ." فأهل الحق هم الفائزون بالجنان، وأهل الباطل هم الخاسرون وتصغيراً لشأنهم يدع مصيرهم دون ذكر وهو معروف، وكأنه ضائع لا يعنى به التعبير(٣).ونظير هذه الآية كثير في القرآن، مثل قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾} [سورة الجاثية:٢١] وقوله سبحانه: {وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾} [سورة غافر:٥٨] . وقوله - عزّ و جل -: {أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾} [سورة ص:٢٨]

٣- قال تعالى: { أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾} [سورة السجدة ٣٢/:١٨-٢٠] ،" ينبه تعالى، العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، وأن حكمته تقتضي عدم

(١) انظر: الطبري ، جامع البيان ، (٥٠٣/٢١).
(٢) الزحيلي ، التفسير المنير ، (١٠٣/٢٨).
(٣) انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، (١٧١/٧).

تساويهما فقال: { أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا } قد عمر قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لشرائعه، واقتضى إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله، التي يضر وجودها بالإيمان.

{ كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا } قد خرب قلبه، وتعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن طاعة الله.

أفيستوي هذان الشخصان؟. فالجواب هو أنّهم :{ لا يَسْتَوُونَ } عقلاً وشرعاً، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة"(١).

"والفرق والبون كبير، بين مَن كان من أصحاب الجنة ومن كان في السعير.فكلا الفريقين يتحمل الألم والقرح والمشقة في هذا الصراع، وليس المؤمنون وحدهم، فأهل الباطل كذلك يتألمون وينالهم القرح واللأواء، ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء، إن المؤمنين يتوجهون إلى الله بجهادهم، ويرتقبون عنده حسن الجزاء، قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾} [سورة النساء ٤/: ١٠٤] ، فكلّما زاد إيمانهم بما عند الله من الأجر والثواب هانَ عليهم ما يلاقون في سبيل الله، وتقوى عزائمهم ويكتب الله لهم الغلبة والتمكين.

وما من شك أن هذا المصير الأخروي يسهم في حسم الصراع بفوز الحق وأهله على الباطل وأهله، إذ ينعم أهل الحق بالجنة ونعيمها ويشقى أهل الباطل بالنار وجحيمها، وهذا الحسم يدركه كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أما من ختم الله على قلبه فقد لا يدرك هذا المصير ولا هذا الحسم إلا بعد أن يلقى المصير المؤلم يوم القيامة، يوم يقول رب ارجعون، لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، ولكن الأمر على غير ما يشتهي، قال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾} [سورة الزخرف ٤٣/: ٧٤-٧٨](٢).

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، (٦٥٥).

(٢) اللوح ، عبد السلام ، القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع ، ص٢٥ .

الفصل الثالث:- صفات أهل الحق، وصفات المنكرين له :- وفيه مبحثان :

المبحث الأول: صفات أهل الحق :-

المبحث الثاني :المنكرون لدعوة الحق :-

المبحث الأول: صفات أهل الحق :-

إنّ الحق يحتاج إلى رجال أفذاذ ينافحون عنه بكل ما أُوتوا من قوة ، ويفدونه بالغالي والنفيس ، وهؤلاء الرجال لا بدّ لهم من صفات يتحلّون بها ، ولا شكّ أنّ أهل الحقّ لهم صفات كثيرة ،ولن أستطيع أن أقف على كل هذه الصفات في مبحثي هذا، لكن ما لا يدرك كُلّه لا يُترك جُلّه، ولذلك سيكون مدار حديثي في هذا المبحث عن أهم صفات أهل الحق ، والتي تميّزهم عن غيرهم ؛ حتى يُكتب لهم النصر على الأعداء والتمكين في الأرض.

المطلب الأول: الإيمان وقوة العقيدة :

"لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان ، وعظم شأنه ، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة ، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح ، فهو أجل المطالب ، وأهم المقاصد ، وأنبل الأهداف ، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة ، وينجو من المكاره والشرور والشدائد ، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول"[1] . يقول سبحانه : {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [سورة النحل:٩٧] .

أقول : فالإيمان هو الدافع والمحرك الذي يدفع صاحب هذه الطاقة إلى الحركة والعمل وفق المنهج الذي حدده رب العالمين، وهو الزاد الذي نتزود به نحن المسلمين في مواجهة المِحن والابتلاءات التي تواجهنا كل يوم ، فبه نتغلب على كل صعب ، وبه نصبر على كل كرب ،وبه تُدفع الغموم والهموم ،وبدونه لا يستطيع المرء أن يصبر على بلاء ، ولا يطمع في رجاء ، فهو الذي يحيل الجسد الهامد إلى شعلة من نشاط ، والقلب الخامل إلى جذوة من عطاء ، والطاقة المعطلة إلى حركة هادرة وعمل دؤوب لا يتوقف إلا إذا فارقت الروح الجسد.

ولأمرٍ ما كانت عناية القرآن الكريم وسنة الحبيب بالحديث عن الإيمان وأثره في صنع الأفراد والمجتمعات؛ ليكونوا ـ رهباناً في الليل ، فرساناً في النهار ـ، وتهيئة الناس لتلقي أوامر الله في السرّاء والضرّاء ، والمنشط والمكره، فجاءت الآيات البينات تتحدث عن الإيمان وفضله، وأهميته

---

[1] نخبة من العلماء ، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ،الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ، ط١ : ١٤٢١هـ ،(١١/١).

وأثره، وتحدد صفات أهل الحق، مرّة تصفهم بأنهم عباد الرحمن ، وأخرى بأنهم المتقون، وثالثة بأنهم محسنون... .

وقبل أن أخوض في الحديث عن أثر الإيمان في حياة الأفراد والجماعات ، لا بدّ من وقفة سريعة مع معنى الإيمان لغة واصطلاحاً ، كمدخل للحديث عن قضية الإيمان.

الإيمان لغة:

ورد معنى الإيمان أنه :" ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق"(١).

وفي المصباح المنير : "آمنت بالله إيماناً : أسلمت له"(٢).

وفي القاموس المحيط :"آمن إيماناً : صدقه، والإيمان : الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة"(٣).

ويتضح مما سبق بأن الإيمان لغة : هو التصديق الذي ينتج عنه الاستسلام والخضوع وقبول شريعة الله ـ عزّ وجلّ ـ.

الإيمان اصطلاحا: " تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان "(٤)

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: " إنّ قضية الإيمان ليست من القضايا الهامشية ، والتي يجوز لنا أن نغفلها أو نستخف بها أو ندعها في عالم النسيان،بل قضية الإيمان أعظم قضية مصيرية بالنظر إلى الإنسان، إنّها سعادة الأبد أو شقوته، إنها الجنة أبداً أو النار أبداً ، لذلك كان لزاماً على كل ذي لب أن يفكر فيها ويطمئن إلى حقيقتها"(٥)؛ لكي يطمئن على مصيره قبل فوات الأوان.

ويُعد الإيمان أول مقوم من مقومات النصر والتمكين، وهو رأسها، وبدونه لا قيمة لغيره من المقومات والأدوات ؛لهذا قدّم سبحانه الإيمان على العمل الصالح في آية الاستخلاف، قال تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، (٢١/١٣). وانظر :ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، (١٣٣/١).

(٢) الفيومي ،أحمد بن محمد بن علي المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ،المكتبة العلمية - بيروت ، (٢٤/١).

(٣) الفيروز أبادي، مجد الدين ، القاموس المحيط .

(٤) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة:١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص٣٣٢ .

(٥) انظر: القرضاوي ، يوسف ، الإيمان والحياة ، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية عشرة،٢٠٠٢م ، ص٣ من المقدمة

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة النور ٢٤/:٥٥]

ويمثّل الإيمان بالنسبة للأمة الإسلامية سلاحًا مهماً في مواجهتها لقوى الكفر والظلم والطغيان فإذا وجد الإيمان وجد السبيل إلى النصر، وإن فقد فلا تغني أسلحة الدنيا جميعها ولو اجتمعت وقد اشترط الله سبحانه تحقق الإيمان في المؤمنين ليكون سببًا في استعلائهم وتمكينهم، قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٣٩] ، بل إن الإيمان هو أساس التمييز بين الخبيث والطيب إذا اشتد القتال، قال تعالى: {مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴿١٧٩﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٧٩] ، وعندما نتحدث عن الإيمان في سياق الحديث عن صفات أهل الحقّ ، فلا نقصد الجدل والتنظير الفكري، أو الحديث عن نظريات فلسفية، وإنما نقصد الإيمان الفاعل المؤثر الذي ينبثق عنه تصور صحيح لمفهوم الصراع بين الحق والباطل، فالعقيدة هي التي" توحد شعور الناس، وتجعلهم يتعاطفون ويقاتلون لهدف معين معروف، وقد انتصر المسلمون بفعل هذه العقيدة في كل معركة خاضوها تحت لواء تلك العقيدة "(١). وقد أصبح من البدهي" أن استقرار هذه العقيدة في أعماق النفس يجعلها عزيزة لا تذل،وتقف أمام كل قوى الأرض، لا ترهب سلطانًا ولا تضعف أمام صولة المُلك وإغراء المال، وهي التي ترفع الإنسان من أوحال الأرض، وتدفع اتباعها في أتون المعارك تاركين أهلهم دون معيل إلا الله تعالى"(٢)

وإذا ما أردنا أن نستقرئ آيات الكتاب وجدنا أن الإيمان هو الذي يفجر الطاقات البشرية، وهو الذي يستحثها ويدفعها إلى الجهاد والقتال، ثم يقودها إلى النصر والتمكين، فهو الذي يحفز المسلم على البذل والعطاء، ويخلق فيه مقومات النصر، بل هو الذي يؤهل الإنسان حتى يكون منتصرًا.

والإيمان هو الذي يولد في المسلم الثقة بالله والاعتزاز به سبحانه، ويزيل من النفس البشرية كل المعوقات كالتردد والتراجع والنكوص،" ففي أعقاب غزوة أحد، ندب رسول الله ﷺ أصحابه

(١) خطاب ، محمود شيت ، الرسول القائد ، دار الفكر، ط٥ ، ١٩٧٤م ، ص٣٨٤.

(٢) عزام ، عبد الله ، العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، مكتبة الأقصى عمان ،ط٣، ١٤٠٠هـ،ص٤٠.

إلى اللحاق بقريش، فلبوا النداء حتى أتوا حمراء الأسد(١)، وأقاموا فيها، وبينما هم على ذلك جاءهم دسيس(٢) أبي سفيان(٣) ،يريد تثبيطهم قائلاً: نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج وعصيتمونا، وقد قاتلوكم في دياركم وظفروا، فإن أتيتموهم في ديارهم فلا يرجع منكم أحد(٤) ،لكن هذا القول ما زادهم إلا إيمانًا وثقة بالله ، فلم يلتفتوا إلى تخويفهم، بل حدث في قلوبهم عزم وتصميم وزاد شعورهم بعزة الله وعظمته وسلطانه. قال تعالى: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٧٣]

وتكرر الموقف في غزوة الخندق، فقد أطبق عليهم الكفر بخيله ورجله وأحاط بهم الأحزاب حتى زلزل المؤمنون في مواجهة الهول، والخطر، لكن النفوس المؤمنة اتخذت من هذا الزلزال مادة للطمأنينة والثقة بالله،وسببًا لانتظار النصر(٥)، قال تعالى: {وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:٢٢]

والنصر لا يتأتى إلا بعد الجهاد والتضحيات، ووقود المعارك الفاصلة دومًا هم المؤمنون الصادقون، قال تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾} [سورة الحجرات ٤٩/:١٥] ، وقال سبحانه: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:٢٣]

---

(١) موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة، انتهى إليه رسول الله ﷺ في طلب المشركين،انظر: الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر - بيروت، (٣٠١/٢).

(٢) هومن يُرسَل سراً ليأتي بالأخبار فيقال فلان دسيس قومه ، المعجم الوسيط ، (٢٨٣/١).

(٣) أبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مشهور باسمه وكنيته وكان يكنى أيضا أبا حنظلة وأمه صفية بنت حزن الهلالية عمة ميمونة زوج النبي ﷺ وكان أسنّ من النبي ﷺ بعشر سنين وقيل غير ذلك بحسب الاختلاف في سنة موته ، أسلم أثناء فتح مكة وشهد حنيناً والطائف،(ت٣١هـ)،انظر: ابن حجر العسقلاني ،الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ،دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ،(٤١٢/٣- ٤١٤).

(٤) انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (٢٨٠/٤ -٢٨١).

(٥) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤١٥/٣).

وقد أثبتت التجارب الطويلة من الصراع أن الثبات في المعارك لا يستطيعه إلا أصحاب العقائد، فهو محصلة الإيمان وثمرته أثناء القتال، قال تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٢٥١﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٥٠-٢٥١] وفوق كل هذا فإن الإيمان يحقق للمؤمنين ولاية الله لهم فهو وليهم وناصرهم ومؤيدهم، قال تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾} [سورة محمد ٤٧/:١١] ، كما تكفل سبحانه بالدفاع عن المؤمنين، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴿٣٨﴾} [سورة الحج ٢٢/:٣٨] .

"إنّ المتدبر في كتاب الله تعالى ليقف على كثير من الآيات القرآنية التي تشير إلى قوة الإيمان أو أثره في حياة الفرد أو الجماعة المؤمنة وما يترتب عليه من تحقق النصر للمؤمنين على عدوهم، بفضل ما لديهم من نصيب إيماني راسخ في النفوس، وصدق في التوكل على الله تعالى، وقوة يقينهم بمعية الله التي تحوطهم وتذود عنهم كيد العدو، فيحملهم ذلك إلى التضحية والفداء، والصبر على البلاء، وبذل النفس والنفيس فداءً لهذا الدين، وذوداً عن حياض الإسلام العظيم، فيتصدّون للباطل بحزم وثبات، وقوة وعناد، فيكتب الله لهم الظفر والتمكين، وينقلب العدو خاسئاً ذليلاً"(١).

وقد تناول السياق القرآني هذه المعاني بصور متعددة نذكر منها ما يلي:

١- الإيمان سبب في الحياة الطيبة:-

فالحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة، ليست أبداً في ذلك الجانب الذي يزعمون؛ وإنما هي في الإيمان بالله والتمسك بكتابه، قال تعالى: {فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾} [سورة طه:١٢٣-١٢٤] أي: أن الذي يتبع هدى الله لا يضل ولا يشقى، فهو على الصراط والطريق المستقيم وعلى الحق؛ وأيضاً لا يشقى بتسليط أعداء الله عليه، ولا بفقر، ولا ببلية لاحقة بعذاب من عند الله يرسله عليه، وأيضاً إن من لم يسر على الصراط المستقيم وأعرض عن ذكر الله فله من المعيشة الضنك بقدر

(١) عبد السلام اللوح ، القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع، ص٧.

إعراضه عن ذكر الله. يقول سيد قطب :"والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ،ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع .إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه . ضنك الحيرة والقلق والشك ، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله . وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها . إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة ، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان "(١)

وعكس ذلك قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [سورة النحل:٩٧]. "فهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا -وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله -بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة"(٢).

إذن فإن طيبة الحياة وسعادتها بقدر الإيمان، وشقاوتها ونكدها بقدر الإعراض عن ذكر الله تبارك وتعالى، فهذه قاعدة مقررة، وليست العبرة بكثرة ذات اليد ولا بالقلة؛ مع أن لها جانباً كبيراً لا يغفل، لكن ليست العبرة والأساس بها، وإنما هو في اتباع هدى الله سبحانه وتعالى واتباع ما أنزل الله عز وجل.

٢- الإيمان يجلب النصرللمؤمنين:

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾} [سورة الروم ٣٠/:٤٧] ،ففي هذه الآية " تبشير للرسول وأمته بالنصر والظفر وفي لفظ (حقاً) مبالغة في التحتم ، وتكريم للمؤمنين ، وإظهار لفضيلة سابقة الإيمان ، حيث جعلهم مستحقين النصر والظفر"(٣).

وقال: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [سورة الصافات:١٧٣] يقول الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية : "وأما النصرة والغلبة فقد تكون بقوة الحجة ، وقد تكون بالدولة والاستيلاء ، وقد تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وإن صار مغلوباً في بعض الأوقات بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو

---

(١) قطب ، في ظلال القرآن ،(١٤١/٥).
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٦٠١/٤).
(٣)أبو حيان ، البحر المحيط ، (١٧٣/٧).

الغالب "(١) . وقال سبحانه أيضاً : {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾} [سورة غافر ٤٠/:٥١] فالآيات السابقة تؤكيدٌ على أنّ الإيمان سبب لنصرة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من المؤمنين.

٣- بالإيمان والتقوى يحصل الرخاء : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾} [سورة الأعراف:٩٦] أي"لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمنوا واتقوا أي : آمنوا بما دعاهم إليه رسلهم من عبادة الله وحده بما شرعه من الأعمال الصالحة ، واتقوا ما نهوهم عنه من الشرك والفساد في الأرض بالظلم والمعاصي كارتكاب الفواحش ، وأكل أموال الناس بالباطل : لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، والمعنى : لفتحنا عليهم أنواعا من بركات السماء والأرض لم يعهدوها مجتمعة ولا متفرقة"(٢).

٤- الإيمان القوي عدة النصر الرئيس لا العدة والعدد فحسب:

قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٤٩] ، "والمعنى أنه لا عبرة بكثرة العدد إنما العبرة بالتأييد الإلهي ، والنصر السماوي ، فإذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة ، وإذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة"(٣) .

ففي الآية السابق يتبين مدى ارتباط النصر بالإيمان، فمهما بلغت قوة أهل الباطل من الجند والعتاد وإن كانت الفئة المؤمنة من أهل الحق ذات الإيمان القوي المتجذر في القلوب قليلة العدد والعدة ، فالفئة المؤمنة القليلة هي المنتصرة - بإذن الله عزّ وجلّ -.

يقول سيد قطب :"وَوَعْدُ الله بنصر الفئة المؤمنة - ولو قلّ عددها - سنة ماضية لم تتوقف ولن تتوقف، وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة؛ وتثق في ذلك الوعد؛

---

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (١٥٨/١٣).

(٢) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ،(٢٣/٩).

(٣)الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٤١٧/١٣).

وتعد للأمر عدته التي في وسعها، وتصبر حتى يأذن الله، ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليها الأمد المغيب في علم الله "[1].

٥ـ التمكين والاستخلاف في الأرض لأهل الإيمان:

قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة النور:٥٥] ، يبين ربّ العزة في هذه الآية الكريمة بأنّ التمكين والاستخلاف في الأرض يشترط له الإيمان أولاً ثمّ العمل الصالح، "فهو وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة ، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار"[2]، وفي نهاية المطاف الغلبة والتمكين لن تكون إلا لأهل الإيمان صبروا وصدقوا ربهم ـ عزّ وجلّ ـ، فالمؤمن كلما ازداد قرباً من الله، واشتد إيمانه، وقوي يقينه، وكان في دينه صلابة تقود إلى الصبر والتضحية في سبيل الله، فعندها يكون النصر والتمكين".

٦ـ لا سبيل للكفر على الإيمان:

قال تعالى:{وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾} [سورة النساء ٤/:١٤١] ، "إنه وعد من الله قاطع ـ وحكم من الله جامع : أنه متى استقرت حقيقة الإيمان في نفوس المؤمنين؛ وتمثلت في واقع حياتهم منهجاً للحياة ، ونظاماً للحكم ، وتجرداً لله في كل خاطرة وحركة ، وعبادة لله في الصغيرة والكبيرة ـ ـ فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً[3].ويضيف الشيخ الشعراوي قائلاً "وهذه نتيجة لحكم الله، فلا يمكن أن يحكم الله للكافرين على المؤمنين. ولن

---

(١) انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، (٣٤٢/١).

(٢)السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص٥٧٣ .

(٣) انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، (٢٦٥/٢). الجزائري ، أبو بكر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، (٣٠٩/١).

يكون للكافرين حجة أو قوة أو طريق على المؤمنين. ولكن هذه القضية تخضع في الدنيا للأخذ بالأسباب في ، فمن أخذ بالأسباب فنتائج الأسباب تعطيه؛ لأن مناط الربوبية يعطي المؤمن والكافر، فإن أخذ الكافرون بالأسباب ولم يأخذ المؤمنون بها، فالله يجعل لهم على المؤمنين سبيلاً، وقد ينهزم المؤمنون أمام الكافرين (إن هم تركوا الأخذ بالأسباب) "(١).

٧- لا سبيل للوهن مع الإيمان:

قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٣٩] ،

وقال: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾} [سورة محمد ٤٧/:٣٥]

فقوله :{ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا }"فيه تسلية من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم ، يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ، ولا تبالوا به ،ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح"(٢) {وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ } وما دام أنتم الأعلون . فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم . "فأنتم الأعلون اعتقاداً وتصوراً للحياة . وأنتم الأعلون ارتباطاً وصلة بالعلي الأعلى . وأنتم الأعلون منهجاً وهدفاً وغاية . وأنتم الأعلون شعوراً وخلقاً وسلوكاً . . ثم . . أنتم الأعلون قوة ومكاناً ونصرة . فمعكم القوة الكبرى : { والله معكم } . . فلستم وحدكم . إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار . وهو لكم نصير حاضر معكم . يدافع عنكم . فعلام يهن ويضعف ويدعو إلى السلم ، من يقرر الله - سبحانه - له أنه الأعلى . وأنه معه . وأنه لن يفقد شيئاً من عمله"(٣).

ففي هذه الآيات الكريمة بيان وجوب شعور المؤمنين باستعلائهم على من سواهم من الكفار والمنافقين، وذلك بفضل ما ينعمون به من إيمان قوي وولاء لله تعالى، إذ السنة في أتباع الأنبياء من حواريين وأحبار وصحابة وصالحين، ألّا يعرف الوهن والضعف إلى نفوسهم سبيلاً، مهما نال الباطل منهم في جولة، فإنّ للحق جولات، وإنها لكبيرة في حق المؤمنين الصادقين أن يجد الوهن طريقه إلى قلوبهم فيبادروا بطلب السلم والمهادنة مع الأعداء"(٤).

---

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي، ص٦٢٨ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، (٣٢٦/١).

(٣) انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٥٥/٦).

(٤) اللوح ، عبد السلام ، القوة الإيمانية ، ص١٠ .

" إن التماس المسلمين للعقيدة الصحيحة كان من أهم العوامل في انتصارهم، وإذا ما انحرفت هذه العقيدة عن أصولها فسوف تكون حائلاً دون تحقيق النصر، وعاملاً من عوامل الهزيمة والضعف"(١).

وخلاصة القول :إن الإيمان يلعب دورًا محوريًا في تحقيق النصر، فهو الذي يهيئ أسباب النصر، وهو الذي يحفز الطاقات ويفجرها.

المطلب الثاني:- الطاعة لله ورسوله:

لقد أمرنا ربنا عزّ وجلّ بطاعته وطاعة رسوله ،وحذرنا من عصيانه، والطاعة هي ضد المعصية ، وهي موافقة الأمر طواعاً، وتشمل كل ما فيه رضىً وتقرب إلى الله، وهي تجوز لغير الله(٢).

وجاءت آيات كثيرة تحث على ذلك،ومن هذه الآيات:

١-قال تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾} [سورة النساء ٤/:١٣-١٤]

ويقول الإمام الرازي - رحمه الله تعالى - في معنى طاعة الله عند تفسيره لقوله تعالى :{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } [سورة النساء ٤/:١٣] " أنّ اللفظ عام يشمل كل التكاليف غير مختص بالتكاليف الواردة في الآية"(٣).فطاعة الله تتمثل في تنفيذ أوامره واجتناب زواجره سبحانه وتعالى.

٢-قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:٣٦] .

فهذه الآية فيها تمحيص وابتلاء، لتضع المؤمن على محك الإيمان الصحيح،ليتبين صادق الإيمان من ضده،إنها تكشف حقيقة الإيمان عندما يصطدم أمرُ الله وأمرُ رسوله بهوى النفس ووسوسة الشيطان،فمن انتصر على نفسه وخالف هوى الشيطان فإنه سينتصر على عدوه بكل

---

(١) الجندي، أنور ، بماذا انتصر المسلمون ، مؤسسة الرسالة- بيروت ، ط٣ /١٤٢٠هـ ،ص١٧.
(٢) انظر: المناوي ،محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف ،تحقيق : محمد رضوان الداية ،دار الفكر المعاصر - بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ص٤٧٧. والجرجاني ، التعريفات ، ص١٨٢.
(٣) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (١٨٤/٩).

سهولة،وأما من استسلم واستجاب لدعاة الشر والسوء والمنكرات،كان ممن خسر دنياه قبل آخرته.

فأهل الحق إذا جاءهم أمر من ربهم سبحانه وتعالى،قالوا سمعنا وأطعنا.

وعن حكم طاعة الرسول يقول ابن تيمية: " ولقد تمثل إجماع الأمة على وجوب طاعة الرسول واتباعه في اعتبار السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع ، وذلك بعد المصدر الأول وهو القرآن الكريم"(١).

وقال في موضع آخر: " وقد أمر الله بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقَرَن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه"(٢).

وإنّ ما يزيد الأمر وضوحاً وتأكيداً هو قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾} [سورة الأنفال ٨/:٢٠] ، قال البيضاوي: (أي ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول)(٣).

ويؤكد الزحيلي على أهمية الطاعة ومدى ارتباطها بالإيمان فيقول :" الإيمان يستلزم الطاعة فالمؤمن باللّه يؤمن بصدق لقائه، ويسمع ويطيع أوامره، ويتجنّب نواهيه، فلا يقصر في واجب ولا ينغمس في معصية، فذلك يتصادم مع الإيمان(٤).

ويرى الباحث أنّ المؤمنين(أهل الحق) يلتزمون طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله، بالرغم مما يصيبهم من مكروه، وهذا ما وضحته الآية الكريمة؛ حيث قال تعالى {ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾} [سورة آل عمران:١٧٢] قال الرازي: " إنهم أجابوا وأطاعوا الله في أوامره وأطاعوا الرسول من بعد ما أصابهم الجراحات القوية"(٥).

ويقول السعدي: " فإنّ حياة القلب والروح بعبودية الله ـ تعالى ـ ولزوم طاعته وطاعة رسوله

---

(١) انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، (٣٣٩/١١).
(٢) المرجع السابق ، (١٠٣/١٩)
(٣) البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (٩٨/٣).
(٤) الزحيلي ، التفسير المنير ، (١٣٦/٣) .
(٥) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٨٠/٩).

على الدوام"[1].

قلتُ: إنّ استجابتهم لله ورسوله بعد ما أصابهم القرح لتَدل دلالة واضحة على صدق إيمانهم إذ أنّ التزام الطاعة والثبات عليها بعد المصيبة والمكروه لا تكون إلا من أهل الإيمان (أهل الحق) ؛إذ أنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - معهم في الميدان يأمرهم بأمر الله وينهاهم بنهيه وهم يستجيبون لذلك ،فكان بحقٍ لهم الأجر العظيم من الله - عزّ وجلّ - جزاءً لطاعتهم لله ورسوله.

أهم ثمرات طاعة الله ورسوله:

من خلال استعراض الآيات التي تطرقت إلى موضوع طاعة الله ورسوله نجد أنّ لهذه الطاعة ثماراً ونتائجاً ، ومن أهمها:

١) نيل محبة الله - عزّ وجل - ؛ حيث قال سبحانه وتعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾} [سورة آل عمران:٣١] ، يقول الإمام النسفي عند تفسيره لهذه الآية: " محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك"[2]. ويضيف الشيخ الشعراوي: " وعلى الإنسان أن يبحث عن تكاليف الله ليقوم بها، طاعة منه وحباً لله، ليتلقى محبة الله له بآثارها، من عفو، ورحمة، ورضا"[3].

٢) الطاعة سبب إطالة آجال الطائعين، أليس هو القائل في كتابه العزيز: {أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾} [سورة نوح ٧١:٣-٤] ، يقول الإمام أبو السعود عند تناوله هذه الآية في تفسيره: " هو الأمد الأقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإنّ وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخراً لا يجاوزونه إنْ لم يؤمنوا"[4].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص٣١٨.

(٢) النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق : مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥، (١٥٥/١).

(٣) الشعراوي ، تفسير الشعراوي، ص٤٢٣.

(٤) أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي - بيروت،(٣٦/٩).

٣) الفلاح والفوز في الحياة الدنيا والآخرة، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى في سورة النور: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾} [سورة النور ٢٤/:٥١] ، فعندما استجابوا لله عز وجل وسمعوا الدعاء وأطاعوا بالإجابة والقبول جاءت فاصلة الآية التي تليها تبين جزاء المطيع بقوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾} [سورة النور ٢٤/:٥٢] ، " أي بالنعيم المقيم لا مَن عداهم، فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة المنعمون في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"(١) . اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم إنك ربنا وربهم.

٤) الرحمة ، فطاعة الله وطاعة رسوله سبب في نزول رحمة الله على الطائعين،حيث يقول رب العزة: {وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾} [سورة التوبة ٩/:٧١] ، يبين الشيخ سعيد حوّى - رحمه الله تعالى -في هذه الآية "أنهم كانوا طائعين لله وللرسول في كل أمر ونهي؛ لذلك وعدهم بالرحمة بما اتصفوا من هذه الصفات"(٢). كذلك قال سبحانه: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٣٢] .

ولا شك أنّ هناك آثاراً أخرى لا يتسع المقام لذكرها، منها الهداية والصلاح ،ورفع الدرجات،وغيرها.

أثر الطاعة على نصرة أهل الحق:

إنّ للطاعة أثراً عظيماً في حياة المؤمنين ، لا سيما وقد تحقق النصر لهم على العدو، فلو تأملنا قوله تعالى: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٥٠] لوجدنا أنها جاءت عقب النهي عن طاعة الكافرين، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٤٩] ، فهذه الآية نهت عن طاعة الكافرين ؛لأنّ طاعتهم تورث الخسران في الدارين، وأنّ عدم طاعتهم تجلب النصر والتمكين من الله -عزّ وجلّ - ، كيف لا وقد قال: {وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٥٠]؟.

---

(١) الجزائري ، أبو بكر ، أيسر التفاسير، (٦٦/٣).

(٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير ، دار السلام - القاهرة ، ط : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، (٤٧٩/٤).

الخلاصة:

يرى الباحث أنّ طاعة الله ورسوله صفة من صفات أهل الحق ، فالطاعة هي موافقة الأمر وتستلزم الالتزام بكل ما أمر به الله ـ عزّ وجلّ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من إقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم وحج وأمر بمعروف ونهي عن منكر وجهاد في سبيل الله وغيرها، كما أنّ الطاعة لها فضل كبير وثواب جزيل، فالطاعات ترفع الدرجات ويحظى صاحبها بالفوز بسعادة الآخرة ، وهي سبب في جلب الخير والرحمة،لذا فأهل الحق هم الذين التزموا بطاعة الله ورسوله،ولقد أمر سبحانه بوجوب طاعة رسوله،بل جعل طاعة الرسول من طاعته ومعصيته من معصية الله فكلٌ منهما مكمل للآخر لا ينفك عنه.

لذا فالمؤمن الصادق هو من التزم طاعة الله ورسوله واتبع شرائعه وأوامره ، واجتنب نواهيه فكان بحق يستحق النصر والتمكين.

المطلب الثالث:- الأخلاق الحسنة:

تحتل الأخلاق في حياة المسلم مكانة عالية ، ولقد أهتم الإسلام بالأخلاق، لأنها أمر لا بد منه لدوام الحياة ، ومن هذا المنطلق وجب على المسلم التحلي والتجمل بالأخلاق الحسنة ، فهي مقصد عظيم من مقاصد بعثة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي أكرم الله بها الإنسان في الأرض كلها ، وخص المؤمنين بخصيصة منها ليست لسواهم ، حيث هداهم بها إلى الصراط المستقيم ، وزكى نفوسهم ، وعلَّمهم ما لم يكونوا يعلمون : {هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢} [سورة الجمعة:٢] .

والتزكية المذكورة في الآية الكريمة تشمل تزكية النفس وتربيتها على معالي الأخلاق ، وتنقيتها من رديئها .. ففي هذه الآية كما في غيرها من الآيات الأخرى تبدو الأخلاق مقصداً من مقاصد بعثة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بل من أبرز مقاصدها . يقول الإمام الرازي ـ *رحمه الله* تعالى ـ: "{ وَيُزَكِّيهِمْ } أي يطهرهم من خبث الشرك ، وخبث ما عداه من الأقوال والأفعال ، أو يصلحهم ، يعني يدعوهم إلى اتباع ما يصيرون به أزكياء أتقياء"(١)،ويضيف سيد قطب معلقاً على آية الجمعة : " وإنها لتزكية وإنه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول صلى الله عليه وسلم تطهير للضمير والشعور ، تطهير للعمل والسلوك ، وتطهير للحياة الزوجية ، وتطهير للحياة الاجتماعية . تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد؛ ومن

---

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٣٤٥/١٥).

التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح ، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح . وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني . ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة الكسب الحلال . . إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع . تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه ، ويتعامل مع الملأ الأعلى؛ ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملأ العلوي الكريم "(١).

إذ أنّ الأخلاق هي قوام المجتمع ،إذا التزم بها أفراده فإنّه يؤدي إلى رفعته وعلو شأنه ، وهو رأس الأمر فيها ، ولذا كان ثناء ربنا عزوجل على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمدح خُلُقه العظيم، حيث قال تعالى : {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة القلم ٦٨/:٤] ، وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خُلُقاً))(٢).

ولقد أمر سبحانه عباده المؤمنين أن يقتدوا بأخلاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كل أمورهم ، فكانت سبباً فيصلاً في تحقيق النصر المؤزر على أعدائهم والتمكين لهم في الأرض.

وأهمية الأخلاق في المجتمع المسلم تعود إلى عظم أثرها في تقوية الرابطة بين أفراد المجتمع المسلم، لذلك ورد الإيضاح والتفصيل لها في كثير من آيات الكتاب، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم. فإن من أكبر الوسائل في التأثير على القلوب والنفوس هو التميز في الأخلاق المتمثل في القدوة الصالحة بل هو أعظم وسيلة لنشر الإسلام في كل مكان . ومن تتبع سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجد أنه كان يلازم الخلق الحسن في سائر أحواله ، وخاصة في دعوته إلى الله تعالى فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل حسن خلقه عليه الصلاة والسلام ، فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم.

يقول الدكتورعبد الكريم زيدان: "كثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق، أمراً بالجيد منها ومدحاً للمتصفين به، ومع المدح الثواب، ونهياً عن الرديء منها، وذم المتصفين به، ومع الذم العقاب. ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق أمر مهم جداً لا يستغني عنه المسلم وأن مراعاة الأخلاق تلزم المسلم في جميع الأحوال، فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها في سوره المكيّة والمدنية على حد سواء"(٣)، ولهذا فقد جعلها المولى ـ عزّ وجل ـ

---

(١) قطب ، في ظلال القرآن ،(٢٠٢/٧ ـ٢٠٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب ،باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل،(٢٢٩١/٥)، حديث رقم(٥٨٥٠).

(٣) زيدان ، عبد الكريم ، أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط: الثانية، ص٨٢ .

مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم كما حصل مع الأمم السالفة.

إن الإسلام يدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع ، وسادت فيه الرذائل والأخلاق السيئة كالخيانة والغش ، والكذب والسرقة ، وسفك الدماء ، والتعدي على الحرمات والحقوق بكل أنواعها ، وتلاشت المعاني الإنسانية في علاقات الناس ، فلا محبة ولا مودة ، ولا نزاهة ولا تعاون ، ولا تراحم ولا إخلاص . إنه بلا شك سيكون المجتمع جحيماً لا يطاق ، ولا يمكن للحياة أن تدوم فيه ، لأن الإنسان بطبعه محتاج إلى الغير ، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والأنانية والانتقام

ونظراً لأهمية الأخلاق ،فإنّ لها صلة وثيقة بموضوع الإيمان ، فإذا رسخت هذه الأخلاق في نفوس أهل الحق، وتمكنت من قلوبهم ،فإنها تدل على قوة إيمانهم ، وإذا اضطربت وتزعزعت هذه الأخلاق ، دلت على ضعف الإيمان في النفوس. فكلٌ منهما مرتبط بالآخر ارتباطاً وثيقاً ، فوجود أحدهما يلزم منه وجود الآخر ، وعدمه يقتضي عدم وجود الآخر، فالمسلم الحق هو الذي يجعل من الخلق الحسن ملكة وسجية تصاحبه كل حين، حيث تكون سلوكاً تظهر في أفعاله وأقواله ، لا تنفك عنه البتة، وقال الحسن البصري[1] ـ رحمه الله تعالى ـ "معالي الأخلاق للمؤمن، قوة في لين وحزم في دين وإيمان في يقين وحرص على العلم واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة وقناعة في الفاقة ، ورحمة للمجهود وإعطاء في كرم وبر في استقامة "[2]

لذا سأتحدث في هذا المطلب عن نبذة مختصرة عن الأخلاق لكونها صفة مهمة من صفات أهل الحق، ثم سأفرد الحديث عن أنسب خلق يتعلق بموضوع الدراسة ألا وهو خُلُق الصبر، وإنّ الحديث عنه لا يعني عدم الحاجة لغيره من الأخلاق ،بل إنّ الخوف من الإطالة في موضوع الدراسة هو الذي دفعني إلى أن أختار أهم وأنسب الأخلاق التي لا بدّ أن يتحلى بها أهل الحق ، حتى يُكتب لهم النصر والتمكين،وذلك لا ينفي اتصافهم بأخلاق أخرى ،كالصدق وبذل المعروف والحلم والرحمة وغيرها،فهي لا تقل أهمية عن خُلُق الصبر، فكلها سببٌ في تحقيق وجلب النصر والتمكين على أهل الباطل .

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، كان من أعلم الناس بالحلال والحرام، وقد عرف بالزهد والشجاعة ، توفي سنة ١١٠هـ . انظر: الذَهَبي ، سير أعلام النبلاء ، (١٣٥/٨ـ ١٥٨)، ابن حجر العسقلاني ،أحمد بن علي ، تهذيب التهذيب (٢٣١/٢).

(٢) السفاريني ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت:١١٨٨هـ) ، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ،مؤسسة قرطبة ـ مصر،الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م ،(٧٧/٢).

تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً:-

الأخلاق لغةً:- الأخلاق جمع خُلُق بضم الخاء المعجمة، وبضم اللام وبسكونها ، والخلق يطلق في اللغة على معانٍ هي : الدين ، والطبع ، والسجية والمروءة، مأخوذة من الخَلْق، وهو التقدير[١].

قال ابن فارس[٢]: " الخاء واللام والقاف : أصلان : يدل أحدهما على تقدير الشيء والآخر على ملامسته، أما الأول : فيقال فيه : خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته ، ومن ذلك الخُلُق ، وهي السجية؛ لأن صاحبها قد قدّر عليه، وفلان خليق بكذا، وأخلق به، وما أخلقه! أي هو ممن يُقدر فيه ذلك.

أما الأصل الثاني : فيقال فيه : صخرة خلقاء أي ملساء،ومن هذا الباب : أخلق الشيء وخلِق إذا بلي"[٣].

تعريف الأخلاق اصطلاحاً :-

الخُلُق : حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية[٤]

وعرفه الغزالي بأنه : "هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً فسميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"[٥].

ومن أجمع التعاريف وأحسنها التي جمعت بين عناصر الخلق كلها تعريف العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - حيث قال : "هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية ، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها"[٦].

وإذا عرف المسلمون أهمية الأخلاق في حياتهم وتخلقوا بأخلاق الأنبياء عندها يسهل عليهم رد كيد الأعداء ومؤامراتهم وشبههم التي يُراد منه نشر الرذائل بين أبناء المسلمين ، فيحفظوا دينهم وعقيدتهم من أن تلوث بمساوئ الأخلاق.

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب، (٨٥/١٠)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، (٣/ ١١٣٧).

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (اللغوي والأديب)، من أشهر مصنفاته : معجم مقاييس اللغة (ت:٣٩٥هـ) . انظر: ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، (١٥٦/١)، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، (٩٣٨/١).

(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (٢١٣/٢-٢١٤).

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، تحقيق ، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (٢٥٢/١).

(٥) الغزالي ، الإحياء ، (٥٣/٣).

(٦) ابن قيم الجوزية،التبيان في أقسام القرآن ، دار الفكر، ص١٣٢.

ونظراً لأهمية الأخلاق الحسنة يرى الباحث أنّ المسلم يجب أن يستمدّ خُلُقه من كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا يجعل خلقه حسب هواه، بل لا بد أن يكون سجيّة ومَلَكة يُعْرف ويُميّز به ، مقتدياً برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،حيث كان قرآناً يمشي على الأرض.

إذن، وبعد الحديث عن معنى الأخلاق في اللغة والاصطلاح ،وعن أهمية ومكانة الأخلاق في حياة أهل الحق ،سأفرد الحديث عن أهم خُلُق يتصف به أهل الحق حتى يتحقق لهم النصر والتمكين ،وهو خلق الصبر، كيف لا ؟ وهو نصف الإيمان،وهو الضياء الذي ينير لأهل الحق دربهم.

خُلُق الصبر :

أولاً:ـ تعريف الصبر لغة واصطلاحاً:ـ

الصبر لغةً : هو المنع والحبس، وهو نقيض الجزع، يقال : صبر صبراً فهو صابر وصبَّار وصبِّير وصبور . وسمي الصوم صبراً ، لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح(١).

وفي الاصطلاح : هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله ، لا إلى الله ؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله : {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾} [سورة ص ٣٨/:٤٤] ، مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله : {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾} [سورة الأنبياء ٢١/:٨٣] (٢) .

وعرّفه الراغب بقوله: الصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه(٣).

الخلاصة :الصبر:"هو خلق فاضل من أخلاق النفس يُمتنع به من فعل ما لايحسن ولا يجمل. وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها "(٤).

ثانياً:ـ حقيقة الصبر:ـ

يقول الطاهر ابن عاشور: "الصبر هو منع المرء نفسه من تحصيل ما يشتهيه أو من محاولة تحصيله ،إن كان صعب الحصول فيترك محاولة تحصيله لخوف ضر ينشأ عن تناوله كخوف غضب الله أو عقاب ولاة الأمور ، أو لرغبة في حصول نفع منه ، كالصبر على مشقة الجهاد والحج رغبة في الثواب والصبر على الأعمال الشاقة رغبة في تحصيل مال أو سمعة أو نحو ذلك"(٥) .

---

(١) انظر: ابن منظور ، لسان العرب ،(٤/٤٣٧ـ ٤٣٨).

(٢) الجرجاني ، التعريفات ، ص١٧٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ، (١/٥٦٥).

(٤)ابن قيم الجوزية ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت،ص٨.

(٥) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، (٣٠/٥٣٣).

وفي هذا المقام يقول ابن القيم عن الصبر إنّه: "حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي"(١).

وقال في موضع آخر:" الصبر ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة ومعنى هذا أن الطبع يتقاضى ما يحب وباعث العقل والدين يمنع منه والحرب قائمة بينهما وهوسجال(٢).

قلتُ :- فبالجمع بين تلك الأقوال كلها ،و بالإضافة إلى المعنى اللغوي يتبين لنا منها دلالة معنى الصبر على الحبس ، فالمسلم يحبس نفسه ويمسكها بالجوارح كافة حتى لا يصدر منها شيءٌ مخالف للشرع.

ولقد اهتم الإسلام بالصبر ، ورفع منزلته ، وأثنى على المتحلين به، وهذا يدل على عظم أمره، لأنه أساس كثير من الفضائل، بل هو أصلها، فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه، فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد، والعفاف هو الصبر عن الشهوات، والحلم هو الصبر على المثيرات.

لهذا أحب الله سبحانه وتعالى الصابرين فقال عز وجل : {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٤٦] .وقال تعالى : {وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾} [سورة النحل ١٦/:٩٦] .وأخبر سبحانه وتعالى أنهم ينالون مزيداً من الفضل والرحمة والثواب في الدنيا والآخرة، فقال : {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾} [سورة الزمر ٣٩/:١٠] .

كما أخبر الله تعالى أن الصبر من الخصال العظيمة التي يجب أن يتصف بها المؤمنون فقال عز وجل : {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٨٦] .

وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم، فقال تبارك وتعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [سورة البقرة ٢/:١٥٧] .

فالصبر وحده هو الذي يعصم من التخبط، ويجعل المسلم يسير متزناً وفق منهج الإسلام في كل شؤون الحياة، فلابد أن يوطن المسلم نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، وكان الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ممن برز في هذه الفضيلة، وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل، ولذلك خاطب الله نبيه الخاتم صاحب الخلق العظيم ﷺ، وأمره بالصبر، فقال تعالى : {فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾} [سورة الأحقاف ٤٦/:٣٥] .

---

(١)ابن قيم الجوزية ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ،ص٧.

(٢) المرجع السابق ، ص١١.

فنبينا محمد ﷺ ، أوذي أذىً شديداً ولقي من قومه ما لقي من البلاء، فصبر، واحتمل ، وبلّغ رسالة ربه، حتى أتاه اليقين.

يقول الماوردي[١] : "فقد لقي بمكة من قريش وغيرهم ممن كان يدعوهم إلى الله أو يطلب منهم حمايته ليؤدي رسالة الله ما يشيب النواصي ، وهو مع ذلك صابر صبر المستعلي ، وثابت ثبات المستولي"[٢].

ثالثاً:- أنواع الصبر:-

يقول الإمام الغزالي : "والصبر ثلاثة أنواع : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على البلاء ، وذلك هو الحياة كلها، لذلك كان الصبر نصف الإيمان؛ لأنه ما من مقام من مقامات الإيمان إلا ويلازمه الصبر.

فالمؤمن يحتاج إلى الصبر على الطاعة ؛ لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية، وهي شاقة على النفس مطلقاً، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل، كالصلاة ، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

ومن أنواع الصبر:الصبر عن المعاصي وهي مقتضى باعث الهوى، وما أحوج العبد إلى الصبر عنها. وقد جمع الله أنواع المعاصي في قوله تعالى: {وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل ١٦/:٩٠] . وأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي أصبحت مألوفة بالعادة.

وأما النوع الثالث من أنواع الصبر فهو الصبر على المصائب والأقدار، مثل موت الأعزة، وهلاك الأموال ، وزوال الصحة بالمرض . فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر.

والمؤمن بحاجة إلى الصبر أمام مواجهة المصائب التي تجري عليه بأن يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ويحبس نفسه عن الجزع والتسخط؛ لأن الصبر على المصائب ثمرة من ثمار الإيمان بالقدر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة"[٣].

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي :أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء، له العديد من المؤلفات أشهرها:النكت والعيون في التفسير، والأحكام السلطانية . الزركلي ، الأعلام ، (٣٢٧/٤) بتصرف.

(٢) انظر: الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، أعلام النبوة ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي - بيروت،الطبعة الأولى ، ١٩٨٧،ص٢٥٤.

(٣) انظر : الغزالي ، إحياء علوم الدين ،(٧٠/٤-٧٣).

قلتُ: وأقرب الأنواع لموضوع الدراسة هو النوع الأول، وهو أنّ الصبر صبرٌ على مشقة أداء الواجبات ، ومن هذه الواجبات ،الجهاد في سبيل الله ـ عزّ وجلّ ـ ،وهذا يستلزم المشقة وحبس النفس والتضحية في سبيل الله بالمال والنفس، عندها يميز الله الصابر من غيره.

الصبر صفة من صفات أهل الحق:-

نظراً لأهمية الصبر جمع الله بينه وبين التقوى في آية واحدة ؛حيث قال سبحانه: {وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ ﴿١٢٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٢٠] ، " ويرشدهم سبحانه إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم"(١). وكذلك الصبر والتقوى شرط لنفيّ الضر عن المسلمين ، وفيه تسلية وتقوية لنفوسهم(٢).

قلتُ: وبناءً على ذلك فإنّ النصر لا يتحقق إلا بالصبر؛ ودليل ذلك قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : { فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٣٤﴾} [سورة الأنعام ٦/:٣٤] .قال ابن كثير: " إن هذه الآية جاءت تسلية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة(٣).

وأشار البيضاوي إلى هذا المعنى ثمّ قال : " فيه إيماء بوعد النصر للصابرين"(٤).

ويبين الغزالي ذلك المعنى بقوله: " اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين ... [إلى أن قال]: إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابل جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما ..."(٥).

ويرى الباحث أنّ النصر في هذا المقام ما كان حليفاً لهم إلا لصبرهم ،والإمامة في الأرض لأهل الحق لا تتحقق إلا بالصبر، ودليل ذلك قوله ـ سبحانه ـ : {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، (١٠٩/٢).
(٢) انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، (١٨٣/٤).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ،(٢٥٢/٣).
(٤) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (١٤٥/٢).
(٥) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٦٢/٤-٦٣).

صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة السجدة ٣٢/:٢٤] ، يقول صاحب الظلال : إنّ هذه الآية للإيحاء للقلة المسلمة يومذاك في مكة أن تصبر كما صبر المختارون من بني إسرائيل،وتوقن كما أيقنوا؛ليكون منهم أئمة للمسلمين كما كان أولئك أئمة لبني إسرائيل ، ولتقرير طريق الإمامة والقيادة وهو الصبر واليقين"(١).

والصبر من الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة، والمؤمن حين يتقي ويصبر ويغفر ويشكر يوفى أجره بغير حساب، ويكتب له النجاح والفلاح والظفر، في شؤون حياته كلها، وذلك هو الخير كله. قال الله تعالى : {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾} [سورة الشورى ٤٢/:٤٣] .

وبالصبر يتحقق النصر والفرج ويظفر المسلم بعدوه ،ويُمكن له في الأرض ، كيف لا وهو صاحب الخُلُق الحسن؛لا سيما خُلُق الصبر الذي تُبنى عليه أموره كلها ،حيث قال رسول الله ﷺ : ((عجباً لأمر المؤمن : إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له))(٢).

ومما يزيد الأمر وضوحاً في أنّ النصر يتحقق بخُلق الصبر هو قوله تعالى: {ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾} [سورة الأنفال ٨/:٦٦] ، حيث بينت الآية :" أن الله مع الصابرين والمقصود أن العشرين لو صبروا ووقفوا فإن نصرتي معهم وتوفيقي مقارن لهم"(٣).وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، (٣٣/٦).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ،(٢٢٩٥/٤)، حديث رقم(٢٩٩٩).
(٣) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (١٥٦/١٥).

مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٢٣-١٢٦] ، يقول الزمخشري في هذه الآيات :

" إنّ الله يعجل نُصْرَتكم ويُيَسر فَتْحَكم إن صبرتم واتقيتم"(١).

قلت : إنّ المتأمل في هذا السياق القرآني ليجد أنّ الله ـ عز وجل ـ وسّط الصبر بين نَصْرَيْن حيث ذكر النصر في معركة بدر في بداية السياق ، ثمّ تابع القول في الحديث عن معركة أحد وبيّن لهم أن النصر من عند الله ـ عز وجل ـ وبين هذا وذاك جاء بذكر الصبر والتقوى ، فهذا إن دلّ فإنما يدل دلالة واضحة على أن الصبر لازمٌ من لوازم الجهاد والقتال ، وبه يكون النصر والغلبة فمن صبر واتقى عجّل الله له بالنصر المبين على الأعداء.

وخلاصة القول فيما سبق: أنّ الأخلاق الإسلامية لها أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع ، وهي سبب مهم لتحقيق النصر والغلبة والتمكين في الأرض ، فأهل الحق ـ وإن كانوا قلة ـ فإنّ الله يكتب لهم النصر بأخلاقهم الحميدة من صبر وتواضع وثبات وصدق ورحمة، فالخلق الحسن هو الذي يمنع صاحبه من الفرار من أرض المعركة ، ويبقى ثابتاً شامخاً كالجبل حتى يحقق إحدى الحسنيين ، إما الغلبة والنصر والظفر بالعدو، وإما الشهادة، ولذلك كان من دعاء المجاهدين ما خلّده الله ـ عز وجل ـ في كتابه العزيز، حيث قال على لسانهم : {وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٥٠] . وهذا الذي نعنيه في اتصاف أهل الحق بالأخلاق الحسنة كونها سبباً في تحقيق النصر والغلبة على عدوهم.

والمؤمن يبتلى في هذه الحياة، والفائز من المؤمنين من حسن عمله وصبر واتقى قال تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾} [سورة الملك ٦٧/:٢] .

فكل من قام بحق، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، فلابد أن يؤذى، فما له دواء إلا الصبر في الله، الاستعانة بالله، والرجوع إلى الله(٢).

وكان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في مقدمة من أوذي في الله، وقد لقي الرسول ﷺ وصحبة الكرام أنواعاً كثيرة من الأذى.

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ، (٤٣٩/١).

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤٤٥/١).

قال تعالى عن قول الرسل لأقوامهم : {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾} [سورة إبراهيم ١٤/:١٢] .

وقال تعالى : {وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾} [سورة المزمل ٧٣/:١٠]

فخلق الصبر له منزلة عالية في ديننا الإسلامي ؛لأن معظم الأخلاق لا تتم إلا بهذا الخُلُق الرفيع، وقد أدرك السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ هذه المنزلة العظيمة للصبر حتى قال عبد الله بن مسعود ﷺ : "الصبر نصف الإيمان"(١)، وهذا يبين لنا أهمية خلق الصبر ومكانته العظيمة من الإيمان.

المطلب الرابع:- الدعوة إلى الله ﷻ ونصرة الدين:-

إنّ الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة دين الله - عز وجل - واجب من واجبات الأمة الإسلامية ـ أمة الحق ـ ،هذا الواجب الذي إن أدّاه المسلمون على الوجه الأكمل ارتقى المجتمع وارتفع، بحيث لو فقد المجتمع من يقوم بهذا الواجب ،لأدى ذلك إلى انتشار الفساد والانحلال فيه،لذلك كان صفة من صفات أهل الحق ، حيث التزموا بواجب الدعوة إلى الله ونصرة الدين فكانوا يستحقون النجاة والمدح والثناء.

فالدعوة إلى الله سبحانة وتعالى هي أشرف الوظائف وأفضل الأعمال، فإنها الوظيفة الأساس للنبيين والمرسلين، والعمل الرئيس لسائر الهداة المصلحين، وقد نصّ الله تبارك وتعالى في محكم كتابه على أن أحسن الناس قولاً هم الدعاة إلى الله وفي ذلك يقول: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾} [سورة فصلت ٤١/:٣٣] " ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله. ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين" (٢).

كما أشار رسول الله ﷺ إلى أن الداعين إلى الله العاملين بعلمهم المعلمين لغيرهم هم أعلى الناس درجة، وأكثر الناس تأثراً وتأثيراً بالدين الحنيف، وأعظم الناس انتفاعاً بالغيث الذي أغاث الله به الأرض. فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس

---

(١) البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، (٧٤/١) ، حديث رقم(٤٨) .
(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، (٧٤٩) .

فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعَلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))[1].

كما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عظيم مثوبة الدعاة عند الله. فقد روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي[2] - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يده يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)). فبات الناس يدوكون ليلتهم[3] أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: ((أين علي بن أبي طالب؟)) فقيل: يا رسول الله هو يشتكي عينيه. قال: ((فأرسلوا إليه.."فأُتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فقال علي رضي الله عنه: ((يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا)). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعم))[4] يعني من أن تتصدق بأنفس المال .

ولقد رسم القرآن الكريم خير مناهج الدعوة فيما وصف للدعاة من آياته المحكمة، وفيما قص الله تبارك وتعالى عن النبيين والمرسلين من طرق دعوتهم إلى الله تعالى التي تعتبر النموذج الأعلى للداعين إلى الله عز وجل، وقد وضع القرآن الكريم النظام الأساس للدعوة إلى الله تعالى إذ يقول:

{ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾} [سورة النحل ١٦/:١٢٥]

ويقول أيضاً: {قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾} [سورة يوسف ١٢/:١٠٨] .

---

(١) البخاري ، حديث رقم (٧٩) ، ومسلم ، حديث رقم (٢٢٨٢).

(٢) هو سَهْلُ بنُ سَعْدِ بنِ بنِ مَالِكٍ الخَزْرَجِيُّ بْنِ خَالِدِ بنِ ثَعْلَبَةَ، الإِمَامُ، الفَاضِلُ، المُعَمَّرُ، بَقِيَّةُ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبُو العَبَّاسِ الخَزْرَجِيُّ، الأَنْصَارِيُّ، السَّاعِدِيُّ. وَكَانَ أَبُوْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِيْنَ تُوُفُّوا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وَلِقَدْ رَوَى: عِدَّةَ أَحَادِيْثَ. وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالمَدِيْنَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ المِائَةِ.كَانَ اسْمُه حَزْناً، فَغَيَّرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وَبَعْضُهُم كَنَّاهُ: أَبَا يَحْيَى. ذَكَرَ عَدَدٌ كَبِيْرٌ وَفَاتَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِيْنَ.وَقِيل: سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِيْنَ. انظر : سير أعلام النبلاء ، (٤١٧/٥ -٤١٨) .

(٣) يخوضون ويتحدثون طوال ليلتهم من الدوكة وهي الخوض والاختلاط، انظر: ابن منظور ، لسان العرب،(٤٣٠/١٠).

(٤) البخاري ، حديث رقم (٢٨٤٧) ، ومسلم ، حديث رقم (٢٤٠٦).

فقد طلب الله تبارك وتعالى من الداعي إليه أن يسلك طريق الحكمة في دعوته، والحكمة هي وضع الأمور في مواضعها، فاللين حيث ينفع اللين، والشدة حيث لا يجدي غيرها، فوضع اللين في موضع الشدة مضر كوضع الشدة في موضع اللين.

الدعوة ونصرةالدين صفة لأهل الحق:

تعريف الدعوة إلى الله :

لقد عرّف شيخ الإسلام الدعوة بقوله: " هي طلب اتباع ما جاءت به الشريعة والكف عمّا نهت عنه "(١).

تعريف نُصرة الدين:

عرّفها الرازي في تفسيره بقوله : " النصرة تحقيق مطلوب أحد المتعاديين عند الاجتهاد والأخذ في تحقيق علامته ، فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الإيمان والله يطلب قمع الكفر وإهلاك أهله وإفناء من اختار الإشراك بجهله فمن حقق نصرة الله حيث حقق مطلوبه(٢).

ولما كانت الدعوة إلى الله ونصرة دينه صفة من صفات أهل الحق قال الله في كتابه : {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾} [سورة الأعراف ٧/:١٦٤-١٦٥] ، يبين ربُّ العزة في هاتين الآيتين حال جماعة من الدعاة كانت تعظ المعتدين في السبت وتنهاهم عن ارتكاب ما حذر الله منه ، ولقد كانت دعوتهم تلك تأدية لفرض الله عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يتقوا الله ،فيخافوه وينيبوا إلى طاعته ويتوبوا من معصيتهم إياه(٣) .

ويوضح ابن عاشور خلاصة القول في الآيتين السابقتين فيقول :(أن صلحاء القوم كانوا فريقين. فريق منهم أَيِس من نجاح الموعظة وتحقق حلول الوعيد بالقوم، لتوغلهم في المعاصي وفريق لم ينقطع رجاؤهم من حصول أثر الموعظة بزيادة التكرار، فأنكر الفريق الأول على الفريق الثاني استمرارهم على كلفة الموعظة. واعتذر الفريق الثاني بقولهم: معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فالفريق الأول أخذوا بالطرف الراجح الموجب للظن. والفريق الثاني أخذوا بالطرف

---

(١) قلعجي ، محمد رواس ، موسوعة فقه ابن تيمية ، دار النفائس،(٣٠٨/١).

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٤٣/٢٨).

(٣) انظر: الطبري ، جامع البيان، (١٨٤/١٣-١٨٥) ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣، (٥٨٨/٣).

المرجوح جمعاً بينه وبين الراجح لقصد الاحتياط، ليكون لهم عذراً عند الله إن سألهم لماذا أقلعتم عن الموعظة ولما عسى أن يحصل من تقوى الموعوظين بزيادة الموعظة(١).

يقول الباحث: وحال أهل الحق هو الاستمرار والديمومة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم اليأس مهما كانت الصعاب ، والثبات رغم رفض وعِناد المدعوين في كثير من الأحوال، فالداعية في كل زمان ومكان يجب عليه أن يواصل مهمته ويستمر على دعوة الخلق وتعريفهم على خالقهم ؛ لينجوا من نارٍ وقودها الناس والحجارة، وكما أنّ الداعية يأمر بالمعروف ويجهر بالحق ،فعليه أيضاً أن ينهى عن المنكر ، ولو بأضعف الطرق ، كما قال رسولنا الحبيب - ﷺ: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))(٢).

بل أثنى الله - عزّ وجل - على الفئة الداعية ومدحها بقوله : {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١١٠] ، (يخبر الله تعالى عن الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم في الوجود الآن، ما دامت تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله إيماناً صحيحاً صادقاً كاملاً. وإنما قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان لأنهما أدل على بيان فضل المسلمين على غيرهم، ولأن الإيمان يدعيه غيرهم، وتظل الخيرية والفضيلة لهذه الأمة ما دامت تؤمن بالله حق الإيمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وأما الأمم الأخرى فقد غلب عليهم تشوية حقيقة الإيمان، وشاع فيهم الشر والفساد، فلا يؤمنون إيمانا صحيحاً، ولا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر)(٣).

ويرى الباحث أنّ أهل الحق يجمعون بين الدعوة إلى الله بما فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين نصرة الدين ؛ إذ أنّ نصرة الدين جزءٌ من الدعوة إلى الله ، كيف لا وبنصرة الدين إظهار للحق وإبطال للباطل ونشر للدين في شتّى بقاع الأرض؟ ونصرة الدين تشمل نصرة الله ونصرة رسوله وأوليائه ، وهذا ما قاله الله في كتابه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (١٥٢/٩).

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ... ، (٦٩/١) ، حديث رقم (٤٩).

(٣) الزحيلي ، التفسير المنير ، (٤٠/٤).

أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾} [سورة محمد ٤٧/:٧] ، قال الطبري عند تفسيره لهذه الآية : (يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمداً ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ على أعدائه من أهل الكفر به ، وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأولياءه)(١).

وفسّر الرازي النصرة في الآية بقوله : " إن تنصروا دين الله وطريقه أو حزبه وفريقه أوالمراد نصرة الله حقيقة . فمن نصره الله فقد حقق مطلوبه ، ثم بيّن أنّ المؤمن ينصر الله بخروجه إلى القتال وإقدامه والله ينصره بتقويته وتثبيت أقدامه وإرسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه"(٢).

يقول الباحث: ونصرة الدين تكون أيضاً بإظهاره ، حيث يقول سبحانه وتعالى : {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾} [سورة الفتح ٤٨/:٢٨] ، ويبين الطبري المراد بالآية بقوله : " هو أن الله ـ عز وجل ـ أرسل رسوله بالبيان الواضح ودين الحق وهو الإسلام ليبطل به الملل كلها ، حتى لا يكون دين سواه ، فيظهر دين الإسلام على الأديان كلها وخاصة عندما ينزل نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان ـ وهي إحدى علامات الساعة الكبرى ـ فيقتل الدّجال ، عندها تبطل الأديان كلها غير دين الله "(٣).

قلتُ: هذا هو نصرة الدين على كل الرسالات السماوية الأخرى ، ولقد تكفل الله ـ عز وجل ـ بالعناية والنصرة لمن ينصره وينصر دينه ، حيث قال سبحانه : {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [سورة الحج ٢٢/:٤٠] . أي " وليعينّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوّه؛ فنصْر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا(٤).

والمراد بمن ينصر الله أي من ينصر دينه ونبيه وأولياءه ، ولقد أنجز الله وعده حيث سلّط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وعتاة اليهود وأكاسرة العجم وقياصرة الروم

---

(١) الطبري ، جامع البيان، (١٦٠/٢٢).
(٢) انظر: الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٤٢/٢٨- ٤٣).
(٣) انظر: الطبري ، جامع البيان ، (٢٢/ ٢٦٠).
(٤) المرجع السابق ، (٦٥١/١٨).

وأورثهم أرضهم وديارهم ؛ حيث مكّنهم في الأرض فقال تعالى : { ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾} [سورة الحج ٢٢/:٤١] ، فهي وصف من الله عز و جل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حُسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام"(١).

يقول الباحث: عندما قاموا بما أمرهم الله ـ عز وجل ـ من الدعوة ونصرة الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فجزاهم بذلك الثواب الجزيل بالتمكين في الأرض ووراثتها.

ويضيف الباحث قائلاً : أنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة دين الله ﷻ مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ حيث إنّ الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة ، فيجب على كل مسلم أن يتمسك بدينه وأن يدعو الناس للدخول فيه ، كما يجب عليه أن يثبت على ذلك ؛ حتى ينصرهم الله على أعدائهم ، ويظهر دينه على كل باطل ، فإن هو قام بكل ذلك ، فإنه يكون قد حقق هذه الصفة المهمة والتي هي من صفات أهل الحق، والآيات سالفة الذكر خير دليل على ذلك.

يقول الأستاذ مصطفى مشهور(٢)ـ رحمه الله ـ : سيظل الصراع بين الحق والباطل تتسع ميادينه وترتفع رايات الجهاد ويتخذ الله شهداء حتى يتنزل نصر الله على عباده المؤمنين ويُمكن لدين الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الأرض، ... ثم يضيف قائلاً : ولا يجوز أن يداخل شبابنا أي يأس في تحقيق النصر والتمكين بسبب كثرة الأعداء وقلة المؤمنين ، فقديماً كان المؤمنون مع رسول الله قِلة في العدد والعِدة ، والأعداء كثرة في العدد والعِدة ، ولكن الله أيّد رسوله والمؤمنين بجنده ، ولله جنود السماوات والأرض"(٣).

خطورة ترك الدعوة والنصرة :

لقد حذّر الله ـ عز وجل ـ من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال سبحانه : {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ

---

(١) انظر: أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، (١٠٩/٦).

(٢) ولد الأستاذ مصطفى مشهور عام ١٩٢١م في مصر ،كان متفوقاً في دراسته . انضم إلى جماعة الإخوان المسلمون عام ١٩٣٦م . وتعرض للإعتقال أكثر من مرة . أصبح مرشداً للجماعة في فترة من الفترات.توفي عام ٢٠٠٢م ـ رحمه الله تعالى ـ . موسوعة الإخوان المسلمون.

(٣) مشهور ، مصطفى ، زاد على الطريق ،١٤١٦هـ ، (٦٨٢/٢ـ ٦٨٣) .

أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾} [سورة هود ١١/:١١٦] ، حيث وصف الله - سبحانه وتعالى التاركين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بظلم النفس .

يقول الرازي : (وأراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات)(١).

أما صاحب الظلال فيقول عند تناوله لهذه الآية : (وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم . فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله ، في صورة من صوره ، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية ، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير . فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون ويفسد فيها المفسدون ، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد ، أو يكون فيها من يستنكر ، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد ، فإن سنة الله تحق عليها ، إما بهلاك الاستئصال . وإما بهلاك الانحلال . . والاختلال!

فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحده ، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره هم صمام الأمان للأمم والشعوب . . وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحده ، الواقفين للظلم والفساد بكل صوره . . إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب ، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله ، واستحقاق النكال والضياع . .)(٢).

ويرى الباحث : أنّ ما قاله الرازي وسيد قطب يوضح حال كثير من المسلمين اليوم ،وبخاصة الذين نسوا وتركوا تلك الفريضة وذلك الركن العظيم ، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وركضوا خلف شهواتهم وملذاتهم ، وتركوا أمتهم تضيع بضياعهم ، فمثل هؤلاء يجب عليهم الحذر من عذاب الله وعقابه ، لكونهم تركوا القيام بتلك الفريضة المهمة ، وهي الدعوة إلى الله ونصرة دينه ، إلا أن يعودوا لرشدهم ويدركوا الصواب ، عندها يدخلون في مدح الله ﷻ:

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١١٠] ، فكل مسلم مكلف بتلك الفريضة وذلك الواجب مهما كانت الظروف، فلا عذر لأحد.

---

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٦٠/١٨).

(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤/ ٢٧٣).

الخلاصة:

إنّ الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة دين الله ـ عز وجل ـ ركن أساس من أركان الدين ، فيجب على المسلم التمسك بهذا الركن ،وأن يستمر على القيام بهذا الواجب ، وذلك امتثالاً لأمر خالق الخلق ـسبحانه وتعالى ، الذي يقول : {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٠٤] ، وحتى وإن لم يجد الداعية المسلم استجابة من المدعوين ، فأقل القليل أن يغير المنكر ولو بقلبه، ولقد ذمّ الله تاركي هذه الفريضة ، حيث ما أفلحت أمة تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى : {وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾} [سورة هود ١١/:١١٦] ، وفي المقابل مدح الله أهل الحق الذين قاموا بهذا الواجب واستجابوا لأمر ربهم ، حيث قال سبحانه : {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [سورة آل عمران ٣/:١١٠] ، فالقيام به سببٌ في نجاتهم وعدم تدميرهم، ومن ثَم يحقق لهم النصر والغلبة على أعدائهم والتمكين في الأرض ، فأهل الحق هم الذين يقومون بهذا الواجب ويبتعدون عن توبيخ الله لهم بترك الدعوة ونصرة دينهم .

المطلب الخامس :- الثبات رغم حالة الضعف:

يُعد الثبات في أرض المعركة واجباً على أهل الحق ، ولو تتبعنا الآيات الواردة في هذا الشأن لوجدنا أنّ أهل الحق هم الذين يتصفون بهذه الصفة ؛ إذ لا يجوز لمن انحاز وآمن بالحق واتبعه أن يفرّ من ساحات الوغى إلا في حالات سأبينها فيما بعد.

يقول الله ـ عز وجل ـ مخبراً عن أهل الحق الذين دعوا ربهم أن يثبتهم عند القتال مع أعدائهم : { قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٥٠] ، والمعنى في هذه الآية أنهم دعوا الله أن يثبت أقدامهم في أرض المعركة أمام الأعداء ويقوي قلوبهم عند اللقاء معهم ، حتى ينهزم الأعداء أمامهم ، كما أنهم طلبوا من الله أن يجنبهم العجز والفرار.

قلت: وبالفعل تحقق لهم النصر بذلك الدعاء؛ حيث قال تعالى : { فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٢٥٢﴾} [سورة البقرة ٢/: ٢٥٢] ، وهزيمة الأعداء تستوجب النصر للمؤمنين .

يقول السعدي فيما يستفاد من هذه القصة (قصة طالوت وجالوت) : " إنّه ينبغي عند حضور البأس تقوية المجاهدين، وتشجيعهم، وحثهم على القوة الإيمانية، والاتكال الكامل على الله، والاعتماد عليه، وسؤال الله التثبيت، والإعانة على الصبر والنصر على الأعداء(١).

وفي قوله : { وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا } :" إن هذا عبارة عن القوة من عند الله والنصرة وعدم الفشل ، حيث يُقال : ثبت قدمه في الحرب إذا كان الغلب له والنصر معه ، ولقد وضع الظاهر موضع المضمر في قوله : { وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } وهم جالوت وجنوده ، إظهاراً لما هو العلة الموجبة للنصرعليهم وهي كفرهم وذكر النصر بعد سؤال تثبيت الأقدام لكون الثاني هو غاية الأول(٢) .

ولقد عقّب سبحانه بقوله : {فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴿١٤٨﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٤٨] ، أي بالنصر والظفر : {وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ ﴿١٤٨﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٤٨] بالأجر والمغفرة(٣) .

ولقد علق الله ـ سبحانه وتعالى ـ نصر المؤمنين وتثبيت أقدامهم على نصرتهم له ، حيث قال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾} [سورة محمد ٤٧/:٧] ، فهذا " أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويُصبّر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره "(٤).

ويقول الباحث : ويحصل ذلك لأهل الحق ، وإن كانوا أقلة ، أو ضعفاء ، فإنّ الله مثبتهم وناصرهم على أعدائهم ، وسبب ذلك كله هو قوة إيمانهم ونصرتهم لدين الله ـ عز وجل ـ ، وفي سياق الآية السابقة ذكر صاحب الظلال لفتة جميلة ، حيث قال : " إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر ، ويكون سبباً فيه ، وهذا صحيح ، ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص٩٥٣.

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، (٢٦٥/١ ـ ٢٦٦).

(٣) الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، الدار الشامية ـ دمشق ، ط : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ص١٠٥.

(٤) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٧٨٥.

بأن المقصود معنى آخر من معاني التثبيت ، معنى التثبيت على النصر وتكاليفه ، فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان ، وبين الحق والضلال، فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة ، للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر ، وفي عدم التراخي بعده والتهاون ، وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء ، ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء ، وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر(١).

يقول الباحث : وقول سيد قطب : " ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء... " هو الذي نعنيه في هذه الدراسة من اتصاف أهل الحق بالقلة والثبات في أرض المعركة رغم قلتهم وضعفهم ؛ حتى يتحقق لهم النصر والتمكين.

والذي يزيد الأمر وضوحاً قوله تعالى في سورة الأنفال : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥} [سورة الأنفال ٨/:٤٥] ، ففي هذه الآية يأمر الله أهل الحق إذا حاربوا أهل الباطل من الكفرة بالثبات عند اللقاء ، ولقد جاء من الشواهد النبوية ما يؤكد ضرورة الثبات أمام جحافل الأعداء، وعدم الانهزام أو الاستسلام، يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف))(٢)

والأمر بالثبات عند قتال الكفار سبقه النهي عن الفرار ، فالتقى الأمر والنهي على سواء ، وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد أمامه .

ثم ذكر في الآية ذِكر الله ـ عز وجل ـ المعين على الثبات أمام العدو في الشدائد .

يقول الإمام أبو حيان الأندلسي: " وأمرهم بذكره تعالى كثيراً في هذا الموطن العظيم من مصابرة العدو والتلاحم بالرماح وبالسيوف وهي حالة يقع فيها الذهول عن كل شيء فأمروا بذكر الله ، إذ هو تعالى الذي يُفزع إليه عند الشدائد ، ويستأنس بذكره ، ويستنصر بدعائه ، ومن كان كثير التعلق بالله ذكره في كل موطن حتى في المواضع التي يذهل فيها عن كل شيء ويغيب فيها الحسّ"(٣) ويؤيد هذا قوله تعالى : {أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨} [سورة الرعد ١٣/:٢٨] .

---

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٤٤/٦).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ، (١٠٨٢/٣) ، حديث رقم (٢٨٠٤).

(٣) أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، (٤٩٨/٤).

ويرى الباحث : أنّ أهل الحق يجب عليهم الثبات في ساحات الوغى ، وفي أرض المعركة رغم ضعفهم وقلة عددهم ، وعدم الفرار إلا في حالات حددها العلماء- ولقد اعتبر النبي - صلى الله عليه وسلم - التولي يوم الزحف أحد الموبقات السبع ، والتي أُمرنا باجتنابها - . فالأمر في قوله {فَٱثْبُتُواْ } للوجوب على عمومه ما لم يُخصص ، ولقد خُصص بحالات محددة ، فيبقى الوجوب إلا في تلك الحالات والتي سأبينها بعد قليل.

تحريم الفرار من المعركة وعقوبته:

إن من عوامل نجاح أي دعوة الثبات عليها، ومن أهم أنواع الثبات في حياة المسلمين، ثباتهم عند ملاقاة أعدائهم، ولقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين حين ملاقاتهم لأعدائهم من أن يولّوهم الأدبار، فقال سبحانه وتعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾} [سورة الأنفال ٨/:١٥-١٦]

"والمعنى :يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا زحفاً أي متدانين متقاربين متواجهين؛ فلا تفروا عنهم إلاَّ أن يكون ذلك مكيدة حرب، حيث تختارون موقعًا أحسن، أو تدبِّرون خطة أحكم أو أن يكون ذلك انضمامًا إلى فئةٍ أُخرى من المسلمين أو إلى قواعد المسلمين، لتعاودوا القتال وأن من تولى وأعطى دبره يوم الزحف، فقد استحق ذلك العقاب: غضبًا من الله، ومأوىً في جهنم"(١).

يقول الباحث : ولا شك أن الإنسان المؤمن يثبت على المكاره بقدْر درجة إيمانه وعلو همته . وهذا الإيمان الثابت في القلوب، والذي لا تزعزعه العواصف من مغريات الدنيا وشهواتها؛ يزن الجبال الشامخة، ويعلو على كل هابط دونها.

وسائل الثبات على الحق:

هناك عوامل كثيرة تساعد أهل الحق على الاستقامة على الطريق،والثبات على الحق والمداومة على الخير ، مجاهدين أنفسهم في مرضاة الله ﷻ ، متحصنين من هوى النفس ، ومن شرور شياطين الإنس والجان ، لا يضرهم كثرة الضالين ، ولا يفتنهم عن دينهم كثرة الهالكين .
والمستقرئ لآيات القرآن ؛ يجد أنها قد ذكرت جملة من عوامل الثبات على الحق .

---

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، (٣٧٦/٣).

وإذا أراد المسلمون الثبات على الحق والعمل بمقتضاه فلا بد لهم من :-

١- الإخلاص لله تعالى :-

إن من أهم الأسباب المعينة على الثبات ، هو: " الإخلاص وتجريد التوحيد لله تعالى وذلك أن المؤمن إذا صلحت سريرته ، وصدق توجهه ، وامتلأ قلبه بمحبة الله وتعظيمه ، فلم يراقب سواه ، ولم يخشَ غيره ، ولم يصرف شيئاً من أنواع العبادة لأحد من خلقه ؛ فإنّ الله - عز وجل - يؤيده ويسدده ويثبته ، قال تعالى : {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [سورة إبراهيم ١٤/:٢٧] ؛ فتعليق التثبيت على قيد الإيمان يدل على أنه سبب حصوله ، فهم لم يستحقوا تثبيت الله لهم إلا لقيام هذا الوصف فيهم " (١).

٢- ذِكْرُ الله عز وجل :إنّ ذكر الله تعالى والمداومة عليه، من أسباب الثبات الرئيسة، ولذلك أمر الله تعالى عباده المؤمنين بكثرة الذكر عند لقاء العدو فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾} [سورة الأنفال ٨/:٤٥] .

وذِكْرُ العبد المؤمن لله - عز وجل - عند لقاء العدو بكثرة يجعله يشعر بإنه متتصل بالقوي الذي لا يُغلب، وهذا الذكر يزيده ثقة بالله تعالى الذي ينصر أولياءه، وهو في الوقت ذاته يستحضر حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها.

يقول الإمام البيضاوي : " وفي هذه الآية تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله ، وأن يلتجيء إليه عند الشدائد ويقبل عليه فارغ البال واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال"(٢) ..

٣- التفاؤل بمستقبل الإسلام المشرق :إنّ التفاؤل هذا بأن العاقبة والمآل لعباد الله المتقين وأنّ هذا الدين سيصل إلى ما وصل إليه الليل والنهار؛ يعين كثيرًا على الثبات، قال الله تعالى : {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾} [سورة الصف ٦١/:٩]

---

(١) الثبات على الحق في ضوء القرآن ، عبد العزيز الخضيري ، مجلة العلوم الشرعية ، جامعة القصيم ، المجلد الأول ، العدد الأول ، (يناير ٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ) ، ص١٠٢.

(٢) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، (٣/ ١١٢) .

وعن هذا التفاؤل روى ثوبان[1]- رضي الله عنه - أن رسول اللهﷺ قال :((إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض))[2].

قال العلماء :"المراد بالكنزين؛ الذهب والفضة،والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، وفيه إشارة أن مُلك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وهكذا وقع"[3].

٤- دراسة السيرة النبوية وقصص الأولين :حيث إن هذا الجانب والتعرف على أصحاب البطولات فيه، يعطي الإنسان المسلم المقدرة على الثبات وعدم الاضطراب أمام جحافل الأعداء، مهما بلغت درجة جبروتهم وعنادهم ، يقول الله عز وجل: {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾} [سورة هود ١١/:١٢٠] .

ومن أسباب تحصيل الثبات، الشعور التام بأن طاعتنا لله عز وجل ولرسوله الكريم ﷺ ، طريق موصل للفوز العظيم في الدنيا قبل الآخرة، قال الله تعالى : {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:٧١] ، أما مخالفة الأوامر -كما حصل في معركة أحد -ففيها الوقوع في الخطيئة ، وأن هذه الخطيئة تورث صاحبها الفرار،وفي ذلك يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٥٥] .

---

(١) مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - سبي من أرض الحجاز، فاشتراه النبي -صلى الله عليه وسلم - وأعتقه، فلزم النبي -صلى الله عليه وسلم - وصحبه، وحفظ عنه كثيرا مِنَ العِلْمِ .انظر : ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت:٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المحقق:علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت ،١٤١٢هـ ،رقم ،ط١، (٢١٨/١) ، وانظر: ابن الأثير،أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت :٦٣٠هـ)، أسد الغابة ، المحقق:عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ،١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، الطبعة:الأولى ، (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب :هلاك هذه الأمة بعضها ببعض ، (٢٢١٥/٤) ، حديث رقم (٢٨٨٩).

(٣) النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، المنهاج شرح صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ ، (١٨/ ١٣).

"ولقد كان التولي نتيجة استدراج من الشيطان، ونتيجة خطأ أو معصية أورثت وهنًا في القلب، وضعفًا في الإيمان أدى إلى التولي يوم الزحف، ومن فضل الله عليهم أن عفا عنهم، وكفاهم من العقوبة الجزع النفسي، والندم الداخلي العميق"(١).

وهكذا يكون المسلم قد حصل على الثبات، وذلك بالأخذ بأسبابه ؛ كي تكون هذه الأسباب له جسرًا يصل بها إلى بَرّ الأمان في تحقيق النصر على الظلم والطغيان.

المبحث الثاني :المنكرون لدعوة الحق :

لقد اقتضت سنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الخير والشر أن يكون للمؤمنين أعداء يتربصون بهم على مدار التاريخ ويكيدون لهم، وتكون العاقبة دائماً لجند الله وأوليائه: {كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ١٧} [سورة الرعد ١٣/:١٧]، {وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١} [سورة الإسراء ١٧/:٨١] .

والمسلمون أصحاب الحق دائماً أقوياء بحقهم، وأقوياء -كذلك - لأن الله معهم ما دمنا نلتزم بهذا الحق ونعمل به، بينما أعداؤهم ضعفاء بباطلهم وعدوانهم،وهو سبحانه القوي القادر عليهم، لأنه عدو الظالمين والباغين والمبطلين، وهو سبحانه لا يُصلح عمل المفسدين، ولذلك فنحن نرجو من الله مالا يرجون، وفي كل أدوار التاريخ وتطورات الأمم ما التقى الحق بالباطل، إلا خُذِلَ الباطلُ وأهله وانتصر الحق وجنده .. يقول الحق سبحانه: {قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥} [سورة طه ٢٠/:١٣٥].

المنكرون لدعوة الحق وموقفهم منها

عداوة الكفار من أهل الكتاب ، والمشركين ، والمنافقين للمؤمنين قائمة إلى أن تقوم الساعة وصراع الحق والباطل باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما قال سبحانه : {وَلَا يَزَالُونَ

(١) الغضبان ، منير محمد ، من معين التربية الإسلامية ، مكتبة المنار: الأردن، ط٢ ،١٤٠٢هـ ، ص٨٢.

يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾} [سورة البقرة ٢/:٢١٧] .

ولما كان الإسلام يحكم المؤمنين بالعدل ويعطي كل ذي حق حقه ، وهم لا يريدون ذلك ، لذلك اجتهدوا في محاربة الدين ورد الحق بالباطل ، ولكن هيهات . فالدين باق والله مُتِمّ نوره ولو كره الكافرون ، قال تعالى : { يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾} [سورة الصف ٦١/:٧-٩].

والحق واحد لا يتعدد، والباطل يتلون وتتعدد أشكاله وصوره، ومهما يكن الأمر فالحق لا يُعرف بِقِلّة أتباعه، كما أن الباطل لا يُعرف بكثرة أتباعه، إذ أن العبرة لا تكون بالكثرة، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يقف الحق وحيدًا أمام جحافل الباطل وجنوده ومنافقيه، حتى تكون هزيمتهم أشد، وانتكاستهم أعظم، من هنا كان خصوم الحق وأعداؤه كثر، فواجه الحق أهل الباطل رغم تعدد مشاربهم وقبائلهم وأفكارهم، فواجه المشركين والمنافقين، واليهود والنصارى، وها نحن أولاء نعرض صور المواجهة بين هذين المعسكرين:

المطلب الأول :المشركون:

لقد ذمّ الله تعالى الشرك ونهى عنه فقال سبحانه : {قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾} [سورة الأنعام ٦/:١٤] ودعا سبحانه إلى الإعراض عن المشركين فقال سبحانه : {وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾} [سورة الأنعام ٦/:١٠٦] ، وعدّ سبحانه الشرك ضلالاً عن الحق، فقال عز وجل: {وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾} [سورة النساء ٤/:١١٦] كما عدّه سبحانه ظلماً فقال : {إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾} [سورة المائدة ٥/:٧٢] والمشرك لا ترجى له المغفرة لأن الله نفى عنه المغفرة ،فقال سبحانه : {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾} [سورة النساء:٤٨] ،والشرك إفتراء، قال تعالى: {وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾} [سورة النساء ٤/:٤٨] أي :"ارتكب ما يستحقر دونه الآثام ،وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب،والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل "(١). وقد مثّل الله حال المشركين في سقوطهم السريع المتلاحق بالذي خرّ من السماء فَهَوَت به الريح في مكان سحيق، فقال سبحانه : {وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾} [سورة الحج ٢٢/:٣١] "إنه مشهد الهويّ من الشاهق وفي مثل لمح البصر يتمزق وتقذف به الريح بعيدًا عن الأنظار، والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ بالإلقاء وفي المنظر بسرعة الإختفاء على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير، وهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله، فهوى من أفق الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها، قاعدة التوحيد، ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه، فتخطفه الأهواء الجوارح وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح ... "(٢).

وقد وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ المشركين بكراهيتهم للحق فقال سبحانه : {وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾} [سورة الزخرف ٤٣/:٧٨] وقال سبحانه : {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾} [سورة الصف ٦١/:٩] ، وقد بين سبحانه شدة إعراضهم عن الإيمان بأنهم لن يؤمنوا مهما بدت الآيات والدلائل والبراهين ظاهرة أمامهم، فالعلة عندهم ليست نقصًا في الدليل والبرهان، إنما هي علة فيهم وفي نفسياتهم المبنية على الحقد والكراهية والعناد والإصرار على الباطل فقال سبحانه : {وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة يس ٣٦/:٤٦] ، وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى بقوله : {وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾} [سورة الحجر ٢٢/:١٤-

(١) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، (٢٠١/٢).
(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، (١٩٥/٥).

١٥] ،وقال تعالى : {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾}

[سورة الأنعام ٦/:٧] والمعنى" لو أننا نزلنا عليك كتابًا في قرطاس كما اقترحوا فرأوه نازلاً منها بأعينهم ولمسوه عند وصوله إلى الأرض بأيديهم لقال الذين كفروا منهم كفر العناد والاستكبار :ما هذا الذي رأينا ولمسنا إلا سحر بيّن في نفسه، ثابت في نوعه، وإنما خُيّل إلينا أننا رأينا كتابًا ولمسناه وَمَا ثَمَّ كِتَابٌ نَزَلَ ، وَلَا قِرْطَاسٌ رُئِيَ وَلَا لُمِسَ"(١).

مواقف المشركين العدائية تجاه دعوة الحق:

ومواقف المشركين تجاه دعوة الحق لا حصر لها، فهي مواقف دائمة مستمرة بلا توقف، منذ أن بدأ الصراع بين معسكري الحق والباطل، وقد بدأ كفار مكة مواجهتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم بالسخرية والاستهزاء، معتقدين أن هذا الأسلوب سوف يؤثر على النبي ﷺ ويتراجع عن دعوته، وقد بين الله ﷻ صور هذا الاستهزاء وأشكاله فقد استهزؤوا بشخص الرسول عليه السلام، قال تعالى : {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾} [سورة الفرقان ٢٥/:٤١] ، كما استهزؤوا بآيات الله تعالى، فقال سبحانه : {وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾} [سورة الكهف ١٨/:٥٦] واستهزؤوا أيضاً بصلاة المؤمنين، وشعائرهم، قال تعالى : {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾} [سورة المائدة ٥/:٥٨] ثم بين سبحانه لرسوله أن الاستهزاء والسخرية طبع من طبائعهم فقد استخدموا هذا الأسلوب مع الرسل السابقين، فقال سبحانه : {وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾} [سورة الزخرف ٤٣/:٧]

ثم لجأوا إلى الحرب المعنوية والنفسية وأخذوا يكيلون الاتهامات تلو الاتهامات على شخص النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزل عليه، قال تعالى : {فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾} [سورة الطور ٥٢/:٢٩-٣٠]

ثم لجأوا إلى الإيذاء البدني، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو

---

(١) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، (٢٥٩/٧).

جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلى[1] جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل تآمروا على قتله ﷺ ، قال تعالى : {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾} [سورة الأنفال ٨/:٣٠] ، "وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير:أن قريشاً فرقوا (خافوا) لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة، ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخيرًا قرروا قتله "[2].

المطلب الثاني :المنافقون:

لم يكن النفاق معروفاً بهذا الاسم قبل الإسلام،ولم يظهر النفاق قبل الهجرة إلى المدينة، ذلك لقوة المشركين في ذلك الوقت،وعدم حاجتهم لإظهارهم خلاف ما يبطنون، بل كانوا يصرحون بما يختلج في نفوسهم من كره للإسلام والمسلمين، وكانوا يعلنون عداءهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وكانوا يتقربون لقومهم بهذا،فلما هاجر المسلمون للمدينة وقوية شوكتهم وخاصة بعد معركة بدر والتي كان المشركون يظنون أن هذه المعركة هي نهاية المسلمين كما قال تعالى عن المشركين قولهم لما قدموا لتلك الغزوة {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾} [سورة الأنفال:٤٩].وتعود بداياته إلى بداية هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة أو قبلها بقليل، وتأسيسه لدولة تدين بدين الإسلام، وتعمل على نشره وإعلانه وحماية أصحابه وأتباعه، وبعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، انضم من لم يدخل الإسلام بصدق ولم ترسخ مبادئه في نفسه إلى صفوف المرتدين، الذين ظهروا أيام خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - الذي تولى حربهم والقضاء عليهم، وإعادتهم إلى دائرة الإسلام من جديد، ومن الجدير ذكره أن هذه الفئة مرت في تاريخها الطويل بفترات متنوعة فيها القوة وفيها الضعف وقوتها وضعفها كانا يتناسبان عكسياً

---

(١) السلى :الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه، وقيل في الماشية السلى، وفي الناس المشيمة ،انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، (٣٩٦/١٤).

(٢) البغوي ، معالم التنزيل ، (٣٤٩/٣).

مع طبيعة الموقف الذي يقفه النبي ﷺ فإذا كان المسلمون في شدة كشف المنافقون أنفسهم وحقدهم، وان كان المسلمون في موقف السعة والأمان خفت صوتهم وكبت حقدهم، وخفضت رؤوسهم.

فالنفاق فعل المنافق يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقًا ، أما أصله فقد اختلف فيه على قولين،فقيل : إنه مأخوذ من النفق ؛ لأن المنافق يستر كفره ، فهو كمن يدخل النفق يستتر فيه.

وقيل : إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع أي جحره ، فإنه يخرق الأرض حتى إذا كاد أن يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج ، فإذا رابه ريب دفع تلك القشرة برأسه فخرج ، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر ، فكأن الإيمان يخرج منه ، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء . وظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وهو في الحقيقة حفرةُ . وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر(١).

قال ابن رجب: "والذي فسّره به أهل العلم المعتبرون أنّ النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه"(٢).

النفاق في الاصطلاح: هو ستر الكفر وإظهار الإسلام(٣). وعرفه الجرجاني بأنه : إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب(٤).

خطورة النفاق :

لا شكّ أنّ المنافقين هم أكبر وأشدّ الأخطار التي تواجه أمة الإسلام في كل زمان ومكان ،وإذا كان الكفار عدواً مبيناً من الخارج ،فإنَّ المنافقين عدواً خفياً من الداخل ، وهم أعظم ضرراً وأشد خطراً على المسلمين لأنهم يخالطونهم ويعلمون أحوالهم ..

وقد قضى الله أن مصير الكافرين و المنافقين إلى جهنم : {إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾} [سورة النساء:١٤٠] أي: "كما أشركوهم في الكفر، كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال، والقيود والأغلال. وشراب الحميم

---

(١) انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، (٤٥٤/٥-٤٥٥) ، وابن منظور ، لسان العرب (١٠/ ٣٥٧) ، الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، (١١٩٦) مادة (نفق).

(٢) أبو الفرج ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة ـ بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ص٤٣٠ .

(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، (٤٧١/٧).

(٤) الجرجاني ، التعريفات ، (٣١١/١).

والغِسْلين"(١). لكن المنافقين لعظيم ضررهم فإنّ مصيرهم في أسفل النار كما قال سبحانه : {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾} [سورة النساء:١٤٥] .

وحيث أن خطر الكفار و المنافقين على الأمة الإسلامية عظيم لذا أمر الله رسوله بجهادهم فقال : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾} [سورة التحريم:٩]

فَبَلية المؤمنين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ؛ لأنهم لا يظهرون ما يعتقدون ، يعملون في الخفاء ، ويظهرون لباس الإخوان والأصدقاء فهم مستأمنون لا يحسب لهم حساب ولا يُراقبون ولا يحترز منهم إلا القليل من المؤمنين ، والعدو المخالط المداخل المساكن أخطر وأشد كيدًا من العدو الظاهر البعيد ، فهم أخطر من الجيوش العسكرية ، والانحرافات الفكرية لأن أصحابها أعداء معروفون واضحون لا يقبل كثير من الناس أقوالهم.

وإن أخطر المصائب في تاريخ الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا عن طريق المنافقين ، ولا نكاد نرى عصرًا من عصور تاريخ المسلمين إلا ونجد للمنافقين فيه دورًا خطيرًا ، فقد أفسدوا عقائد كثير من الناس ، والمتتبع لجذور الانحراف العقدي في تاريخ المسلمين يجد المنافقين وراءه.
ولقد اتخذت أساليب المنافقين أشكالاً شتى بعضها مدروس، وبعضها عفوي، وكلاهما استهدف وضع العراقيل والحواجز في طريق دعوة الحق ، ومن ذلك:

أولاً :- الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء:

قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١١٨-١٢٠] .

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤٣٦/٢).

قال ابن كثير: "يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم، وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي: يَسْعَوْنَ في مخالفتهم، وما يضرّهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودّون ما يُعْنتُ المؤمنين ويحرجهم ويَشُقّ عليهم"(١)

وقال ابن القيم: "إن أصاب أهل الكتاب والسنة عافية ونصر وظهور ساءهم ذلك وغمّهم، وإن أصابهم ابتلاء من الله وامتحان يمحص به ذنوبهم ويكفر به عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرهم وهذا يحقق إرثهم(٢).

وقال الله تعالى: {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾} [سورة التوبة ٩/:٥٠] .

قال ابن كثير: "يُعلم تبارك وتعالى نبيه ﷺ بعداوة هؤلاء له؛ لأنه مهما أصابه من حسنة أي: فتح ونصر وظفر على الأعداء مما يسرّه ويسرّ أصحابه ساءهم ذلك، {وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ} أي: قد احترزنا من متابعته من قبل هذا {وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}"(٣).

ثانياً :- موالاة الكافرين:

قال الله تعالى: { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾} [سورة النساء ٤/:١٣٨-١٣٩]

قال الطبري: "يقول الله لنبيه: يا محمد، {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ} الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء يعني - أنصارا وأخلّاء- من دون المؤمنين، يعني: من غير المؤمنين. {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي، {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١٠٦/٢).

(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، (٣٥٥/١).

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١٦١/٤).

الأذلاء الأقلاء، فهلاّ اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمِسوا العزّة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، فيعزّهم ويمنعهم"(١).

ثالثاً :- كراهية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى:

قال الله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٦٧] .

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق وأصحابَه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، حين سار نبي الله ﷺ إلى المشركين بأحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسِرنا معكم إليهم، ولكُنّا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال، فأبدَوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه، وأبدوا بألسنتهم بقولهم: {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ} غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله ﷺوأهل الإيمان به"(٢).

رابعاً :- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف:

قال الله تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾} [سورة التوبة ٩/:٦٧] .

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكراً على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أي: عن الإنفاق في سبيل الله{نَسُوا اللَّهَ} أي: نسوا ذكر الله {فَنَسِيَهُمْ} أي: عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا}. {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} أي: الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة"(٣).

---

(١) الطبري ، جامع البيان (٣١٩/٩).

(٢) المرجع السابق ، (٣٧٨/٧).

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١٧٣/٤).

وقال ابن القيم: "هم جنس بعضه يشبه بعضاً، يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته أن ينفقوه، كم ذكرهم الله بنعمه فأعرضوا عن ذكره ونسوه، وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليتجنبوه، فاسمعوا أيها المؤمنون: {ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴿٦٧﴾} [سورة التوبة ٩/:٦٧] ."(١) .

خامساً :- التبطيء عن المؤمنين والتشفي بهم بعد الهزائم:

قال الله تعالى: {وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾} [سورة النساء ٤/:٧٢] . قال الطبري: "وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنبيه ﷺ وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال: {وَإِنَّ مِنْكُمْ} أيها المؤمنون، يعني: من عِدَادكم وقومكم، ومن يتشبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم ومِلّتكم، وهو منافق يبطِّئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم، وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم، {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} يقول: فإن أصابتكم هزيمة أو نالكم قتل أو جراح من عدوكم {قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا}فيصيبني جراح أو ألم أو قتل، وسرّه تخلّفه عنكم شماتةً بكم؛ لأنه من أهل الشكّ في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب وفي وعيده، فهو غير راج ثواباً، ولا خائف عقاباً"(٢).

سادساً:- إشاعة الأراجيف وبث الإشاعات:

المنافقون عبر التاريخ، هم أعداء الرسل والأنبياء وبلاء الأمم، وداء الشعوب وأعداء الحق والإيمان، وهم السبب في بقاء الظلم والفساد والاستبداد في العالم العربي ولولاهم لما استمرت الأنظمة المستبدة تعيث في الأرض فساداً منذ خمسين عاماً، فالمنافقون يظهرون خلاف ما يبطنون ويقولون مالا يفعلون، وإذا اقسموا بالله فهم حانثون، ولوعودهم مخلفون، وفي أقوالهم كاذبون، وفي خصوماتهم فاجرون، وما أجمل النعت القرآني لهم {وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾} [سورة البقرة ٢/:١٤-١٥]، فالمنافقون لهم أساليب ووسائل في خلخلة الصفوف، وتفريق

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، (٣٥٢/١).
(٢) الطبري ، جامع البيان ، (٥٣٨/٨).

الكلمة وزعزعة الثقة، فمن ذلك: ترويجُهم للشائعات التي تثير البلبلة، وتؤججُ الفتنة، وتستدعي اهتمامَ الفضوليين، وهم يهدفون من وراءِ بثِّ الشائعاتِ المُغرضة إلى تحقيقِ غاياتٍ معينة، لعلَّ من أهمِها: إضعافُ الثقةِ في النماذجِ الخيرة، والقممِ الشامخةِ من رجالاتِ الأمةِ وقادتها، حيثُ يدورُ محورُ تلكَ الشائعات على التشكيكِ والإرجاف، واتهامِ النوايا، وهم بذلك يرثون طريقةَ أسلافِهم، أكابر مجرمي حادثةِ الإفكِ المشهورة، يومَ خاضَ المنافقون في عرضِ رسول اللهﷺ واتهموا ابنَةَ الصديق بأبشعِ تُهمة، وأعظمِ جناية، وما ذلك إلا لزعزعةِ الثقةِ في شخصِ رسولِ الله ﷺ وتفريق الناسِ من حولـه، ليطيبَ لهم المكان، وتخلو لهم الساحة، ليبدأ بعدَها مسلسلَ العبث وخلطِ الحقِّ بالباطل. وغاب عن هؤلاء أن من عصمة الرسول ﷺ أن يُعصم في عرضه وشرفه وأهله، لأن هذا من مكملات التبليغ والأهلية للرسالة.

المطلب الثالث :اليهود:

إنّ الصفات التي وصف بها القرآن الكريم اليهود هي صفات كثيرة وفي نفس الوقت هي صفات تدل على مدى حقدهم وغدرهم وشدة عداوتهم للإسلام والمسلمين والحديث عن صفات اليهود له نمط خاص ، لأننا نتحدث عن قوم لم تبق صفة قبيحة إلا وَوُسِموا بها، وكانوا قدوة لغيرهم فيها يُعلمونهم فنونها ، وهذه الصفات لا زالت كما هي قديماً و تتكرر حديثًاً، بل لقد ازدادت بشاعة لتطور وسائل الإفساد والإجرام في هذا العصر ، فتاريخهم حافل بالإجرام وفنونه، فالذي يستعرض كتاب الله تبارك وتعالى، يجد أنه أسهب واستفاض في الحديث عن اليهود، في أطول سورتين في القرآن الكريم، هما سورتي البقرة وآل عمران، واللتان اشتملتا على معظم صفاتهم وجرائمهم، إضافة إلى بعض السور الأخرى، من أجل أن يتعرف المسلمون عليهم، ويحذروا شرهم وكيدهم، وشراسة المعركة التي تنتظرهم، فيعدوا لها العدة، ويسخروا كل طاقاتهم للتصدي لمخططات اليهود.

ومن نظر في عصرنا الحاضر إلى ما قاموا ويقومون به من الإجرام ضد المسلمين وبخاصة في أرض فلسطين علم ذلك، فقد هدموا البيوت والمساجد، وقتلوا النساء والأطفال، وسفكوا الدماء، وضربوا بالأسلحة المحرمة دولياً، وحطموا الكهرباء والممتلكات والمستشفيات ،وأنا في هذا المطلب لست بصدد استعراض كل صفات اليهود، وإنما سأذكر أهمها وأشدها تأثيراً وخطراً سائلاً الله ـ تعالى ـ التوفيق والسداد:

أولاً :- قلة أدبهم مع الخالق ـ عزّ وجل ـ ومع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ:

فقد نسبوا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ الولد، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: { وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾} [سورة التوبة ٩/: ٣٠-٣١]،وقالوا: يد الله ـ تبارك وتعالى ـ مغلولة فقال الله ـ تبارك وتعالى ـ

{وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴿٦٤﴾} [سورة المائدة ٥/:٦٤]

"يخبر - سبحانه وتعالى -عن مقالة اليهود الشنيعة، وعقيدتهم الفظيعة، فقال: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } أي: عن الخير والإحسان والبر.{ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا } وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم.

فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظنا بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي. ولهذا قال: { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم"(١).

وقالوا: إن الله - تبارك وتعالى - فقير، ونحن أغنياء فقال الله - سبحانه -: {لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٨١] ، ومن قلة أدبهم مع الأنبياء ما فعله اليهود مع النبي ﷺ، فقد كانوا يسلمون عليه فيقولون: السام عليك أي: الموت، قالت عائشة - رضي الله عنها: "دخل رهط من اليهود على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة - رضي الله عنها -: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول اللهﷺ: ((مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله))، فقلت: يارسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: ((قد قلت: وعليكم))(٢).

ثانياً:- هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا: قال الله - تبارك وتعالى -: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾} [سورة المائدة ٥/:٨٢] قال الإمام

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص٢٣٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، حديث رقم (٥٦٧٨) و(٥٦٨٣)، صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ، حديث رقم (٢١٦٥).

الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: "لتجدن يا محمد أشدَّ الناس عداوةً للذين صدَّقوك واتبعوك وصدّقوا بما جئتهم به من أهل الإسلام؛ اليهودَ والذين أشركوا"(١)، وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية: "ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود، ومباهتة للحق، وغَمْط للناس، وتَنَقص بِحَملة العلم، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء، حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة، وسحروه، وألّبوا عليه أشباههم من المشركين"(٢)، ويقول سيد قطب :" إنّ عداء اليهود للذين آمنوا كان دائماً أشد وأقسى وأعمق إصراراً وأطول أمداً من عداء الذين أشركوا! ولقد واجه اليهودُ الإسلامَ بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة . وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة . وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل؛ والتي لم تخبُ لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرنا ، وما تزال "(٣)

ومن شدة العداء أنهم يعرفون الحق لكنهم لا يتبعونه، فهم يعرفون أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق، وأنه من عند الله؛ ولكنهم لم يتبعوه، بل كذبوه وتآمروا عليه وما زالوا ،وهذا مصداق قول الله ـ جل وعلا ـ: {فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ ۚ ﴿٨٩﴾} [سورة البقرة ٢/:٨٩] ، وقوله أيضاً :{ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴿٢٠﴾} [سورة الأنعام ٦/:٢٠]، ولقد ورد في القرآن الكريم أنه من شدة عداوتهم للمؤمنين: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾} [سورة الصف ٦١/:٨] . ولكن أنّى لهم ذلك.

ثالثاً :ـ نقضهم العهود والمواثيق:

ومن أشهر صفات اليهود أيضاً نقضهم العهد والميثاق، فلقد نقضوا عهدهم مع الله ـ تبارك وتعالى ـ ومع رسله في أكثر من موضع، وسطر الله ذلك في كتابه فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: {أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾} [سورة البقرة ٢/:١٠٠]، " المقصود من هذا الاستفهام ، الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه لأن مثل ذلك إذا قيل بهذا اللفظ كان

---

(١) الطبري ، جامع البيان ، (٤٩٨/١٠).
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١٦٦/٣).
(٣) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤١٣/٢).

أبلغ في التنكير والتبكيت ودل بقول : { أَوَ كُلَّمَا عاهدوا } على عهد بعد عهد نقضوه ونبذوه ، بل يدل على أن ذلك كالعادة فيهم فكأنه تعالى أراد تسلية الرسول عند كفرهم بما أنزل عليه من الآيات بأن ذلك ليس ببدع منهم ، بل هو سجيتهم وعادتهم وعادة سلفهم على ما بينه في الآيات المتقدمة من نقضهم العهود والمواثيق حالاً بعد حال لأن من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك"(١) . وقال الله - جل جلاله -: {ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦} [سورة الأنفال ٨/٥٦] ، وقد حصل هذا قبل بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلما جاء الإسلام، وقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وعاهدهم؛ نقضوا العهد أكثر من مرة، وتآمروا مع القبائل الكافرة ضد المسلمين، حتى انتقم الله - تبارك وتعالى - منهم وأخزاهم. وهنا يقول سيد قطب : بأنّ هذه الآية وآيات تشبهها قد وضعت قواعد للتعامل مع أعداء المسلمين ، سواء في الحرب أو السلم ومن بين هذه القواعد والأحكام حسب ورودها في السياق القرآني :

١- أن الذين يعاهدون المعسكر الإسلامي ، ثم يخلفون عهدهم معه هم شر الدواب . . ومن ثم ينبغي أن يؤدبهم المعسكر الإسلامي تأديباً يلحظ فيه الإرهاب الذي يشردهم ويشرد من وراءهم ممن تراودهم نية نقض العهد أو نية مهاجمة المعسكر الإسلامي .

٢- أن المعاهدين الذين تخشى القيادة منهم نقض العهد والخيانة؛ فإن لهذه القيادة أن تنبذ إليهم عهدهم ، وتعلنهم بإلغائه . ومن ثم تصبح في حل من قتالهم وتأديبهم وإرهاب من وراءهم من أمثالهم .

٣- أنه يجب على المعسكر الإسلامي إعداد العدة دائماً واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة؛ لتكون القوة المهتدية هي القوة العليا في الأرض؛ التي ترهبها جميع القوى المبطلة؛ والتي تتسامع بها هذه القوى في أرجاء الأرض ، فتهاب أولاً أن تهاجم دار الإسلام؛ وتستسلم كذلك لسلطان الله فلا تمنع داعية إلى الإسلام في أرضها من الدعوة ، ولا تصد أحداً من أهلها عن الاستجابة ، ولا تدعي حق الحاكمية وتعبيد الناس ، حتى يكون الدين كله لله .

٤- أنه إذا جنح فريق من غير المسلمين إلى مسالمة المعسكر الإسلامي وموادعته وعدم الوقوف في وجهه فإن القيادة الإسلامية تقبل منهم المسالمة ، وتعاهدهم عليها . فإن أضمروا

---

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٢٣٨/٢).

الخديعة ولم يبد في الظاهر ما يدل عليها ، ترك أمرهم إلى الله ، وهو يكفي المسلمين شر الخادعين "(١).

رابعاً :- تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن المعلوم أن الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر فيه حياة الأمم، وصلاح الحال والمجتمع، وذلك لأنه إذا وجدت المنكرات في المجتمع من غير أن يوجد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فإن ذلك يؤدي إلى فساد المجتمع بأكمله، وجعل الله - تبارك وتعالى - الخيرية لهذه الأمة وذلك لأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر قال الله - تبارك وتعالى -: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١١٠] ، لكن اليهود بخلاف هذه الأمة تركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فاستحقوا بذلك غضب الله - تبارك وتعالى - عليهم، ولعنهم قال - تبارك وتعالى -: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾} [سورة المائدة ٥/:٧٨-٧٩].

خامساً :- حبهم الحياة، وحرصهم عليها:

يقول - سبحانه - مبيناً حبهم وحرصهم على الحياة، وخوفهم من الموت: {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾} [سورة البقرة:٩٤-٩٦] يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله تعالى - " يريد الله سبحانه وتعالى أن يفضح اليهود.. ويبين إن إيمانهم غير صحيح وأنهم عدلوا وبدلوا واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا.. وهو سبحانه يريدنا أن

---

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٢٥/٣).

نعرف أن هؤلاء اليهود.. لم يفعلوا ذلك عن جهل ولا هم خُدعوا بل هم يعلمون أنهم غيروا وبدلوا.. ويعرفون أنهم جاءوا بكلام ونسبوه إلى الله سبحانه وتعالى زورا وبهتانا.. ولذلك يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفضحهم أمام الناس ويبين كذبهم بالدليل القاطع.. فيقول: { قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ }: " قل " موجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قل لهم يا محمد.. ولا يقال هذا الكلام إلا إذا كان اليهود قالوا إن لهم: (الدار الآخرة عند الله خالصة) "(١).ويضيف قائلاً : "فالله سبحانه وتعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: إن كانت الآخرة لهم وحدهم عند الله لا يشاركهم فيها أحد.. فكان الواجب عليهم أن يتمنوا الموت ليذهبوا إلى نعيم خالد.. فمادامت لهم الدار الآخرة ومادامو موقنين من دخول الجنة وحدهم.. فما الذي يجعلهم يبقون في الدنيا.. أَلاَ يتمنون الموت كما تمنى المسلمون الشهادة ليدخلوا الجنة.. وليست هذه هي الافتراءات الوحيدة من اليهود على الله سبحانه وتعالى.. واقرأ قوله جل جلاله: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾} [سورة البقرة:١١١] (٢).

سادساً :- خوفهم وجبنهم :- فاليهود من أجبن خلق الله - تبارك وتعالى - على الإطلاق، ومن تتبع تاريخهم عرف حقيقتهم، فقد كانوا يتحصنون في الحصون المنيعة خوفاً من المسلمين، والمتابع في وقتنا الحاضر لصراعهم مع أهل فلسطين فإنه يلاحظ كيف أنهم يخافون من كل شيء - حتى من الحجارة - فتجدهم يهرولون هاربين منها بالرغم من أنهم يحملون أعتى السلاح، وقد قال الله - تبارك وتعالى - عن حالهم: {لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾} [سورة الحشر ٥٩/:١٤] ، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: "أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص٩٨.
(٢) المرجع السابق .

الاختلاف"(١)، وقال الله - تبارك وتعالى - عنهم: {قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ [سورة المائدة ٥/:٢٢] وقال أيضاً على لسانهم{قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة المائدة ٥/:٢٢-٢٤] ،قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: "فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم"(٢)،

المطلب الرابع :النصارى:

من الذين أنكروا دعوة الحق والتوحيد النصارى، فقد وقفوا من دعوة الإسلام موقف العداء والإنكار، وتمثل ذلك بمواقف فكرية، ومواقف عملية ضد الإسلام والمسلمين، أبرز هذه المواقف:

أولاً :- افتراؤهم على الله بادعائهم أن الله هو المسيح بن مريم :قال تعالى : {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿١٧﴾} [سورة المائدة ٥/:١٧].

ثانياً :- افتراؤهم على الله بادعائهم أن المسيح ابن الله، قال تعالى : {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة التوبة ٩/:٣٠].

ثالثاً :- اعتقادهم بالتثليث :قال تعالى : {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴿٧٣﴾} [سورة المائدة ٥/:٧٣] ، "وفكرة التثليث لم ترد على النصرانية دفعة واحدة بل ظهرت شيئًا فشيئًا إلى أن أعلن عنها نهائيًا في نهاية القرن الرابع الميلادي"(٣) ، ويحاول النصارى ذكر التوحيد بجوار التثليث وبيان أن لا منافاة بينهما "لعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتابًا

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٧٥/٨).

(٢)السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،(٢٢٨/١).

(٣) أبو زهرة ، محمد ، محاضرات في النصرانية ،الرئاسة العامة لإدارة البحوث العامة والإفتاء والدعوة الإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٤هـ ، ص١٢٥.

مقدسًا عندهم، وهي تصرح بالتوحيد، وتدعو إليه، وتنهى عن الشرك بكل شعبه، بل تدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا، وحيثما ثقفوا"(١).

رابعاً :- اعتقادهم بصلب عيسى - عليه السلام - :قال تعالى نافيًا ادعاءاتهم : {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴿١٥٧﴾} [سورة النساء ٤/:١٥٧] ، فهم يعتقدون أن المسيح صلب فداء عن الخليقة، ويقولون" إنّ الله من صفاته المحبة، ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم، لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلف العالم"(٢) .

وكم عادى النصارى رسولَ الله ﷺ والمؤمنين معه؟ فقد كذّبه الرّوم ورفضوا دعوته وحاربوه. لهذا حاربهم النبي ﷺ في مؤتة ثم خرج لهم في تبوك و جهّز جيش أسامة ، ثم توفي ﷺ فتابع خلفاؤه الكرام هذه المهمة .

إنّ عداوة أهل الباطل من اليهود والنصارى والمشركين متأصلة في نفوسهم ، لا يتركون فرصة إلا اغتنموها في قتال و حرب المسلمين {وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾} [سورة البقرة ٢/:٢١٧] .

إنّ إخبار الله لنا عن تلك العداوة ما هي إلا لبيان حقيقة هؤلاء و فضح خفايا قلوبهم وهتك أستارهم لنكون على بيّنة من أمرنا في فهم حقيقة الصراع مع هؤلاء و استمرار هذا الصراع {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾} [سورة البقرة ٢/:١٢٠] .

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص١٢٥.
(٢) المرجع السابق ،ص١٢٩.

الفصل الرابع:- التدافع بين الحق والباطل (ماهيته وأسبابه) :- وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ماهية التدافع بين الحق والباطل :-

المبحث الثاني :- أسباب التدافع بين الحق والباطل :-

المبحث الأول : ماهية التدافع بين الحق والباطل :-

المطلب الأول: معنى التدافع :

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية التي عُنيت بإبراز معاني الألفاظ العربية يمكن الوصول إلى معنى التدافع.

قال ابن منظور : (الدفع: الإزالة بقوة. وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه.وتدافع القوم: دفع بعضهم بعضاً. واستدفعت الله الأسواء: أي طلبت منه أن يدفعها عني، وتدفع السيل واندفع: دفع بعضه بعضاً) (١).

ودفع الشيء :أي نحّاه وأزاله، ودفع القول :ردّه بالحجة ، ودافع عنه مدافعة ودفاعاً : أي حامى عنه وانتصر له(٢) .

وقال الراغب: (الدفع إذا عُدّي بـ (إلى) اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى: {وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ} [سورة النساء ٤/:٦] ، وإذا عدي بـ (عن) اقتضى معنى الحماية، نحو: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨} [سورة الحج ٢٢/:٣٨] (٣). ولو دققنا النظر في هذه الأقوال، لوجدنا أن المعنى المشترك بين ما أوردته المعاجم المختلفة هو :التّنحية والإزالة بقوة، أي أنّ كلاً من الحق والباطل يحاول إزالة الآخر وتّنحيته وهذا لا يكون إلا بالقوة التي يعتمد عليها كلّ منهما.

فالتدافع يكون من جهتين، أحدهما يدفع الآخر بقوة أكبر.

المطلب الثاني :النصوص القرآنية التي ورد فيها التدافع:-

من سنن الله تعالى في البشر سنة التدافع؛ وهي سنة مذكورة في القرآن الكريم، فكل الآيات التي تدل على اختلاف البشر، والصراع بينهم، وحكاية أخبار حروبهم، ووقوف الرسل عليهم السلام في وجوه الملأ من أقوامهم فهي دالة على وقوع سنة التدافع فيهم {وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، (٨٧/٨).

(٢) إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، (٢٨٩/١).

(٣) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ،(٣٤٨/١).

مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٥٣] .

وجاء التصريح بسنة التدافع في موضعين من كتاب الله تعالى؛ فأما الموضع الأول فبعد قصة حرب طالوت ومن معه من المؤمنين لجالوت ومن معه من الكافرين؛ إذ بعد الإخبار عن هزيمتهم أخبر سبحانه عن سنته قائلاً : {وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [سورة البقرة ٢/:٢٥١] .

أي : "ولولا أن الله ـ تعالى ـ يدفع أهل الباطل بأهل الحق ، لفسدت الأرض ، وعمّها الخراب؛ لأنّ أهل الفساد إذا تُركوا من غير أن يُقاوموا استطارت شرورهم ، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة ، وتعطلت مصالح الناس ، وانتشر الفساد في الأرض .

فلولا في الآية الكريمة حرف امتناع لوجود . أي : امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم ببعض .فالآية الكريمة يُفهم منها أنّ على أهل الحق (الأخيار) في كل زمان ومكان أن يقفوا في وجوه الأشرار ، وأن يقاوموهم بكل وسيلة من شأنها أن تحول بينهم وبين الفساد والطغيان .ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله : { ولكن الله ذُو فَضْلٍ عَلَى العالمين } .

أي : ولكن الله ـ تعالى ـ صاحب فضل عظيم ، وإنعام كبير على الناس أجمعين ، لأنه وضع لهم هذا التنظيم الحكيم الذي أوجب فيه على المصلحين أن يدفعوا المفسدين ، وأن يقاوموهم بالطريقة التي تمنع فسادهم حتى ولو أدى ذلك إلى رفع السلاح في وجوههم ، لأن السكوت عن فساد المفسدين سيؤدي إلى العقاب الذي يعمهم ويصيب معهم المصلحين"(١) .

وأما الموضع الثاني فعند الإذن بالجهاد وبيان مشروعيته؛ إذ إن الجهاد سبب لمدافعة الكفر وأهله {ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [سورة الحج ٢٢/:٤٠] ، قال الإمام البغوي- رحمه الله - : "ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَهُدِّم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى ـ عليه السلام

---

(١) طنطاوي ، محمد سيد ، التفسير الوسيط ، (٥٧٤/١).

ـ الكنائس، وفي زمن عيسى ـ عليه السلام ـ البِيَع والصوامع، وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد "(١).

" والفساد إنْ حدث بين الناس في حركة الحياة فيمكن أنْ يُعوَّض ويُتدارك، أما إنْ تعدّى الفساد إلى مُقوِّمات اليقين الإيماني في الأرض فَكرِه الناس ما يربطهم بالسماء، وهدموا أماكن العبادة، فهذه الطامّة والفساد الذي لا صلاحَ بعده، فكأن الآيتين تصوران نوعاً من الإيغال في الفساد، فالأرض تفسد حين ينعدم هذا التدافع "(٢)

المطلب الثالث : آثار سنة التدافع.

إنّ آثار هذه السنة الربانية عجيبة لمن درسها وتأمل في حيثياتها جيداً، وبالذات إذا أسقط هذه السنة على الواقع الذي نحياه، وإن صور المدافعة الواقعة لا تحصى من كثرتها، وهي دليل على استدامة هذه السنة، وأنها قانون مستمر لإصلاح ما فسد من حياة البشر وعقائدهم وأفكارهم وعباداتهم وأخلاقهم، وهي برهان ساطع على استمرار وجريان سنة الابتلاء فيهم وديمومتها إلى أن يرث الله ـ عز وجل ـ الأرض ومن عليها، ومن هذه الآثار الناتجة عن سنة التدافع:

١ـ بالتدافع يميز الله الخبيث من الطيب ، والغث من السمين ، والصادق من الكاذب ، قال سبحانه في سورة: {أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾} [سورة العنكبوت:٢-٣] ،والاستفهام في الآية للانكار كما يقول ابن كثير في تفسيره ، حيث قال : "الاستفهام استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان مِمَّنْ هو كاذب في قوله ودعواه"(٣).

ويقول الشيخ الشعراوي : " والحق سبحانه يريد أن يحمل أولوا العزم رسالة الإسلام؛ لأن الإسلام لا يتصدَّى لحمل دعوته إلا أقوياءُ الإيمان الذين يقدرون على حمل مشاق الدعوة وأمانة تبليغها.

والإيمان ليس كلمة تُقال، إنما مسئولية كبرى، هذه المسئولية هي التي منعتْ كفار مكة أنْ يؤمنوا؛ لأنهم يعلمون أن كلمة لا إله إلا الله ليست مجرد كلمة وإلا لَقَالوها، إنما هي منهج حياة له

---

(١) البغوي ، معالم التنزيل ، (٣٨٩/٥).
(٢) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، (٢٦١٧).
(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٢٦٣/٦).

متطلبات. إنها تعني: لا مُطَاعَ إلا الله، ولا معبود بحقٍّ إلا الله، وهم لا يريدون هذه المسألة لتظل لهم مكانتهم وسلطتهم الزمنية"(١).

٢- وبسنة التدافع يُسخر الله تعالى هؤلاء المؤمنين الصادقين للدفاع عن دينه الذي يُحارب بشتى الوسائل ليلاً و نهاراً، مسترخصين أرواحهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله تعالى، لأنهم يعلمون أنّ مقابل هذه البذل جنة عرضها السماوات والأرض ، يقول سبحانه : {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾} [سورة التوبة:١١١] ، يا لها من صفقة رابحة ، فالمشتري هو الله - عز وجل -، والبائع هم المؤمنون الصادقون، والسلعة النفس والمال ، أما الثمن فهو الجنة، وهذا الوعد قد كُتِب ووثق في ثلاثة كُتبٍ سماوية.

٣- وبسنة التدافع يختار المولى - عزّ وجلّ - ويصطفي الشهداء : {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ ﴿١٤٠﴾} [سورة آل عمران:١٤٠] ، والشهيد له من الكرامات الكثيرة التي يُغبط عليها في الحياة الدنيا قبل الآخرة. فاللهم أحيينا سعداء وأمتنا شهداء.

٤- وبسنة التدافع يردّ المؤمنون على كل الشبه والاتهامات التي تُوجه لهذا الدين الحق من قِبل أعداءه من الكفار والمنافقين، وهنا ينبغي على كل واحد من أهل الحق أن يؤدي دوره المناط به، والواجب المطلوب منه ، فلا عذر لأحد.

٥- وبسنة التدافع تُزال المنكرات ويُأخذ على أيدي أهلها، ومحاربة مرتكبيها ومروجيها في الناس: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [سورة آل عمران:١٠٤]

٦- وبسنة التدافع تُزال العقبات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية وتمنع إقامة شريعة الله تعالى في الناس، وتحكيمها فيهم، ومقاومة القوانين الوضعية البشرية.

٧- وبسنة التدافع يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وحتى أماكن عبادتهم ،يقول الله عز وجل : {وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص٣٢٦٨.

كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [سورة الحج:٤٠] ، فالعالم أجمع لم ولن يعيش في أمان إلا في ظل عدل الإسلام ، هذا العدل الذي يفتقده الناس اليوم، والسبب هو غياب حكم الإسلام .

٨- بالتدافع يتنافس المسلمون في خدمة دينهم ، فيقوم كل مسلم بدوره كل في موقعه ، فالمزارع في أرضه ينتج ، والطالب في مدرسته وجامعته يجتهد ويبدع ، والعلماء والدعاة في مجالاتهم العلمية والدعوية ، والكتّاب والإعلاميين ، في إعلامهم وكتاباتهم، حتى الأمهات في البيوت يُحسِنّ تربية أولادهن.

٩- سنة التدافع تدفع المسلمين إلى الإعداد والاستعداد الجيد ،وهنا أقول لابدّ أن يسعى المسلمون إلى الابتكارات والصناعات على مختلف الأصعدة ؛ حتى لا يبقوا رهينة للغرب والشرق من أعدائهم.وهذا الأمر ليس من الصعب تحقيقه .

المطلب الرابع : : ملامح التدافع بين الحق والباطل :

وإذا أردنا أن نلخص ملامح التدافع بين الحق والباطل فنقول الآتي:

١. التدافع بين الحق والباطل دائم لا يتوقف اقتضته إرادة الله تعالى وحكمته في هذه الحياة:

{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴿١١٩﴾} [سورة هود ١١/:١١٨-١١٩] . أي : "ولا يزالون ما بقيت الدنيا مختلفين فى شأن الدين الحق ، فمنهم من دخل فيه وآمن به،ومنهم من أعرض عنه"(١).

٢. الحق سينتصر في نهاية المطاف ،والباطل إلى اندحار وزوال مهما تنوعت وتعددت صور الصراع وإن كانت نتائج بعض الجولات من هذا التدافع لصالح الباطل وأهله، فالحق - عزّ وجل أكّد هذه الحتمية في كتابه العزيز ، فقال: {بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ﴿١٨﴾} [سورة الأنبياء ٢١/:١٨] ،"أي: نبين الحق فيدحض الباطل؛ ولهذا قال: { فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } أي: ذاهب مضمحل"(٢).

يقول الشيخ الشعراوي : " وقد يقول قائل: لماذا يُملِي الله للباطل حتى يتمرَّد ويعلو، ثم يعلو عليه الحق فيدمغه؟

---

(١) طنطاوي ، التفسير الوسيط ، ص٢٢٧٠.

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٣٣٦/٥).

نقول (والكلام هنا للشيخ الشعراوي): "الحكمة من هذا أنْ تتم الابتلاءات، والناس لا تتعشق الحق إلا إذا رأتْ بشاعة الباطل، ولا تعرف منزلة العدل إلا حين ترى بشاعة الظلم، وبضدها تتميز الأشياء"(١).

وقال ـ سبحانه ـأيضاً مؤكداً على هذه الحقيقة التي لا بدّ أن يعيها المسلمون في كل زمان ومكان: {وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾} [سورة الشورى ٤٢/:٢٤] "أي: يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته، أي: بحججه وبراهينه "(٢).

فالحق ثابت وراسخ رسوخ الشمّ الرواسي ، والباطل زاهق وذاهب: { وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾} [سورة الإسراء ١٧/:٨١] . "{ إِنَّ الباطل كَانَ زَهُوقًا } يعني أن الباطل وإن اتفقت له دولة وصولة إلا أنها الا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه"(٣).

٣. كما أنّ الباطل له جندٌ وأعوانٌ وأنصارٌ داعمون ـ سرّاً وعلناً ـ يحاولون نشره بين الخلق ، فكذلك الحق له أناس يضحون من أجله بكل ما يملكون ،ولكلٍ من الحق والباطل في الحياة مبتغى ومسعى وغاية وهدف. وللتدافع عناصر ومكونات ومجالات وآليات وصور متعددة ومتنوعة ، سأذكر بعضها عند الحديث عن إستراتيجية التدافع.

٤. لا بدّ للحق من قوة تحميه: {وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾} [سورة الأنفال ٨/:٦٠] ، وما أجمل القوة مع الحق، وما أقبحها مع الباطل ، لذلك فإنّ الباطل حين يمتلك القوة يبطش بكل شدة وغلظة ويبطش بقسوة، ويتعامل برعونة وإيذاء، والتاريخ قديماً وحديثاً مليء بالأمثلة التي تدل على ما نقول ، فلو قارنا بين رحمة الأنبياء وأتباعهم ، وبين جرائم الكفار والمعاندين ، لوضحت الصورة أكثر وأكثر ،فمثلاً نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من بعده كانوا يوصون جيوشهم بأن لا يقتلوا طفلاً أو امرأة أو شيخاً طاعناً في السنن بل تعدت رحمتهم وحسن تعاملهم إلى الشجر والحجر، أما أهل الباطل ، فهم لا

---

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ص٢٤٨٣.
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٢٠٤/٧).
(٣) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٢٨/٢١).

يفرقون بين رجل أو امرأة ، أو بين بشر أو حجر ، وما فعله اليهود (كمثال) قديماً أو حديثاً لهو أكبر دليل على ما نقول والمجال لا يتسع لبسط كل ذلك، فالعالم كله شاهد على كل ما نقول(١).

المطلب الخامس : إستراتيجية التدافع بين الحق والباطل:

ما دام أنّ الدين الإسلامي هو الدين الحق ، "وما دام أنّ هذا الدين نسيج وحده. وأنه ليس مجرد عقيدة، ليس مجرد تهذيب للروح، وتربية للفضائل، بل هو إلى جانب ذلك نظام اقتصادي عادل، ونظام اجتماعي متوازن، وتشريع مدني، وتشريع جنائي، وقانون دولي، وتوجيه فكري، وتربية بدنية ، فهذا يعني أنّ الشبهات أو الهجوم على هذا الدين الحق ستكون بأشكال متعددة ، ومن جهات مختلفة"(٢).

وتتنوع أساليب وطرق أهل الباطل في صراعهم مع أهل الحق ،حيث تمر هذه الوسائل في مراحل وصور متعددة،منها:-

١- معاداة أهل الحق وبغض نهجهم: {قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾} [سورة آل عمران ٣/:١١٨] . أي:"قد لاح على صَفَحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل؛ ولهذا قال: { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }"(٣) فالبغضاء والعداوة من قِبل أهل الباطل تظهر على ملامحهم وفي كلامهم،ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنهم يحبون العنت والمشقة للمؤمنين{وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ}.

٢- أهل الباطل لا يتورعون عن الاستخفاف والسخرية بأهل الحق ، وإثارة الشبهات والإشاعات المغرضة لإلحاق الأذى النفسي والجسدي ظانين بذلك إضعاف جهود المؤمنين في خدمة دينهم ودعوتهم. فعن السخرية يقول الله - عز وجل - : { زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾} [سورة البقرة ٢/:٢١٢] . "يخبر - سبحانه و تعالى - عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رُضُوا بها واطمأنّوا إليها، وجمعوا الأموال ومنعوها عَنْ مصارفها التي أمروا بها مما يُرْضِي الله عنهم، وسخروا من الذين آمنوا

---

(١) للإطلاع على مزيدٍ من نماذج وأمثلة قساوة أهل الباطل ضد المستضعفين من المؤمنين ، يُراجع كتاب : السباق إلى العقول ، د. عبد الله قادري الأهدل ، ص٩٠- ١٢٥.

(٢) قطب ، محمد ، شبهات حول الإسلام ، ط : الحادية عشرة ، نسخة الشاملة ، ص٤.

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١٠٨/٢).

الذين أعرضوا عنها، وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم، وبذلوا ابتغاء وجه الله؛ فلهذا فازوا (المؤمنون) بالمقام الأسعد والحظ الأوفر يوم معادهم، فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومَنْشَرهم، ومسيرهم ومأواهم، فاستقروا في الدرجات في أعلى علّيين"(١).

٣- الحملات الدعائية الكاذبة وحملات التشويه لهم حتى لا يستمع الناس لدعوتهم فيقذفونهم بالتهم الكاذبة (متطرفون ، متشددون ، ارهابيون ،تكفيريون ،مفجرون ،انتحاريون ، .وغيرها من الأوصاف والمسميات والتي ينتج عنها في نهاية المطاف تنفير الناس من الحق وحمتله، ولا ننسى أن أهل الباطل يستعينون بوسائل كثيرة لتحقيق ما يصبون إليه ، ومن أهم هذه الوسائل ، وسائل الإعلام المختلفة . فمثل هذه السياسة استخدمتها قريش ضد دعوة النبى فقالوا عنه (ساحر يفرق بين الرجل وأخيه والزوج وزوجه ، شاعر،كاهن ، كذاب) وهم الذين **كانوا** يسمونه قبل ذلك بالصادق الأمين. ويمكن ملاحظة تنويع وسائل الفتنة والغواية فيما يُبثّ في القنوات الفضائية والتلفزيونية وفيما نقرأه في الصحف والمجلات التي لا تراعي حرمة الشريعة فضلاً عن الوسائل الحديثة في هذا الصدد: {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧} [سورة الأعراف:١٧] . فأهل الباطل"يحاصرون كل وسيلة إعلامية تحمل الحق.و يفتحون أبواب أجهزة الإعلام للأفكار الفاسدة، لتصل إلى عقول الناس، ويحاصرون أفكار أهل الحق من أن تصل إلى تلك العقول"(٢).

٤- الاستقواء بما لديهم من أموال وأولاد وثروة، واستخدام ذلك في الدعوة إلى الباطل وإذلال الأتباع والمخدوعين :{وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢} [سورة الزخرف ٤٣/:٥١-٥٢]، {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦} [سورة الأنفال ٨/:٣٦] .وهم بهذه الأموال يستطيعون إغراء أصحاب النفوس المريضة والقلوب الضعيفة بالمناصب والامتيازات لتحقيق مآربهم.

---

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٥٦٨/١).

(٢) الأهدل ، السباق إلى العقول ، ص٢٦٥.

٥- إقصاء وإبعاد أصحاب الكفاءات من أهل الحق عن المناصب المهمة والحساسة ، ليخلو لهم الجو في إقرار وتنفيذ مخططات تخدم مصالحهم الدنيوية،وتغليف ذلك بغلاف يُخفي الحقيقة ويخدع العامة إذا لم يتبينوا ويبصروا الحقائق.

٦- التعنيف والازدراء لكل من لم ينضم إلى معسكر الباطل، ووصفه بأوصاف باطلة، وإثارة الشكوك والأقاويل حوله لأنه خرج عن إمرتهم وشقّ عصا طاعتهم: {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾} [سورة الشعراء ٢٦/:٥٣-٥٦] .

٧- التخويف والتهديد والوعيد والتضييق في الأرزاق والعيش وسبل الحياة ؛حتى يترك أهل الحق المبدأ والمعتقد إلى غير دين الحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين وأمرهم بالجهاد في سبيل نصرته ومنعته والصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها ولو كره الكافرون والطغاة والمجرمون: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾} [سورة البقرة ٢/: ١٢٠].

٨- القتل والتدمير والإبادة من غير رحمة ولا رأفة ولا مراعاة للذمم والعهود والمواثيق ، وذلك إذا امتلكوا القوة ووجدوا أن لهم ظهوراً وغلبة، والواقع دليل ساطع: {كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾} [سورة التوبة ٩/:٨-١٠].

هذه هي بعض وسائل وأساليب أهل الباطل في صراعهم وتدافعهم مع أهل الحق ظناً منهم أنهم بذلك سيشوهون صورة الحق ناصعة البياض، ويجعلون الناس تنفر من وتبتعد عن الحق ، أقول : إنّ أهل الباطل قد يفلحوا بعض الوقت في تغطية وجه الحقيقة ، ولكن دوام الحال من المحال، لأنّ الباطل جولته ساعة أما الحق فهو إلى قيام الساعة ، والذي يطمئننا أكثر هوأنّ الله تبارك وتعالى قد تكفل بنصرة الحق وأهله ومحق الباطل وأهله: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾} [سورة يوسف ١٢/: ٢١].

<u>واجب أهل الحق في دفع الباطل ودحره:</u>

يجب أن يعي أهل الحق طبيعة وحقيقة صراعهم مع أهل الباطل، وأن يتم وعيها بشكل صحيح وفق ما أودع الله تبارك وتعالى من سنن في هذه الحياة. ويجب أن يتفق كل جهد من أهل الحق مع هذه السنن وألا يتصادم معها، ومما يجب في هذا الميدان على أهل الحق:

١.أن يكون هناك إدراك جيد وفهم دقيق وشامل لإستراتيجية التدافع ويكون كل ذلك على ضوء

فهم السنن التي وضعها الله - عزّ وجل - لهذا الكون. وإشراك طاقات الأمة كاملة في الأداء والإنجاز.

٢- الإعداد الجيد لصد الباطل وإضعافه ووأده في مهده ودحره ، وفق برامج وخطط واضحة واستراتيجيات فاعلة، توضع من أصحاب الخبرة وذوي الاختصاص : {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾}[سورة الأنفال٨/: ٦٠].

٣- أن يكون أهل الحق على حذر ويقظة دائمين حتى لا يفاجئهم أهل الباطل، عندها يستطيعوا استخدام الوسيلة المناسبة لكل وسيلة من وسائل أهل الباطل.

٤- وضع الخطط المناسبة للنهوض بمستوى الأمة على صعيد الجماعة أو الفرد ، والفعل المؤثر المؤدي إلى صياغة واقع خيِّر، وتوفير المطلوب لكل فئات المجتمع ، وليس التمني والتحلي، وإكثار الأقوال دون الأفعال، التي تحبط الناس وتقودهم لليأس والقنوط.

٥- دوام الاستعانة بالله تعالى كما أمر وأراد، وغرس التفاؤل والأمل والثقة بالله تعالى، واليقين بنصر الله تعالى وعلو كلمة الحق وانتصاره: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾}

[سورة المجادلة٥٨/: ٢١].

"فالباطل أشد خطرا من النار، والحق أكثر ضرورة من الإطفاء والإسعاف، والناس الذين يحجر عليهم الطغاة ولا يأذنون لهم بسماع الحق وفهمه، أعظم حاجة إلى إطلاق حريتهم من الذين شب الحريق في منازلهم، وأهل الحق أجدر بالوصول إلى الناس من فرق الإغاثة المادية لإغاثتهم بالحق، وطغاة الباطل الذين يمنعون وصول الحق إلى الناس أولى بالاستئصال من مانعي نجدة الإطفاء من الحرائق، ونجدة إسعاف المصابين. فغاية ما يسببه الحريق هو تلف الأموال والنفوس في الدنيا، والأموال تعوض والنفوس لها آجال لا بد منها، والنفس التي تموت وهي مؤمنة ستنال الثواب الجزيل والفوز الدائم برضا الله وجنة الخلد.

أما البقاء في ضلال الكفر وظلماته واتباع الباطل والبقاء في ظلماته، فإن نهايته الشقاء والنكد في الدنيا، والوقوع في سخط الله والعذاب الدائم في نار جهنم والعياذ بالله"(١).

(١) انظر : الأهدل ، السباق إلى العقول ، ص٢١٠.

المبحث الثاني :- أسباب التدافع بين الحق والباطل :-

أشرتُ في مبحث سابق أن الصراع بين الحق والباطل صراع عقدي في طبيعته ودوافعه، وهذا لا يتناقض مع مبحثي الحالي، فالسبب الحقيقي للصراع هو العقيدة وبُعد الصراع عقائدي، ينشأ عن هذا السبب الحقيقي أسباب أخرى تتولد عنه، فتؤجج الصراع بين قوى الحق والباطل، ومن هذه الأسباب ما يلي:

المطلب الأول(السبب الأول): الكبر :-

إنّ السبيل إلى سلامة السرائر لا يتم إلا بالتخلص من العوائق ، ومن أكبر هذه العوائق الكبر فهو سالب الفضائل ومكسب الرذائل، وهو الدافع وراء المقت، والملهي عن التآلف، وقد ذمّه الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية كما في قوله سبحانه : {إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾} [سورة النحل ١٦/:٢٣] وفيما يلي بيان لهذا العائق:

أولاً :الكبر لغةً واصطلاحاً:

الكبر لغةً :مشتق من مادة كَبُرَ بمعنى عَظُمَ وجَسُمَ ،والكبر معظم الشيء، ومنه قوله تعالى: {وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴿١١﴾} [سورة النور ٢٤/:١١]فالإستكبار:هو إظهار العظمة،والتجبروالاستكبار: التعاظم(١)

والكبر اصطلاحاً :خلق باطن يتم فيه رؤية النفس على المتكبر عليه فيرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فالكبر هوالحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. ، ومنه قوله تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿١٤٦﴾} [سورة الأعراف ٧/:١٤٦].

وأعظم الكَبر التكبرُ على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة(٢).

وقد عرّفه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث:((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر قال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ،قال : إنّ الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس))(٣). فالنبي- صلى الله عليه وسلم - بيّن في الحديث أن الكبر هو دفع الحق وإنكاره ترفعاً وتجبراً.

والكبر والاستكبار من أسباب الصراع بين الحق والباطل، وقد دلّت آيات الكتاب العزيز في غير

---

(١) انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، (١٢٥/٥) ، والفيومي ،أحمد بن محمد بن علي المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المكتبة العلمية ـ بيروت ، (٥٢٤/٢).

(٢) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ،(٢٧٧/٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، حديث رقم (٩١).

آية أو سياق أو قصة، أنّ الكبر له دور بارز في هذا الصراع،ومن ذلك موقف إبليس اللعين حين رفض السجود لآدم عليه السلام، وما كان امتناعه عن السجود لآدم إلا تكبرًا، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾} [سورة البقرة ٢/:٣٤]، وقال سبحانه : {إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾} [سورة ص ٣٨/:٧٤]

والمتكبرون" يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة لا تكون إلا لله - عزّ وجلّ - ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، ولذلك هو وحده الذي يستحق أن يقال له المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر، لأن الناس في الحقوق سواء، فليس لأحد ما ليس لغيره"(١).

فالمتكبر يرد الحق مهما كان مصدره، ويرى نفسه الأعلى ولا شيء يعلوه، فينظر لكل الناس نظرة احتقار وازدراء؛ وإمام المتكبرين وقدوتهم في ذلك عدو البشرية جمعاء إبليس - أعاذنا الله من شره ومكره-، حيث رد الحق حين جاءه من رب العالمين، ورأى نفسه أنه الأفضل، وقال قولته التي ملؤها التكبر العفن : {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾} [سورة ص ٣٨/:٧٦] ، وتبع إبليس في نهجه طائفة من البشر قصّ الله علينا حكايتهم ،فمنهم من تكبرعلى الله كفرعون يوم أن قال: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾} [سورة النازعات ٧٩/:٢٤] ، ومنهم مَن تكبر على خلق الله.

ثانياً:- أمثلة قرآنية على الكبر:

بينت الآيات القرآنية صوراً متنوعة من الاستكبار تحذيراً للمؤمنين من هذه الآفة وتخليصاً للصدور مما يعكر صفوها ونقائها ،وإخلاصا للضمائر في توجهها إلى الله تعالى، ومن هذه الأمثلة التي ساقها القرآن الكريم استكبار إبليس،حيث قال - سبحانه و تعالى - : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾} [سورة البقرة ٢/:٣٤] ، وقال أيضاً : {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾} [سورة الأعراف ٧/:١٢] .

أشارت الآية الكريمة بوضوح إلى أن إبليس صار كافراً بعدم السجود، " لأنّ امتناعه نشأ عن استكباره على الله واعتقاده أن ما أمر به غير جارٍ على حق الحكمة، وفي هذا الموقف استخفاف

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، (١٢٥/٥).

من إبليس بحكمة الله تعالى، فلذلك صار به كافراً صراحةً"[1] ، مما يدلل على أن الكبر هو أحد أركان الكفر، ومانع من موانع قبول الحق.

كما أخبر القرآن الكريم عن دوافع الكبر الذي استكبره إبليس،لما أَمره الله ـتعالى ـبالسجود لآدم وذلك في قوله تعالى : {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾} [سورة الأعراف ٧/:١٢] ."فإنّ الله ـ تعالى ـ لما أَمره بالسجود لآدم كان في امتثال أمره سعادته وفلاحه ونجاته، إلا أنه سوّلت له نفسه المستكبرة أن في سجوده لآدم غضاضة عليه، وهضماً لنفسه إذْ يخضع ويقع ساجداً لمن خُلق من طين وهو من نار، والنار بزعمه أشرف من الطين، فلما قام به هذا الكبر أبى أمر الله– تعالى ـوعارض النص بالعقل، وأعرض عن النص الصريح وقابله بالرأي الفاسد القبيح"[2]، ثم أردف ذلك بالاعتراض على العليم الحكيم الذي لا تجد العقول إلى الاعتراض على حكمته سبيلاً، فقال : { قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾} [سورة الإسراء ١٧/:٦٢] .

وقد قرر إبليس حجته الداحضة، بتفضيل مادة خلقه وأصله على مادة خلق آدم ـ عليه السلام- فاستكبر بما ليس هو سبيل للكبر، فجمع بين الجهل والظلم والكبر والحسد والمعصية، فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعتها ،وأذلها من حيث أراد عزتها.

يقول الباحث :والآيات الكريمة التي تناولت هذا الموقف، أفادت أن كفر إبليس كان كفر استكبار مع التصديق، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، وهذا الغالب على كفر أعداء الرسل.

كذلك عرضت الآيات القرآنية أخبار المستكبرين، في مواجهة دعوة الرسل فمن هؤلاء من استكبر هو وجنوده حتى نسب لنفسه الألوهية، قال تعالى حكاية عن فرعون : {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،(٤٢٦/١).

(٢) انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (١٧١/٧).

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾} [سورة القصص ٢٨/:٣٨] ،وأيضا قال تعالى : {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾} [سورة القصص ٢٨/:٣٩]

(فالآيات أشارت إلى ما كان عليه فرعون من كبر، استخفّ به عقول الملأ من قومه فأطاعوه،فكانت النتيجة اشتراكهم جميعاً في الاستكبار على عباد الله وعلى رسل الله وما جاؤوهم به من آيات)(١).

كذلك بينت الآيات القرآنية حُجّة فرعون الواهية وراء استكباره فقال تعالى : {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾} [سورة المؤمنون ٢٣/:٤٥-٤٧]

فكانت حجة فرعون وملأه في استكبارهم على الإيمان بالله، واستكبارهم على أنبيائه هي تفاخرهم وعلوهم في الباطل، وتفضيل أنفسهم على من دعاهم إلى الحق، فاستحقوا بذلك عذاب الله- تعالى - لَمّا منعهم كِبْرُهم من الانتفاع بآياته -سبحانه -فأصبحت لا تؤثر فيهم، قال تعالى : {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾} [سورة الأعراف ٧/:١٤٦] ، فقد انقلبت عليهم الحقائق بسبب استكبارهم فاستقبحوا الحسن واستحسنوا القبيح.

ومن صور الاستكبار التي بينها القرآن الكريم، ما كان في مواجهة دعوة الرسل، ومثال ذلك ما ورد في شأن الوليد بن المغيرة في قوله تعالى : {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾} [سورة المدثر ٧٤/:١٨-٢٤]

فأوضحت الآيات أن من نزلت الآية في شأنه قد استكبر عن الإيمان بعد إعمال للعقل وتفكيروتقدير فكان كبره هو الدافع لعناده وتنكره للحق فاستحق من الله سوء العاقبة(١).

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٦١٦.

ليس هذا فحسب، بل ذهب الكبر بأهله كل مذهب، حين خالفت رسالة الرسل وشريعة الله ما تهوى أنفسهم من الباطل، فزعموا أن قلوبهم مغطاة بما يمنعها من الفقه والاعتبار، قال تعالى : {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾} [سورة البقرة ٢/:٨٧-٨٨]

كما بين الله- تعالى -الارتباط الوثيق بين الكبر و بين إنكار الآخرة ، وذلك في قوله تعالى : { إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾} [سورة النحل ١٦/:٢٢] ، إذ أن استكبار هؤلاء الكافرين، صدهم عن الإذعان والتسليم، فالقلب المستكبر لا يرجى له أن يقتنع أو يسلم، ومن ثم كان أهل الكبر مكروهين من الله تعالى(٢).

ومن الأمثلة التي ساقها القرآن على الكبر، ما كان من المشركين حين طلبوا مقابل إيمانهم وتصديقهم أن تنزل عليهم الملائكة، أو يروا ربهم، فقال تعالى مبيناً ذلك : {وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾} [سورة الفرقان ٢٥/:٢١] وفي هذا دلالة على أنهم "أضمروا في أنفسهم الاستكبار عن الحق وأنهم لم يجسروا على قولهم السابق إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو"(٣).

ونظير ذلك قوله تعالى : { وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾} [سورة فاطر ٣٥/:٤٢-٤٣].

فقد بينت هذه الآية أن " قَسم الكفار الذي أقسموه، ليس لقصدٍ حَسَن وطلب للحق، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الحق وعلى الخلق، فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من

---

(١) انظر :السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم - بيروت ، (٢٢٣/١).

(٢) انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، (٤٦١/٤).

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، (٢٧٨/٣).

العذاب، الذي هو سنة الله في الأولين، والتي قضت بأن كل من سار في درب الاستكبار، كان مستوجباً لأن يحيق به غضب الجبار"(١).

كما أخبر الله -تعالى -أن من الكبر المجادلة في آياته -سبحانه --بغير سلطان أو حجة، وإنما إرادة الاستعلاء بالباطل وحسب، والتي منشأها والباعث عليها هو كبر الصدور قال تعالى : {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦} [سورة غافر ٤٠/:٥٦].

كذلك جعل الله- تعالى -الكبر صفة أصيلة من صفات المنافقين، أظهرت مدى إعراضهم عن الحق واستكبارهم عليه، قال- تعالى -في شأن المنافقين : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥} [سورة المنافقون ٦٣/:٥]

ومن الأمثلة التي ساقها الله- تعالى -على الكبر ما كان من استكبار قوم نوح عليه السلام ومثلهم قوم عاد فقد أخبر الله- تعالى -عن قوم نوح أنهم أصروا على الضلال واستكبروا عن الاستجابة لصوت الحق والهدى قال -تعالى- عن نوح عليه السلام مع قومه : {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧} [سورة نوح ٧١/:٧]

فقد أشارت الآية الكريمة إلى صورة الاستكبار المنفِّرة، متمثلة في استغشاء الثياب، وتغليق الآذان في مواجهة الدعوة إلى الله . وقد جاء مثال ذلك فيما أخبر الله تعالى به عن قوم عاد في قوله عز وجل : {فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥} [سورة فصلت ٤١/:١٥]. " فهؤلاء استكبروا وتعظَموا بما لا يستحقون به التعظم والاستكبار حتى بلغ بهم الأمر أن اعتقدوا أن لا أحد يفوقهم قوة وهذا يبين شدة الكبر والغرور(٢) .كذلك أخبر القرآن الكريم عن الاستكبار عند سماع آيات الله سبحانه، وهذا يكشف عن طبيعة تلك النفوس الجاحدة إذ إن الله- تعالى - بين في كتابه الكريم أن الآيات

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٦٩١.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، (١٩٨/٤).

المتلوة هي سبب اطمئنان القلوب قال تعالى :{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [سورة الرعد ١٣/:٢٨].إلا أن هؤلاء المستكبرين عند سماع القرآن وما فيه من الحجج والبينات فإنهم يصرون على الكفر والجحود والاستكبار والعناد قال تعالى : {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾} [سورة الجاثية ٤٥/:٧-٨] وقد بيّن الله تعالى أن هذا الاستكبار قد أدى بأهله إلى السخرية بكتاب الله وآياته فاستحقوا على ذلك العذاب المهين قال تعالى : {وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾} [سورة الجاثية ٤٥/:٩] .

ويرى الباحث أن هذا الاستكبار يأخذ أشكالاً متعددة، فالكفار زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استكبروا أن يتقبلوا (لا إله إلا الله) من رجل مثلهم، زاعمين أنه شاعر وأنهم لا يتركون آلهتهم لقوله ،قال تعالى: {وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾} [سورة الصافات ٣٧/:٣٦] .

وصور الاستكبار بعد زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتمثل في كل منهج قُدّم على منهج الله ـتعالى ـوشريعته التي ارتضاها للعباد، وقِسْ على ذلك كل ما استكبرت به النفوس الغافلة، وآثرته من مناهج زائفة ممتدة على أطراف البشرية المترامية .

وفي مقابل ما تقدم من صور الكبر التي عرضها القرآن الكريم، بيّن الله ـ تعالى ـ أن أهل الإيمان الصادق هم أهل الخضوع لله فهم لا يستكبرون لا بقلوبهم ولا بأبدانهم، متواضعون قد تلقوا الآيات بالقبول، وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم((١).

المطلب الثاني : الحسد :ـ

الحسد " هوأن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك يقال حَسَدَه يَحْسُدُه حُسوداً "(٢).

قال ابن القيم رحمه الله : (والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لو فاته

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٦٥٥.
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، (١٤٨/٣).

كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى : {وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴿٨٩﴾} [سورة النساء ٤/:٨٩] ، فالحسود عدو النعمة متمنٍ زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو)[1].

ولقد جاء في أكثر من آية في كتاب الله - عزّ وجلّ - الدليل على حسد أهل الباطل من كفار ومشركين وأهل كتاب لأهل الحق من المؤمنين الصادقين ، فقال سبحانه في سورة البقرة : {مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾} [سورة البقرة ٢/:١٠٥] ، وقال أيضاً: {وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾} [سورة البقرة ٢/:١٠٩] ، وجاء في سورة آل عمران قوله: {إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٢٠]

فهذه الآيات تتحدث عن نوع جديد من جرائم أهل الباطل من يهود وغيرهم، له علاقة بالبعد النفسي لديهم،خصوصاً إنهم كانوا يعلمون علم اليقين، أن المؤمنين على حق، وهم على باطل، لأنهم كانوا يستفتحون عليهم قبل البعثة فيهددونهم بقدوم النبي الجديد، على أمل أن يكون من نسلهم، ولكن عندما بعث من العرب ثارت ثائرتهم وهاجت نفوسهم، وكرهوا من أعماق قلوبهم ذلك الخير معتبرين أن العرب اعتدوا عليهم، وسلبوهم ميراث النبوة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، لكنهم أحبوا من أعماق قلوبهم أّن لو قاموا بردهم عن دينهم إلى الكفر ليكونوا سواء فيه، بسبب الغيظ والحنق الذي أصاب قلوبهم، فأصبحوا من شدة غيظهم وحسدهم يعضون على أناملهم، فهذه صورة بشعة قبيحة يصورها القرآن الكريم وهو يكشف عن خفايا قلوب اليهود.

---

(١)ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥،ص٢٥٢.

قال الطبري :" فتأويل الكلام :ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله ، وإنما كَرِهَ اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغياً على المؤمنين"(١).

قال الشوكاني : "وهذه الآية فيها إخبار للمسلمين بحرص اليهود على فتنتهم وردّهم عن الإسلام والتشكيك عليهم في دينهم"(٢)، ولم يتوقف الأمر عند حسد أهل الكتاب للمسلمين ، بل وصل الأمر بهم إلى أن يحسد أهل الكتاب بعضهم بعضاً ،قال سبحانه مقرراً هذه الحقيقة : {وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤} [سورة الشورى ٤٢/:١٤] ، فقد (أنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض)(٣).

ومجالات الحسد من أهل الباطل تجاه أهل الحق عديدة أهمها:

أ- الحسد على اتباع الحق والانصياع لأمر الله تعالى.

ب- الحسد على ما أنعم الله تعالى من نعم وفضائل وخيرات، وما حبى الله تعالى الأمة المؤمنة من نعم ظاهرة وباطنة وموقع جغرافي مميز على رقعة الأرض.

ج- الحسد على ما لهذه الأمة من تاريخ وحضارة وعراقة وقدرة على النهوض.

د- الحسد على مقدرة الأمة على تحمل الأذى والجراحات وتجدد العطاء والبناء بالرغم من الألم والأذى والكيد المتواصل من الأعداء.

المطلب الثالث :انحراف الأهواء:

عرّف الجرجاني الهوى بأنّه : " ميلان النفس إلى ما تستلذ بالشهوات من غير داعية الشرع(٤)،قال تعالى : {أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣} [سورة الفرقان ٢٥/:٤٣] "من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر، لا يتبصر دليلاً، ولا

---

(١) الطبري، جامع البيان ، (٤٧٠/٢).

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، (١٢٨/١).

(٣) الغزالي ، أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، (١٩٠/٣).

(٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص٣٢٠.

يصغي إلى برهان، فهو عابد هواه وجاعله إلهه"[1] ، وقد أكثر سبحانه من ذم اتباع الهوى، قال تعالى : {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾} [سورة الأعراف ٧/:١٧٥-١٧٦]" لو شئنا لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها، لكنه مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها، واقبل على لذاتها ونعيمها، وغرّته كما غرت غيره من غير أولى البصائر"[2].

وإتباع الهوى يؤدي إلى الضلال عن الحق، قال تعالى : {يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٢٦﴾} [سورة ص ٣٨/:٢٦] أي : " فاحكم بين الناس بحكم الله تعالى ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره فيكون سببًا لضلالك عن دلائله التي نصبها في العقول وشرائعه التي شرعها"[3].

ويؤدي أيضًا إلى الصد عن الإيمان بالآخرة، قال تعالى :{إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾} [سورة طه ٢٠/:١٥-١٦] أي :" كن شديد الشكيمة حتى لا يتلوح لمن يكفر بالبعث أن يطمع في صدك عما أنت عليه ...واعلم أنهم وإن كثروا فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى وإتباعه لا البرهان وتدبره، وفي هذا حث على العمل بالدليل، وزجر عن التقليد"[4].

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ، (٢٨٧/٣).
(٢) الصابوني ، محمد علي ، مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم - بيروت ، ط : الثالثة ، ١٩٨١م ، (٤٦٥/٣).
(٣) الزمخشري ، الكشاف ،(٩٠/٤).
(٤) الزمخشري ، الكشاف ، (٥٨/٣).

كما أنه يحرف صاحبه عن العدل، قال تعالى : {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ ﴿١٣٥﴾} [سورة النساء ٤/:١٣٥] "لا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان"(١).

ويقود إلى الاستكبار والتكذيب والقتل، قال تعالى : {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾} [سورة البقرة ٢/:٨٧]، لقد دأب بنو إسرائيل على اتباع الهوى الذي دفعهم إلى الإستكبار على الرسل فكذبوهم وقتلوا فريقًا منهم" ماذا كان حظ أولئك الرسل من بني إسرائيل؟ كان حظهم منهم ما أفاده الاستفهام التوبيخي في الآية السابقة، فاتبعتم الهوى وأطعتم الشهوات، وعصيتم الرسل، واحتميتم عليهم أن أنذروكم ودعوكم إلى أحكام كتابكم ففريقا كذبتم وفريقًا تقتلون"(٢).

وفي السياق ذاته يقول سبحانه مخاطبًا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾} [سورة القصص ٢٨/:٥٠] أي" إن الحق في هذا القرآن لَبيّن، وإن حجة هذا الدين لواضحة، فما يتخلف عنه أحد يعلمه، إلا أن يكون الهوى هو الذي يصده، وأنهما لطريقان لا ثالث لهما :إما إخلاص للحق، وخلوص من الهوى، وإما مماراة في الحق واتباع للهوى فهو التكذيب والشقاق"(٣).

فالمفسدون من أهل الباطل انحرفت أهواؤهم عن معاني الخير والصفات القويمة،وضلت أخلاقهم عن الفطرة السليمة، ومالوا بأخلاقهم، وأَلِفُوا الفجور حتى غدا صفة لهم،ومعلمًا من معالمهم، وقد حذر الله تعالى الْخَلْق وهددهم بفساد حياتهم، وفساد السموات والأرض إن ساروا على نهج المفسدين واتبعوا أهواءهم، قال تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾} [سورة المؤمنون ٢٣/:٧١].

---

(١) الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير، (٣٧٤/٢).

(٢)رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ،(٣١٢/١).

(٣) في ظلال القرآن ، (٤٣١/٥).

(فالحق الذي جاء به القرآن موافقًا للفطرة، لو وافق هوى المفسدين والمشركين وما يشتهونه من الشرك والمعاصي، لفسدت السموات والأرض، وذلك بإقامة القيامة، وإهلاك الناس من فرط غضب الله عليهم)[1].

ويرى الباحث أن سياق الآية يوحي بأن أهواء(أهل الباطل) المفسدين وما تحبه أنفسهم، لا يمكن بحال أن يلتقي مع الحق الذي جاء به المرسلون، وذلك لانحراف هذا الهوى وبعده عن الفطرة السليمة، ومنهج الله، ومكارم الأخلاق.

وبعد، فهذه بعض أسباب التدافع بين الحق والباطل، استعرضناها لنبين من خلالها نماذج للصراع بين الحق والباطل، والدوافع الكامنة وراء هذا التدافع، وإن كانت في النهاية مردها الأساس إلى صراع العقيدة والدين، كما أسلفنا.

---

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ناصر الدين البيضاوي ، (١٦٢/٤).

الفصل الخامس: أسباب النصر ومعوقاته: وفيه مبحثان :

المبحث الأول : من أهم أسباب النصر:

المبحث الثاني: معوقات النصر(أسباب الهزيمة):

المبحث الأول : من أهم أسباب النصر:

إن أسباب الانتصار والهزيمة في التاريخ الإسلامي موضوع مهم ينبغي أن يعرفه المسلمون عموماً، والدعاة إلى الله خصوصاً، ينبغي أن يبحثوه ويتأملوه ليعرفوا أسباب النصر، فيأخذوا بها، وينشروها، ويعرفوا أسباب الخذلان والهزيمة، ويبتعدوا عنها ويحاربوها.

ومن المعلوم عند كل مسلم أن الله وعد عباده المؤمنين بالنصر والتمكين لهذا الدين ، فقال سبحانه: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة النور ٢٤/:٥٥] .

وقال سبحانه: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾} [سورة غافر ٤٠/:٥١] .

فهذا وعد صادق لابد أن يتحقق.. وقد تحقق في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم في عهد خلفائه الراشدين ـ رضوان الله عليهم، وذلك بعد أن أخذوا بأسباب النصر ، بعد توكلهم على مولاهم ـ عزّ وجلّ ـ ، فكان النصر حليفهم ، ولما ابتعد المسلمون عن دينهم ومصدر عزّهم نالهم ما نالهم من تسلط الأمم الأخرى عليهم، وهذه هي سنة الله ـ عز وجل ـ ينصر من نصره ، ويخذل من خذله.

إذن: لابدّ لهذه الأمة أن تعرف أسباب النصر والهزيمة، وأن تتلمس واقعها هذا، والأمور التي أدت إلى نزولها إلى هذا الحضيض، وأن تحاول أن تنتشل نفسها، وأن تخرج إلى ما أراد الله لها من قيادة هذه الدنيا، ومن سيادة العالم . ففي هذا المبحث سأذكر بعض الأسباب التي تؤدي إلى تحقيق النصر ، ثم سأبين بعض أسباب الهزيمة في المبحث الثاني بدون استطراد وتوسع وإلا فهي تحتاج إلى مجلدات.

فمن أهم أسباب النصر لهذه الأمة:

المطلب الأول (السبب الأول):التربية على العقيدة السليمة:

فعقيدة المسلم هي رأس ماله، والإنسان بدون عقيدة لا يساوي شيئاً، ولم ينتصر المسلمون في أي وقت من الأوقات إلا بفضل هذه العقيدة الراسخة في القلوب رسوخ الجبال الرواسي، ففي معركة اليرموك كان عدد المسلمين أربعة وعشرين ألفاً، والروم كان عددهم عشرين ومائة ألف

وفي رواية أخرى أن جيش الروم أربعون ومائتا ألف، وجيش الصحابة ستة وثلاثون ألفاً، ومع ذلك انتصر المسلمون نصراً مؤزراً على الروم، فقتلوا منهم ما يزيد على مائة ألف، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف.

فهذا الانتصار العظيم لم تحققه إلا العقيدة الراسخة القوية في قلوب المسلمين، والتي كان لها الأثر الكبير في تحقيق النصر، حيث قدم المسلمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى.

لقد كان أول من استُشهد من المسلمين رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال : إني تهيأت لأمري، فهل لك من حاجة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، قال : نعم ، تقرئه السلام ، وتقول يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعد ربنا حقاً، فتقدم هذا الرجل حتى قُتل رحمه الله، وتقابل الجيشان، وتوزع القرّاء بين جحافل المسلمين قبل المعركة يقرأون سورة الأنفال، ويتذاكرونها حتى أن أباهريرة جعل يقول : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم، ولما أقبل خالد من العراق، قال رجل من نصارى العرب لخالد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين !! فقال خالد : ويلك أتخوفني بالروم إنما تكثر الجنود بالصبر وتقل بالخذلان، لا بعدد، ودارت المعركة، وثبت كل قوم من المسلمين على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحى، فلم تر يوم اليرموك إلا مخاً ساقطاً، وكفاً طائراً من ذلك الموطن(١).

وهكذا في باقي معارك المسلمين كانت العقيدة الصحيحة هي التي تحرك أصحابها للجهاد في سبيل الله، فينتصر أصحابها لأنهم أقوياء بها.

المطلب الثاني (السبب الثاني) :الولاء والبراء:

إنّ من عوامل النصر أن يكون المؤمن موالياً لله ولرسوله وللمؤمنين، فهو يحب الله ورسوله والمؤمنين ويعمل في ظل الدعوة الإسلامية، ومع الجماعة المؤمنة الصادقة والتي تريد أن تُعلي من شأن هذه الأمة.

وفي نفس الوقت المؤمن الحق يعادي أعداء الأمة، وأعداء الله ورسوله والمؤمنين ولا يميل إليهم ولا يواليهم على حساب دينه وأمته وعقيدته.

فالله تعالى يقول : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١} [سورة المائدة ٥:٥١] . يقول سيد قطب : (تشير هذه الآية إلى

(١) انظر: ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ـ بيروت ، (٧ /٤ـ ١٤).

مقّومات هذا المنهج والمبادئ التي يريد تقريرها في النفس المسلمة وفي الجماعة المسلمة في كل حين . وهي مقومات ومبادئ ثابتة ، ليست خاصة بجيل من هذه الأمة دون جيل . إنما هي أساس النشأة للفرد المسلم وللجماعة المسلمة في كل جيل . .

إن هذا القرآن يربي الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة ، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الذي يقف فيه وكل صف آخر لا يرفع راية الله ، ولا يتبع قيادة رسول الله؛ ولا ينضم إلى الجماعة التي تمثل حزب الله)(١) .

ويضيف الشيخ السعدي : "ينهى الله تعالى في هذه الآية عن موالاة اليهود والنصارى لأنهم هم الأعداء على الحقيقة، ولا يبالون بضر المؤمنين، ولا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالهم، فلا يتولاهم إلا من هو منهم، لأن التولي التام لهم، يقتضي الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يجعل الذي يواليهم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون منهم في نهاية المطاف"(٢) .

لقد نفى الله عز وجل نفياً قاطعاً عن المؤمنين بالله واليوم الآخر الود لأعداء الإسلام ولو كانوا أقرب المقربين إليهم . قال تعالى : {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾} [سورة المجادلة ٥٨:٢٢]

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية : " وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين حزب الله وحزب الشيطان، وإلى رايتين : راية الحق، وراية الباطل . فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل، وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان، لا نسب ولا صهر ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس،ولا عصبية ولا قومية، إنما هي العقيدة، والعقيدة وحدها، فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم، ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله،

---

(١) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، (٣٨٦/٢).

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٢٣٥ .

فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة "[1].

يقول الباحث :وهذه الآية تحدد مدى قوة الشخصية المؤمنة، حيث إنها من شدة إيمانها بالله وموالاتها لله ولرسوله وللمؤمنين تعتبر رباط العقيدة هو الذي يحدد علاقتها مع أقرب المقربين إليها من جهة قرابة الدم، وهذه الفئة المؤمنة يثبتها الله ويقويها بنور يقذفه في قلوبهم أو بالقرآن، ويدخلهم الجنة ويرضى عنهم ويصفهم بأنهم هم حزب الله وأنهم هم المفلحون. ونسأل الله العظيم أن نكون منهم.

والمسلم الحق يجب أن يفكر دائماً مع من يقف، هل هو مع حزب الله أم مع حزب الشيطان؟ فإن وجد نفسه مع الفئة المؤمنة فليحمد الله وليساهم معها في رفع شأن هذه الأمة، والعمل مع إخوانه بأسباب النصر ورفع راية الحق عالية خفاقة.

وإن وجد نفسه مع أهل الباطل وحزب الشيطان فليرجع إلى صوابه، ويتوب إلى الله قبل أن يخزيه الله في الدنيا قبل الآخرة، لأنه إن بقي كما هو عليه فهو يساهم في هزيمة هذه الأمة أمام أعدائها ويخسر الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث (السبب الثالث):حب الجهاد والرباط والاستشهاد في سبيل الله:

إنّ حب الجهاد والاستشهاد والرباط في سبيل الله تعالى من أكبر العوامل المؤدية إلى النصر، ولأنه لا تنال الأمة كرامتها وعزتها إلا بأن تجاهد في سبيل الله تعالى وتربي أبناءها على ذلك، فالجهاد هو حياة الأمة، وفي انعدامه ذلّها، بل انعدام وزنها.

ولقد حثنا الله عز وجل في كتابه العزيز على الجهاد وذلك في قوله تعالى: {وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴿٧٨﴾} [سورة الحج ٢٢/:٧٨].وهناك الكثير من الآيات والأحاديث التي تحث على الجهاد لا يتسع المقام لذكرها.

والجهاد : " بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب "[2].

والجهاد في الله حق جهاده : "هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال، ودأب وزجر ووعظ وغير ذلك"[3].

---

(١) انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، (٧/١٥٤- ١٥٥).

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، (٥٤٦).

(٣) المرجع السابق .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : {وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴿٧٨﴾ أي"بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم"(١). أي على المسلمين الجهاد بكل أنواع الجهاد سواء بالمال أو اللسان أو النفس وذلك لكي يتحقق النصر في النهاية . والله عز وجل قد اختار هذه الأمة لمهمة الجهاد، وهذا تشريف وتكريم لها، قال تعالى : {هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾} [سورة الحج ٢٢/:٧٨].

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لهذه الآية :(فقد انتدبكم لهذه الأمانة الضخمة واختاركم لها من بين عباده .. وإن هذا الاختيار ليضخم التبعة، ولا يجعل هنالك مجالاً للتخلي عنها أو الفرار، وإنه لإكرام من الله لهذه الأمة ينبغي أن يقابل بالشكر وحسن الأداء، وهو تكليف محفوف برحمة الله(٢).

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رغب المسلمين في الجهاد فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ((من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)).فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس ؟ قال ((إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سالتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ـ أراه ـ فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة))(٣).

وورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه : عن النبي ﷺقال ((لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها))(٤).

وإن حبّ صحابة رسول الله ﷺ للجهاد والاستشهاد في سبيل الله جعلهم يتفانون فيه، لأنهم يوقنون أن ما ينتظرهم عند الله تعالى لهو أفضل لهم من الدنيا وما فيها، و لنستمع لأحدهم وهو يتحدث عن نفسه ، فقد ورد عن أنس رضي الله عنه قال : (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله، غبتُ عن أَولِ قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرِيَنّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤٥٥/٥).
(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، (٢١٩/٥).
(٣) صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير،باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم(٢٦٣٧)،(١٠٢٨/٣).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله ، حديث رقم(٢٦٣٩)،(١٠٢٨/٣).

أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال : يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النَّضر، إني أجد ريحها دون أحد، قال سعد : فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أورمية بسهم، ووجدناه قد قُتِل وقد مّثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس : كنا نرى – أو نظن – أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [سورة الأحزاب ٢٣/٣٣](١)،لله در سعد ما أروع موقفه، فقد ضرب أسمى الأمثلة في حب الجهاد والإقبال عليه، وإن الأمة التي تملك نماذج كسعد، لا بد أن تنتصر يوماً ما.

ولا بدّ للمسلم أن يقصد في جهاده وجه الله تعالى وإعلاء كلمته، لقوله تعالى : {ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾} [سورة النساء ٧٦/٤] ، وعندما سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله))(٢).

وهكذا باقي الأعمال ينبغي أن تكون كلها خالصة لوجه الله تعالى حتى تقبل عنده سبحانه.

ويقصد بالإخلاص : "إرادة وجه الله تعالى بالعمل، وتصفيته من كل شوب ذاتي أو دنيوي، فلا ينبعث للعمل إلا لله تعالى والدار الآخرة، ولا يمازج عمله ما يشوبه من الرغبات العاجلة للنفس،الظاهرة أو الخفية، من إرادة مغنم، أو شهوة، أو منصب، أو مال، أو شهرة، أو منزلة في قلوب الخلق، أو طلب مدحهم، أو الهرب من ذمهم، أو إرضاء العامة أو مجاملة الخاصة، أو شفاء لحقد كامن، أو استجابة لحسد خفي، أو لكبر مستكن، أو لغير ذلك من العلل والأهواء والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو : إرادة ما سوى الله تعالى بالعمل، كائناً ما كان، وكائناً من كان"(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى:{مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ...} ،حديث رقم(٢٦٥١)،(١٠٣٢/٣).

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم (١٩٠٤)،(١٥١٢/٣).

(٣) القرضاوي ، يوسف ، النية والإخلاص ، دار الفرقان ، ط : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ص١١

قال تعالى : {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥} [سورة البينة ٩٨/:٥] .

فالمسلم خُلق ليقصد في عباداته كلها الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب مرضاته، وهم معرضون عن باقي الأديان المخالفة لدين التوحيد، وخصّ الله تعالى الصلاة والزكاة بالذكر لشرفها وفضلها، والتوحيد والإخلاص في الدين هما الدين المستقيم الذي يوصل صاحبهما إلى جنات النعيم(١).

وعندما سئل صلاح الدين الأيوبي عن سبب جهاده فقد أجاب : أنه اختار أشرف الموت وهوالموت في سبيل الله، وإعلاء كلمته(٢).

وهكذا فليعمل كل منا لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله) حتى تملأ الكون نوراً وضياء وبهجة.

المطلب الرابع (السبب الرابع) : التوكل على الله:

إن التوكل على الله يُعد قوة نفسية لها فاعليتها، تدفع المؤمن إلى فعل ما يريده دون تردد، والتوكل لا يكون ذا فاعلية أو أثر في حياة المسلم إلا إذا سبقه إيمان بالحق والخير، وعزم وتصميم على تنفيذ الإيمان(٣).

ولعظم أهمية التوكل أمر الله نبيه بالتوكل في جميع أحواله فقال تعالى : {وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨} [سورة الفرقان ٢٥/:٥٨].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: {وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ } أي في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً، الذي هو{هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣} [سورة الحديد ٥٧/:٣] الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك"(٤).

وأمر الله عباده المؤمنين بالتوكل عليه سبحانه فقال تعالى : {قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١} [سورة التوبة ٩/:٥١].

---

(١) انظر: السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٩٣١.

(٢) انظر: علوان ، عبد الله ، صلاح الدين الأيوبي ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط٧ ، ١٤٠٨هـ ، ص١١٤.

(٣) انظر: البهي ، محمد ، من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى،١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م،ص١٦٤-١٦٦.

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١١٨/٦).

وقدوتنا ونبينا محمد ﷺ كان يأخذ بأسباب النصر لكي يكون متوكلاً على الله حق التوكل، فعندما (أراد الهجرة جاء إلى أبي بكر في وقت الظهيرة، وهذا الوقت يقل فيه الناس لشدة الحر فيه، وكان متقنعاً حتى لا يعرفه أحد، ثم إنه أمر أبا بكر الصديق أن يخرج من عنده في البيت حتى يكون الأمر سراً بينه وبين صاحبه، وعند مغادرة منزل أبي بكر، غادره من باب خلفي حتى لا يلفت الأنظار إليه.

وكذلك سلك طريقاً مخالفاً للطريق الذي ستجدّ قريش في طلبه منه، حتى وصل إلى غار ثور وهو موجود في جبل شامخ، وعر الطريق، صعب المرتقى، ذي أحجار كثيرة ، وشق ذلك على رسول الله حتى بلغ الغار بمساعدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاختبأ فيه هو وصاحبه حتى لا يراه الكفار.

وكان عبد الله بن أبي بكر يصبح في مكة حتى إذا أظلم الليل ذهب إلى رسول الله وصاحبه يأتي لهما بأخبار قريش . وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، يرعى غنماً فيسقي الرسول وأبا بكر الصديق من الحليب، ويتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة، حتى لا يراه المشركون، وبعد ثلاثة أيام ذهبا إلى المدينة من طريق لم يألفه أحد، وعندما لقيهم في الطريق رجلٌ سأل أبا بكر من هذا ؟ فقال له : هذا رجل يهديني الطريق)[1].

فهذا كله عملاً بأسباب التوكل، وأخذاً بالسرية والحيطة التامة من قِبل الرسول ليعلمنا عليه الصلاة والسلام كيف يكون المسلم متوكلاً حقاً وليعلم الأمة بأكملها درساً عظيماً من دروس التوكل على الله تعالى وهو النبي المرسل، وهكذا كان في باقي معاركه مع الكفار يأخذ بأسباب التوكل فيتحقق فيه قول الله تعالى : {إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠} [سورة آل عمران ٣/: ١٦٠]. فإذا توكل المؤمنون على الله فهو الناصر وحده لهم.

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:"إن يمددكم الله بنصره ومعونته (فلا غالب لكم)ولو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعدة، لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد، وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه(وإن يخذلكم) ويكلكم إلى أنفسكم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) فلا بد أن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق.

وقد ضمن ذلك الأمر بالاستنصار بالله، والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة،ولهذا قال :(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وتقدم المعمول (الجار والمجرور) يؤذن بالحصر، أي توكلوا على

---

(١) انظر: المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص١٣٠-١٣٢

الله، لا غيره، لأنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار . وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله"(١). وبقدر التوكل على الله يكون الانتصار على الأعداء.

يقول الباحث : إن الواجب على المسلمين جميعاً إن يعتمدوا على الله في كل شيء وأن يتوكلوا عليه في أمورهم كلها وان يخلصوا له العبادة ..

وإن كان المسلمون مطالبين بذلك في كل وقت فهم في هذا الزمان مطالبين به كثيراً فعلينا في هذه الأيام أن نعود إلى الله وأن نتوكل عليه في وقت نرى أمم الكفر قد أحاطت بالمسلمين وظهر حقد اليهودية والنصرانية والصليبية وأصبح الكثير من ضعاف الإيمان ومنافقي الأمة في خوف ووجل عظيم من رؤوس الكفر، ونسي أولئك أن الأمر بيد الله وأنه هو الذي نصر عبده وأنجز وعده وهزم الأحزاب وحده فهو الذي اهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ، والمؤتفكة أهوى ... فلا اله إلا الله ..... إنّ الله ليس بعاجز عن نصر عباده المؤمنين وأوليائه المتقين.

ولكن نصره قد يتأخر بسبب ذنوبنا وتقصيرنا وحتى يظهر الصادق من الكاذب والمؤمنين من المنافقين .... يقول تعالى في كتابه : {وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:٢٢]

وأما أهل النفاق ومرضى القلوب فاسمع ماذا يقولون { وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾} [سورة الأحزاب ٣٣/:١٢].

المطلب الخامس (السبب الخامس): الإعداد الجيد والإنفاق في سبيل الله:

ينبغي على المسلمين أن يعدوا الإعداد الجيد في معركتهم مع عدوهم الذي يتربص بهم في كل وقت وحين لقول الله تعالى : {وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾} [سورة الأنفال ٨/:٦٠].

---

(١) انظر: السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص١٥٤.

فالله عز وجل يأمر المسلمين أن يعدوا لأعدائهم الكفار كل ما يقدرون عليه من قوة عقلية وبدنية ومادية، ومن أنواع الأسلحة مما يعين على قتالهم، "ويدخل في ذلك جميع أنواع الصناعات التي يعمل فيها أصناف الأسلحة، والآلات من مدافع، ورشاشات، وبنادق، وطائرات جوية، ومراكب برية وبحرية، وقلاع وخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي يتقدم المسلمون بها، ويندفع شر أعدائهم به، وتعلم الرماية، والشجاعة والتدبير، والقاعدة تقول" ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (١) "ويفهم من ذلك إن كان يوجد أشياء أكثر إرهاباً للعدو والتي يكون النكاية بالعدو فيها أشد وجب على المسلمين الاستعداد بها والسعي لإيجادها حتى لو كان ذلك بتعلم صناعتها.

كما ورد تفسير القوة بالرمي في قول النبي ﷺ وهو على المنبر: ((ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)) (٢).

والغرض من إعداد القوة هو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء المسلمين في الأرض؛ الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، ومَن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة. وهؤلاء تُرهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم، وأن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الاعتداء على المسلمين، أو الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية.

يقول صاحب الظلال: "الإسلام يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، فلابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان.

وأهمية القوة بالنسبة للدعوة الإسلامية تتلخص في أمور:

الأمر الأول: أن تؤمّن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يُصدون عنها، ولا يفتنون كذلك بعد اعتناقها.

الأمر الثاني: أن ترهب هذه القوة أعداء الإسلام، فلا يفكروا في الاعتداء على حرمات الإسلام.

الأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألا يفكروا في الوقوف في وجه الدين الإسلامي وهو ينطلق لتبليغ كلمة الله إلى الإنسان في كل الأرض.

الأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة «الألوهية» من دون الله رب العالمين"(٣).

---

(١) انظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص٣٢٤.

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه ، حديث رقم (١٩١٧)، (١٥٢٢/٣).

(٣) في ظلال القرآن (٣١٥٤/٣) مع تصرف.

وبما أن الأمة الإسلامية أمة مجاهدة، فلابد أن تكون هذه الأمة قوية حتى تستطيع أن تنهض بهذه الرسالة التي أنيطت بها، ولذلك حث النبي ﷺالمؤمنين أن يكونوا أقوياء، وعلى أن يحصلوا كل أسباب القوة، فقال ﷺ:((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))(١).

وما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يحصلوا كل أسباب القوة، فهم يواجهون نظاما عالميا وقوى دولية لا تعرف إلا لغة القوة، فعليهم أن يقرعوا الحديد بالحديد، ويقابلوا الريح بالإعصار ويقاتلوا الكفر وأهله بكل ما يقدرون عليه، وبكل ما امتدت إليه يدهم وبكل ما اكتشف الإنسان ووصل إليه العلم في ذلك العصر من سلاح وعتاد واستعداد حربي، لا يقصرون في ذلك ولا يعجزون(٢).فالمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء ، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة مادياً ومعنوياً وسياسياً وإعلامياً واقتصادياً وعسكرياً بالأسلحة المتطورة والجنود الأكفاء ليكونوا مرهوبي الجانب، ولتكون كلمة اللّه هي العليا.

وهذا الإعداد هو إعداد للسلاح والتدرب عليه، وإعداد للمال الذي يجهز به الجيش والسلاح وكذلك هو إعداد للجندي الذي يستخدم السلاح وللقائد الذي يدير المعركة، وهذا كله من أسباب النصر.

والله عز وجل أمر المؤمنين بالإنفاق في سبيله؛ لأن هذه النفقات تعين على جهاد الكفار والانتصار عليهم، ومن ينفق يضاعف له الله تعالى الأجر أضعافاً مضاعفة إلى سبعمائة ضعف ولن ينقص من الأجر والثواب شيئا، لقوله تعالى : {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١} [سورة البقرة ٢/:٢٦١].

وإعداد المال للجهاد في سبيل الله وردت فيه آيات وأحاديث كثيرة، تأمر وترغّب فيه، منها قوله تعالى: {ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١} [سورة التوبة ٩/:٤١] . وجاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم(٢٦٦٤)،(٢٠٥٢/٤).

(٢) انظر: الندوي ، أبو الحسن علي الحسني ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص١٠٤.

حين جهز جيش العُسْرة، ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلّبها ويقول : ((ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم)) قالها مراراً (١).

وقد طَمْأن الله المنفقين بأن لا يضيع لهم عنده أجر الإنفاق في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا؛ فما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدّخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة (٢).

وقد أمر الإسلام بالتدريب على السلاح، ونهى عن التخلف عنه، وشجع المتفوقين فيه، وكرَّمهم في حياتهم وبعد موتهم؛ إذ لا قيمة لأي سلاح إلا باستعماله، والتدريبُ على استعماله تدريباً راقياً دائباً هو الذي يمنح المقاتل ثقته بسلاحه، وحرْص المسلمين على التدريب، وتفوقهم فيه، كان سبباً من أسباب انتصارهم في المعارك التي خاضوها(٣).

وكذلك وجود القيادة المؤمنة القوية من أسباب النصر؛ إذ لا يتصور أن تقوم معركة ناجحة يتحقق فيها النصر دون أن تكون هناك قيادة ناجحة، وقد كان النبي ﷺ هو القائد العام في عصره، كما كان يختار القادةَ ويعدّهم لتحمّل المسؤولية، وكذلك كان الخلفاء من بعده نافذي البصيرة في اختيار القادة، كاختيار أبي بكر لخالد بن الوليد في حروب الردة والحروب الفارسية، واختيار عمر لسعد بن أبي وقاص في القادسية، والنعمان بن مقرن(٤) في نهاوند(٥)، وأبي عبيدة في فتوح الشام، وغير هؤلاء وهؤلاء.

والقائد الناجح ينبغي أن تتحقق فيه جملة صفات أهمها(٦):

١- القابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح: ويستند هذا إلى عاملين: القابلية العقلية للقائد، والحصول على المعلومات من خلال دوريات القتال والاستطلاع والعيون واستنطاق الأسرى والاستطلاع الشخصي واستشارة ذوي الرأي.

٢- الشجاعة الشخصية. ٣- الإرادة القوية الثابتة. ٤- تحمّل المسؤولية بلا تردد.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٥٥٣) ١١٠/٣. وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. والترمذي (٣٧٠١) ٦٢٦/٥. وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) الطبري ، جامع البيان ، (٢٧٤/٦).

(٣) انظر: خطاب ، محمود شيت ، الرسول القائد ، دار الفكر، ط : الخامسة ، ١٩٧٤م ، ص١٠٧- ١٠٨ .

(٤) هو النعمان بن عمرو بن مقرن ، يكنى أبا عمرو وقيل : أبو حكيم وكان معه لواء مزينة يوم الفتح.. روي عنه أنه قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم في أربعمائة راكب من مزينة ،ثم سكن البصرة وتحول عنها إلى الكوفة وقدم المدينة بفتح القادسية . قال ابن مسعود عنه :إن للإيمان بيوتاً وللنفاق بيوتاً وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن .انظر : ابن الأثير ،أسدالغابة ، (٣٥٨/٥-٣٥٩).

(٥) وقعت معركة نهاوند سنة ٢١هـ أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قائد المسلمين النعمان بن مقرن المزني وقال عمر إن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان ثم جرير بن عبد الله ثم المغيرة بن شعبة ثم الأشعث بن قيس فقتل النعمان وكان صحابياً فأخذ الراية حذيفة وكان الفتح على يده صلحاً. انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، (٢٥٠/٤).

(٦) خطاب ، محمود شيت ، الرسول القائد ، ص٣٠٠- ٣٠١.

٥- معرفة مبادئ الحرب. ٦- نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار.

٧- بعد النظر. ٨- معرفة نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم. ٩- قابلية بدنية. ١٠- المحبة المتبادلة بينه وبين قواته. ١١- شخصية قوية نافذة.

هذه هي بعض الصفات المثالية للقائد الممتاز، وهي نتيجة لدراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ؛ لذلك هي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة، ومن الممكن أن تتوفر في شخص واحد.

هذه الصفات الممتازة للقائد تحتاج إلى جندي ممتاز يتحلى بصفات أهمها:

١- عقيدة راسخة. ٢- معنويات عالية. ٣- ضبط قوي.

٤- تدريب جيد. ٥- تنظيم صحيح. ٦- تسليح ممتاز.

تلك هي مزايا الجندي الممتاز في كل زمان ومكان"(١).

فالقيادة الممتازة التي تتحلى بهذه الصفات، إذا اجتمعت مع جيش يتحلى بصفات الجندي الممتاز تحقق النصر والتمكين بإذن الله تعالى.

وبهذا يتبين بأنه لن تنتصر الأمة على عدوها إلا بإتيان عوامل النصر من عقيد ة راسخة،وحب الجهاد والاستشهاد والرباط في سبيل الله، وتوكل على الله وحده وأخذ بأسباب القوة من إعداد جيد وبذل للجهد مع الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من المشركين وأعداء الإسلام.

المبحث الثاني: أسباب الهزيمة:

إن الله - عزّ وجل - كما جعل للنصر والتمكين عوامل وأسباباً ، فكذلك جعل لهذا النصر معوقات وعقبات قد تمنع من تحققه وتحقيقه ، ومن أهم هذه المعوقات ، والتي تعد أيضاً أسباباً للهزيمة :

المطلب الأول (السبب الأول) :ارتكاب الذنوب والمعاصي:

كلما كانت ذنوبنا كثيرة كلما كنا أكثر بعداً عن النصر، فالواجب علينا كمسلمين أن نراجع أنفسنا وننقيها من الذنوب ونتوب إلى الله تعالى توبة نصوحاً لكي نقترب شيئاً فشيئاً من النصر، فالذنوب والمعاصي هي التي تدمر الإنسان وتهلك أصحابها وتُنزل من قدرهم.

فالله عز وجل أنزل سيدنا آدم - عليه السلام - من الجنة بسبب ذنب واحد ارتكبه فكيف بالذنوب الكثيرة المتراكمة، قال تعالى : {وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

(١) خطاب ، محمود شيت ، الرسول القائد ، ص٣٠٠- ٣٠١ .

هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾} [سورة البقرة ٢/:٣٥-٣٦].

كذلك الذنوب كانت سبباً لإغراق من لم يؤمن من قوم سيدنا نوح - عليه السلام - وسبباً في تسليط الريح العقيم على قوم عاد، قال تعالى : {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾} [سورة الحاقة ٦٩/:٥-٨]،وكذلك إغراق فرعون وأتباعه وباقي الأمم(١).

ولقد كانت معصية بعض الصحابة للرسول ﷺ وعدم التزامهم أوامره في غزوة أحد سبباً رئيساً من أسباب الهزيمة، فقد أمرهم بأن يثبتوا في أماكنهم مهما حدث ولكنهم لم يلتزموا كلامه فتحول النصر إلى هزيمة.

ففي الرحيق المختوم :"وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصراً ساحقاً على مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تماماً، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت تكون سبباً في مقتل النبي ﷺ ،وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، والتي كانوا يتمتعون بها بعد بدر"(٢).

وعند التأمل في مدة الحرب التي كانت بين المسلمين وأعدائهم في هذه الغزوة " يتضح أنها تنقسم إلى شطرين:

الشطر الأول : عندما التزم المسلمون أماكنهم وأطاعوا نبيهم عليه الصلاة والسلام كان نتيجة ذلك أن سارع النصر إلى المسلمين، وسارعت الهزيمة إلى صفوف المشركين، وقد أخذوا يولون الأدبار بعد أن سيطر الرعب على قلوبهم وفي ذلك قال تعالى : { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴿١٥٢﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٥٢].

والشطر الثاني : حينما انطلق المسلمون ليأخذوا الغنائم و"الأسلاب"(٣) ، ونزل الرماة من فوق الجبل حيث لم يلتزموا بما وصاهم الرسول ﷺ به، فهذا مما حول الرعب الذي داهم أفئدة المشركين

---

(١) انظر: الصواف ، محمد محمود ، أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب ، دار الاعتصام، دون طبعة أو تاريخ، ص٢٨.

(٢) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص٢٣٣.

(٣) الأسلاب : جمع سلب، وكل شيء على الإنسان من لباس يسمى سلب ،انظر: الفيومي ، المصباح المنير ،(٢٨٤/١).

إلى استبسال جديد في القتال، وقد أصبح الرعب يغزو قلوب المسلمين وهذا ما تحدثت عنه الآية في قوله تعالى : {حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ ﴿١٥٢﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٥٢].

وكان الوبال عظيماً بحيث لم ينج منه حتى رسول اللهﷺ وهو أحب الخلق إلى الله عز وجل وهذه من سنن الله في الكون بأن المعصية لا تولد إلا الهزيمة " (١).

المطلب الثاني (السبب الثاني) :التنازع والاختلاف والفرقة:

إنّ الوحدة والتآلف بين أبناء أمة الإسلام من أهم الأسباب المؤدية إلى تحقيق النصر والتمكين على أعداء الدين؛لذلك جاء الحث في كتاب الله - عز وجل - على ضرورة الاتحاد والاعتصام بحبل الله المتين ، فقال سبحانه: {وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴿١٠٣﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٠٣]،ولما كانت وحدة الصف المسلم ضرورية، فقد أراد الله سبحانه لجند الإسلام أن يقاتلوا عدوهم موحدين صفًا واحداً متينًا منتظمًا، قال تعالى : {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾} [سورة الصف ٦١/:٤]، "فهذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفاً متراصاً متساوياً، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضاً، ولهذا كان النبي ﷺإذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال"(٢). كما نهى سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا متفرقين مختلفين كالذين سبقوهم فقال سبحانه : {وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ

(١) انظر: البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة ، دار الفكر - دمشق ، ط : ٢٠٠٣م ، ص١٨٠-١٨١.
(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٨٥٨.

ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾} [سورة آل عمران ٣/:١٠٥]، وقد بيّن سبحانه أن التنازع يؤدي إلى الفشل والنكوص، والتراجع عن مواجهة الأعداء، لأن الأمة تنشغل بخلافاتها الداخلية وتنسى قضاياها الأساسية وعدوها الرئيس، قال تعالى : {وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة الأنفال ٨/:٤٦] ، والمراد أن الله سبحانه نهى عن التنازع والاختلاف في الرأي، " لأنكم إن تنازعتم فستضيع قوتكم وتقابلون الفشل، أي لن تحققوا شيئاً مما تريدون لأنكم أهدرتم قوتكم في التنازع، ولم تعد لكم قوة تحققون بها ما تريدون وستذهب ريحكم في هذه الحال. والفشل هو إخفاق الإنسان دون المهمة التي كان يرجوها من نفسه"(١).

فالاختلاف علة للفشل والهلاك لأنه" يجعل الأمة فرقًا شتى مما يضعف الأمة، فالأمة المجتمعة قوتها أكبر من قوتها وهي متفرقة لتفرق قوتها على الفرق كلها، وقوة كل فرقة منفردة أضعف من قوة الأمة مجتمعة، وهذا الضعف العام يُجرئ العدو عليها فيطمع فيها ويهاجمها ويحتل أرضها ويستولي عليها ويستعبدها، ويمسخ شخصيتها مما يؤدي إلى انقراضها وهلاكها"(٢).

وكثيرًا ما يلجأ أعداء الإسلام من اليهود والنصارى إلى بث بذور الفتنة بين المسلمين، وحالنا لا يخفى على أحد، فكل دولتين إسلاميتين بينهما من أسباب الفرقة ما يمنع توحدهما والتقاءهما، لهذا حذر سبحانه المؤمنين أن يكونوا صيدًا سهلاً لعدوهم، ونهاهم عن طاعة عدوهم في هذا الجانب، لئلا يؤدي ذلك إلى ردتهم عن دينهم، قال تعالى : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ } [سورة آل عمران ٣/:١٠٠] ، فالآية الكريمة نزلت في " يهودي أراد تجديد الفتنة بين الأوس والخزرج بعد انقطاعها، فنادى هؤلاء :يا آل الأوس، ونادى هؤلاء :يا آل الخزرج، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال فنزلت الآية، فجاء النبي ﷺ حتى وقف بين الصفين فقرأها، فلما فرغ القوا السلاح، وعانق بعضهم بعضًا، وجعلوا يبكون، ثم انصرفوا مع النبي عليه السلام سامعين مطيعين"(٣)، وليس غريباً ما نشهده في أيامنا هذه من

---

(١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي ،١١٩٣.

(٢) زيدان ، عبد الكريم ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات ، ص١٤٢.

(٣) انظر: الواحدي، أسباب نزول القرآن ، (١١٦/١-١١٧).

محاولات قوى الاستكبار والاستعمار العالمي من تشجيع النعرات الاقليمية والطائفية، والتنظيمية بين أبناء العقيدة الواحدة والقضية الواحدة، وهنا يسهل علينا تفسير ما نحن فيه من هزائم، وانشغال عن العدو الحقيقي، وتأخر النصر عن أمة الإسلام،وهيمنة قوى الشرق والغرب على عالمنا الإسلامي.

ومن الحري قوله أن نتيجة التنازع والاختلاف في الأمة هو عدم توحد كلمتهم الآن، فتلكأوا في نصرة أهل فلسطين وإنقاذ القدس والمسجد الأقصى من أيدي الصهاينة العابثين، فضلاً عن تواطؤ معظم الحكومات العربية ووقوفها بجانب أمريكا وإسرائيل في حربها ضد العراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان وباقي البلاد الإسلامية المستعمرة.

المطلب الثالث (السبب الثالث) :اليأس والقنوط:

إن من أعظم الأمراض خطراً على الأمة أن يسيطر على أبنائها روح اليأس والقنوط، وأن تسيطر عليهم روح الهزيمة والانكسار، "والحقيقة أن اليأس داء خبيث إذا انتشر في أمة أهلكها، وما تفشى في جسد إلا أنهكه "(١).

ولنا في وصية سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ لأبنائه خير مثل على التفاؤل والأمل وعدم اليأس،قال تعالى على لسان سيدنا يعقوب- عليه السلام - : {يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧} [سورة يوسف ١٢/:٨٧].

فاليأس من رحمة الله تعالى من صفات الكافرين، والمؤمن ينأى بنفسه عن ذلك، يقول علماء النفس : "إن المجتمعات إذا ساد أفرادها روح التفاؤل والرضا، فإنها تكون أقوى بنياناً وأكثر إنتاجاً، وأقدر على مواجهة الأحداث والنوازل ولذلك تلجأ الأمم الناهضة إلى بث روح الاستبشار والرضا والأمن والاطمئنان بين الأفراد والجماعات لما لهذه الروح من بعث للنشاط وتقوية لمعنويات الأمة "(٢).

ولنا في سيرة رسولنا عليه الصلاة والسلام خير مثال على التفاؤل وعدم اليأس، ففي أشد الظروف حلكة وهو في غار ثور مختبئاً من أعدائه الذين يلاحقونه من كل جانب و عندما لحق به سراقة بن مالك كتب له كتاباً وهو لا يملك عند ذلك شيئاً إلا إيمانه بالله عز وجل يقول ابن القيم

---

(١) انظر :يوسف ، محمد السيد ، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى،١٤١٨هـ ،ص٢٦٠.

(٢) الخطيب ، محمد عبد الله ، دستور النصر والهزيمة ، دار المنار الحديثة، الطبعة الثانية،١٤١١هـ،(٧٥/١).

رحمه الله : "فقال أبو بكر : يا رسول الله هذا سراقة ابن مالك قد رهقنا، فدعا عليه رسول اللهﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض، فقال : قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعو الله لي، ولكما عليّ أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله، فَأُطلق، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً فكتب له أبو بكر بأمره في أديم(١) وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة، فجاءه بالكتاب، فوفاه له رسول الله ﷺ ، وقال : يوم وفاء وبر"(٢).

وفي غزوة الخندق كان الرسول ﷺ من أشد الناس تفاؤلاً " فعندما عرضت للصحابة رضي الله عنهم صخرة، اشتكوا إلى رسول الله ﷺ ذلك فأخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة، وقال الله أكبر أعطيتُ مفتاح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب ضربة، وقال : الله أكبر، أعطيت فارس و الله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة : فقال :بسم الله، فقطع بقية الحجر، فقال :الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني "(٣).

هكذا كان حال النبي عليه الصلاة والسلام لم يدب اليأس إلى قلبه لحظة واحدة إلى أن بنى دولة الإسلام العظيم التي شهد لها العالم كله بعظمتها وعدلها.

فأمة الإسلام اليوم في أشد الحاجة إلى من يبث الأمل وروح التفاؤل بين أبنائها الذين تسرب إلى قلوبهم اليأس والقنوط ؛ لينطلقوا في الحياة بهمّة عالية ،ليعيدوا مجدهم التليد ، والذي ضاع يوم أن ضيعنا دين الله .

المطلب الرابع (السبب الرابع): غياب القيادة الراشدة:

إن من أكبر عوامل الهزيمة عدم وجود قيادة راشدة واعية تحكم المسلمين جميعاً بشريعة الإسلام، وتقودهم إلى كل خير، فتصلح ما تراه يريد إصلاحاً، وتزيل ما تراه فاسداً، وذلك كله وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله.

فالقيادة بمثابة الرأس من الجسد، إذا صلحت صلحت الأمة بأكملها، وإن فسدت فسدت الأمة جميعها.

---

(١) الأديم : جمع أَدم والأَدمة باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها . انظر : أبو البقاء الكفومي ، أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ،دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ،(٨٤/١).

(٢) ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت ،الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦م ،(٤٥/٣).

(٣) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص٢٧٥.

ومن شدة عظَم ما يحمل القائد من مسئولية أمام الله تعالى فقد ذُكر الإمام العادل في حديث السبعة الذين يظلهم الله - عزوجل - في ظله يوم لا ظل إلا ظله، أول هؤلاء السبعة، فقد ورد عن أبي هريرة،عن النبي ﷺقال :((سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا يظل إلا ظله : الإمام العادل ...)) (١).

وقد بشر الرسولُ ﷺ الإمامَ المقسط العادل بأنه سيكون يوم القيامة على منابر من نور، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُوا))(٢).

وأنه من مات غاشاً لرعيته فقد حرم الله تعالى عليه الجنة، فقد قال رسول الله : ((ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة))(٣).

ولقد كان الرسول ﷺ أعظم قائد عرفته البشرية، وقد ربّى صحابته على توحيد الله عز وجل، وأن يكونوا من بعده أئمة عظماء يعدلون في رعيتهم . وقد عاشت الأمة الإسلامية زمناً كبيراً في ظل القيادة الر اشدة، وهي آمنة مطمئنة وقد ساد العدل والإخاء كل جوانبها، لدرجة أنه لما تولى القضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن الخليفة الراشد، أبي بكر الصديق رضي الله عنه ظل عاماً كاملاً لم يختصم إليه اثنان، وقد انعدم الفقر من المجتمع الإسلامي في عهد الخليفة الراشد عمربن عبد العزيز(٤) بحيث لم يجد الخليفة فقيراً واحداً ليعطيه الصدقة، فاشترى بالمال عبيداً وأعتقهم، وكتب عمر إلى واليه في العراق حتى يخرج للناس أعطياتهم، فكتب إليه الوالي، أنه قد بقي مالٌ في بيت المسلمين بعد أن أعطى الناس، فكتب إليه عمر أن يزوج من كان بكراً ويدفع عنه الصداق.

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم (١٠٣١) ، (٧١٥/٢).

(٢) المرجع السابق،كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر،حديث رقم(١٨٢٧) ،(١٤٥٨/٣).

(٣)المرجع السابق ،كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، حديث رقم (١٤٢) ،(١٤٥٩/٣).

(٤)هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي،المعروف بأمير المؤمنين، وأمه : هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان - رضي الله عنه من التابعين الأجلاء، وقد روى عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد وغيرهم، وروى هو عن خلق من التابعين، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : لا أرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، له إخوة كُثر،.كان حريصاً على العلم، راغباً في الأدب، جمع القرآن وهو غلام صغير، وكان مؤدبه هو صالح بن كيسان، وقد طلب من والده أن يرحل إلى المدينة حتى يتعلم على أيدي مشايخها، فقعد مع مشايخ قريش، وتجنب شبابهم، ولما مات أبوه،زوجه عمه عبد الملك بن مروان ابنته فاطمة، ولما ولي أمر المسلمين كان من أحسن الناس معاشرة، وأعدلهم سيرة، وكان يشاور الفقهاء إذا وقع له أمر، وكان زاهداً عابداً، وقد رد المظالم إلى أهلها، توفي ولم يوصِ لأحد من أبنائه بشيء من المال، وكان عمره حين توفي تسعاً وثلاثين سنة وأشهر،وكانت خلافته تقريباً سنتان ونصف. انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، (٢٣٩/٦). والذَهَبي ، سير أعلام النبلاء ، (١٣٠/٩)).

ولْنَرَ حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان خليفة للمسلمين وهو يتحدث بنفسه : " لا يحل لي من مال الله إلا حلتان، حلة للشتاء، وحلة للصيف، وقوت أهلي كرجل من قريش، ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين "(١)

وكان عمر " إذا استعمل أحد العمال، كتب له عهداً وأشهد عليه جماعة من المهاجرين واشترط عليه ألا يركب برذوناً، ولا يأكل نقياً(٢)، ولا يلبس لباساً رقيقاً، ولا يغلق بابه في وجه ذوي الحاجات، فإن فعل شيئاً من ذلك، جعل عليه عقوبة"(٣).

وكان رضي الله عنه في عام الرمادة لا يتناول إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده، وكان يقول : "بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع"(٤) ، وكان - رضي الله عنه - في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل إلى منزله ويعاد بعد ذلك أياماً وذلك من شدة خوفه من الله(٥).

هؤلاء هم الحكام المسلمون الذين مكّن الله لهم في الأرض، ففتحوا البلاد، وعدلوا بين الرعية ومن صفاتهم أنهم كانوا يخافون الله تعالى ويتقونه في رعيتهم، كما أنهم لا يعتدون على حقوق الغير، وأنهم يقيمون حدود الله، ويقفون عند ما حرم الله عز وجل، يسهرون من أجل رعيتهم غايتهم مرضاة ربهم، ومن صفاتهم أيضاً العلم والحلم وا لزهد والورع، والدفاع عن كرامة المسلمين، وغايتهم السامية رفع راية التوحيد، والتمكين لدولة الإسلام حتى يكون الدين كله لله فما أحوج أمتنا اليوم لأمثالهم.فنصرهم الله -عز وجل - وأعزهم ورفع شأنهم ، فكانوا خير سلف لنا،فلنكن خير خلف لهم .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، (١٣٤/٧).

(٢) نُقَاوَةُ الشيء و نُقَايَتُهُ بالضم فيهما خِيارهو الانْتِقَاءُ الاختيار و التَّنَقِّي التخير و أَنْقَتِ الإبل وغيرها أي سمِنت وصار فيها نِقْيٌ أي مُخٌ يقال هذه ناقة مُنْقِيَةٌ وهذه لا تُنقي (انظر:مختار الصحاح ،ص٦٨٨).

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، (١٣٤/٧).

(٤) المرجع السابق ، (١٣٥/٧).

(٥) المرجع السابق ، (١٣٥/٧).

خاتمة البحث

وفي ختام هذا البحث أشير إلى أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذه الدراسة، والتي أجملها في التالي:

١- الحق يطلق على كل ما هو ثابت وصحيح وواجب فعله أو بقاؤه من إعتقاد أو قول أو فعل بحكم الشرع ، والباطل نقيض الحق أي ما لاثبات له ولا اعتبار ولا يوصف بالصحة، ويستوجب الترك ولا يستحق البقاء، بل يستوجب القلع والازالة، وكل ذلك بحكم الشرع ،وعلى هذا فالحق يشمل كل ما أمر الله به والباطل يشمل كل ما نهى الله عنه.

٢- إن الصراع بين الحق والباطل أمر لابد منه وحتمي لأنهما ضدان والضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان في آنٍ واحد، ولأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر ،وطرده ودفعه وإزالته، أو على الأقل إضعافه ومنعه، من أن يكون له تأثير في واقع الحياة ،فلا يتصور إذن أن يعيش الحق والباطل في سلم من دون غلبة أحدهما على الآخر، إلا لعلة كضعف أصحابهما أو جهلهم بمعاني الحق والباطل.

٣- عبّر النص القرآني عن حتمية هذا التصارع بالتدافع، والذي يعني تنحية الحق والباطل - أحدهما للآخر، وإزالته ومحوه بالقوة عند الاقتضاء.

٤- إن الصراع بين الحق والباطل في حقيقته صراع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل، أي بين المؤمنين وبين غيرهم، لأنهم هم الذين يحملون معاني الحق، أو معاني الباطل ويسعون الى إظهار هذه المعاني في الخارج، وإقامة شؤون الحياة على أساسها ،فيحصل التعارض والتزاحم والتدافع بين الفريقين ، بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل أي بين المؤمنين وبين غيرهم.

٥- إن ميادين الصراع بين الحق والباطل واسعة ومتشعبة، تبدأ من مكنون النفس الانسانية حين تصطرع دوافع الخير مع دوافع الشر داخلها وتنتقل إلى ميدان الإنسان مع الشيطان، الذي ناصب العداء لبني آدم ،والذي حذر القرآن منه ومن تزيينه وأمرنا أن نتخذه عدواً ،وهو بعد مستمر في عدائه فيحدث التصارع بين إغرائه والإعتصام بالحق، ويأتي بعد ذلك الميدان الأوسع وهو صراع الأنبياء دعاة الحق والخير والفضيلة مع أقوامهم، الذين يقفون بالند والضد من دعوة الانبياء وقد توسع النص القرآني بعرض صور هذا الصراع، وذكر تفاصيل ومداخل هذا الصراع، لذلك حاولت الوقوف عنده ملياً لأنه أبرز ميادين الصراع وأوسعها.

٦- قضت سنة الله تعالى في الصراع بين الحق والباطل أن الغلبة للحق وأهله، وأنّ الاندحار للباطل وأهله، وأن هذه السنة لا تتخلف أبداً، لأنها إخبار من الله تعالى، والله أصدق القائلين. فالنصر سنة إلهية ثابتة لأهل الحق لكنه لا يتحقق في عالم الواقع إلا بعد تمامه في عالم الضمير.

٧ـ مما يجب أن يعرف أن نصر المؤمنين حسب سنة الله في نصرهم قد يتأخر، لأن الله تعالى يريد لهم النصر الأكبر والأكمل والأعظم والأدوم والأكثر تأثيراً في واقع الحياة، وفي عموم الناس بعد أن تتهيأ في المؤمنين القاعدة اللازمة لإستحقاقهم هذا النصر الأكبر، واستقبالهم له.

٨ـ إن الهلاك الحضاري للباطل أمر حتمي وسنة ماضية ،فكم من حضارات قامت على الباطل كانت نهايتها الاضمحلال والذهاب، وأن الحضارة الغربية المعاصرة ساقطة حضارياً وأخلاقياً، لامتلاكها الصلاح المادي، دون المعنوي كما زالت حضارات عاد وثمود.

٩ـ الأمر الذي ينبغي التنبه إليه، هو أن الباطل دائماً وأبداً في صراع مع الحق ،وأن أهل الباطل لا يكفيهم بقاؤهم على باطلهم، وإنما يسعون إلى محق الحق وأهله ،وإزالته بالقوة وصد الناس عنه، ببذل المال وبالقتال، وبكل ما يرون فيه قوة وقدرة لتحقيق ما يريدون، وهذا هو شأن الباطل تطغيه قوته فتدفعه إلى إزالة الحق وأهله، ولو بالقوة ،والباطل هو الباطل في كل زمان ومكان وإن اختلفت وسائل حربه للحق، إلا أن غايته واحدة لا تتبدل، ونحن اليوم نشهد هذا واضحاً بيناً ،في الحرب على الاسلام لذا وجب علينا أن نعود إلى نصوص القرآن التي تحدثت عن الصراع بين الحق والباطل، ونجعلها القواعد الثابتة في صراعنا مع باطل اليوم.

١٠ـ للنصر عوامل وأسباب ومقومات لا يتحقق بدونها، والإيمان رأس هذه العوامل وأساسها، وبخاصة أن الفهم الصحيح لفكرة النصر وسننه ينطلق من الإيمان فهو الذي يدفع إلى الجد والعمل ويصرف عن التواكل والكسل.

١١ـ إن قضية الصراع والتدافع بين الحق والباطل هي المدخل إلى النصر والهزيمة، ولا يمكن أن يحدث نصر دون أن يسبقه صراع،وبخاصة وأن الصراع بين الحق والباطل سنة إلهية يحكمها قانون إلهي عام، وهذا الصراع قديم قدم الحياة الإنسانية، ويحمل في طياته طبيعة عقدية.

١٢ـ للهزيمة عوامل وأسباب مهيئة لها منها :الذنوب والمعاصي، فالنصر تكريم من الله لعباده، وكيف يكرم الله العصاة والمذنبين !!ولا يمكن في المنظور الإسلامي أن يجتمع النصر مع المعصية، ونحن إنما ننتصر بطاعتنا لله ومعصية عدونا له، فإذا استوينا معه في المعصية كانت الغلبة للقوة.

تلك بعض النتائج التي توصل إليها الباحث والله أعلم وأرحم والحمد لله أولاً وأخيراً.

من التوصيات:

١ـ الإكثار من البرامج والدروس والمحاضرات التي توعي المسلمين بأهمية السنن ، ومنها سنة التدافع.

٢ـ الإكثار من عمل الدروس والمحاضرات المبشرة بالنصر والتمكين

٣ـ أن يعد أهل الحق أنفسهم لصراع طويل بينهم وبين أهل الباطل.

الفهارس العامة:-

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانياً :فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً :فهرس المراجع

رابعاً :فهرس الموضوعات

أولاً:- فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

٢- سورة البقرة

١	{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا ..}	١٤-١٥	١١٢
٢	{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ..}	٣٤	١٣٥، ١٣٦
٣	{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ ..}	٣٥-٣٦	١٦١
٤	{وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ..}	٤٢	٣١
٥	{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ..}	٨٧-٨٨	١٣٨
٦	{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا ..}	٨٧	١٤٤
٧	{فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ ﴿٨٩﴾}	٨٩	١١٥
٨	{أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا ..}	١٠٠	١١٥
٩	{مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن ..}	١٠٥	١٤١
١٠	{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ ..}	١٠٩	١٤١
١١	{وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴿١٢٠﴾}	١٢٠	٥٨، ١٢٠، ١٣١
١٢	{أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ..}	١٥٧	٨٤
١٣	{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ ..}	١٩٠	٤٢
١٤	{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ..}	٢١٢	١٣٠
١٥	{وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ ..}	٢١٧	١٠٣، ١٢٠
١٦	{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن ..}	٢٤٩	٥٤، ٧٢
١٧	{وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ ..}	٢٥٠-٢٥١	٧٠
١٨	{وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا ..}	٢٥٠	٨٨، ٩٧
١٩	{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ..}	٢٥١	٥٧، ٦١، ١٢٣
٢٠	{فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٢٥٢﴾}	٢٥٢	٩٧
٢١	{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا ..}	٢٥٣	١٢٢
٢٢	{مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ..}	٢٦١	١٥٨

٢٣	{لَا تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴿٢٦٤﴾}	٢٦٤	٣١

٣- سورة آل عمران

٢٤	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ..}	١٠٠	١٦٤
٢٥	{وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ..}	١٠٣	١٦٢
٢٦	{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ ..}	١٠٤	٩٦
٢٧	{وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ..}	١٠٥	١٦٣
٢٨	{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ..}	١١٠	٩٦، ٩٢، ٩٦، ١١٧
٢٩	{قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ ..}	١١٨	٥٨
٣٠	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ ..}	١١٨-١٢٠	١٠٩
٣١	{قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ ..}	١١٨	١٢٩
٣٢	{وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴿١٢٠﴾}	١٢٠	٨٦، ١٤٢
٣٣	{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ..}	١٢٣-١٢٦	٨٨
٣٤	{وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾}	١٣٢	٧٨
٣٥	{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ ..}	١٣٧-١٤١	٦
٣٦	{وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ..}	١٣٩	٦٨، ٧٤
٣٧	{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾}	١٤٦	٨٤
٣٨	{وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴿١٤٨﴾}	١٤٨	٩٧
٣٩	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ..}	١٤٩	٧٩
٤٠	{بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾}	١٥٠	٧٨، ٧٩
٤١	{حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ ..}	١٥٢	١٦٢
٤٢	{إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى ..}	١٦٠	١٥٥
٤٣	{وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ..}	١٦٧	١١٠
٤٤	{ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ..}	١٧٣	٦٩
٤٥	{مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ..}	١٧٩	٦٨
٤٦	{لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ..}	١٨١	١١٤

٤٧	{وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾}	١٨٦	٨٤

٤- سورة النساء

٤٨	{وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ..}	٦	١٢٢
٤٩	{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ ..}	١٣-١٤	٧٥
٥٠	{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ ..}	١٣	٧٥
٥١	{يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن ..}	٢٦	٧، ١١
٥٢	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ..}	٢٩	٣١
٥٣	{وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾}	٤٨	١٠٤
٥٤	{وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ ..}	٧٢	١١١
٥٥	{ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ..}	٧٦	١٥٣
٥٦	{وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ ﴿٨٩﴾}	٨٩	١٤١
٥٧	{وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ ..}	١٠٤	٦٤
٥٨	{وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾}	١١٦	١٠٤
٥٩	{فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ ﴿١٣٥﴾}	١٣٥	١٤٤
٦٠	{بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ..}	١٣٨-١٣٩	١١٠
٦١	{ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ ..}	١٤١	٧٣
٦٢	{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴿١٥٧﴾}	١٥٧	١١٩

٥- سورة المائدة

٦٣	{لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ..}	١٧	١١٩
٦٤	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ..}	٥١	١٤٩
٦٥	{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا ..}	٥٨	١٠٦
٦٦	{وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ ..}	٦٤	١١٣
٦٧	{إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ ..}	٧٢	١٠٤
٦٨	{لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴿٧٣﴾}	٧٣	١١٩
٦٩	{لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ..}	٧٨-٧٩	١١٧
٧٠	{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ ..}	٨٢	١١٤

٦- سورة الأنعام

٧١	{فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ ..}	٥	٢٩
٧٢	{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ..}	٧	١٠٥
٧٣	{قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا ..}	١٤	١٠٤
٧٤	{ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴿٢٠﴾}	٢٠	١١٥
٧٥	{فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ..}	٣٤	٨٦
٧٦	{وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾}	١٠٦	١٠٤

٧- سورة الأعراف

٧٧	{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ..}	١٢	١٣٦
٧٨	{رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾}	٨٩	٢٩
٧٩	{قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ..}	١٢٨	٧٣
٨٠	{سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ..}	١٤٦	١٣٥، ١٣٨
٨١	{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ ..}	١٦٤-١٦٥	٩١
٨٢	{وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ..}	١٧٥-١٧٦	١٤٣

٨- سورة الأنفال

٨٣	{لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾}	٨	٢٩
٨٤	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ..}	١٥-١٦	٩٩
٨٥	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ ..}	٢٠	٧٦
٨٦	{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ..}	٣٠	٤٢، ١٠٦
٨٧	{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ..}	٣٦	١٣١
٨٨	{قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ..}	٣٨	٧
٨٩	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ..}	٤٥	٩٨، ١٠٠
٩٠	{وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ..}	٤٦	١٦٣
٩١	{ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ ..}	٥٦	١١٥
٩٢	{وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ..}	٦٠	١٢٩، ١٣٢، ١٥٧
٩٣	{ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن ..}	٦٦	٨٧

٩- سورة التوبة

٩٤	{ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ..}	٣٠-٣١	١١٣
٩٥	{وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم ..}	٣٠	١١٩
٩٦	{ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ..}	٤١	١٥٩
٩٧	{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ..}	٥٠	١٠٩
٩٨	{ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ ..}	٥١	١٥٥
٩٩	{ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ ..}	٦٧	١١١
١٠٠	{وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ..}	٧١	٧٨

١٠- سورة يونس

١٠١	{إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴿٤﴾}	٤	٢٩
١٠٢	{وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴿٣٠﴾}	٣٠	٢٨
١٠٣	{وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ..}	١٠٩	٤٢

١١- سورة هود

١٠٤	{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ..}	١١٦	٩٥، ٩٦
١٠٥	{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ..}	١١٨	١٢٦
١٠٦	{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ..}	١١٨-١١٩	١٢٧
١٠٧	{ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ ..}	١٢٠	١٠٢

١٢- سورة يوسف

١٠٨	{يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن ..}	٨٧	١٦٤
١٠٩	{قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ..}	١٠٨	٩١
١١٠	{ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا ..}	١١١	٤

١٣- سورة الرعد

١١١	{ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا ..}	١٧	٣٣، ١٠٢
١١٢	{أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾}	٢٨	٩٩، ١٤٠

١٤- سورة إبراهيم

١١٣	{وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ..}	١٢	٨٩
١١٤	{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ..}	١٣	٥٧
١١٥	{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ..}	٢٧	١٠٠

١٥- سورة الحجر

١١٦	{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ..}	١٠-١٣	٨
١١٧	{ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾}	١٣	١٢
١١٨	{ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ..}	١٤-١٥	١٠٥

١٦- سورة النحل

١١٩	{ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ..}	٢٢	١٣٨
١٢٠	{إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾}	٢٣	١٣٤
١٢١	{وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ ..}	٩٠	٨٦
١٢٢	{وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ..}	١١٣	٤١
١٢٣	{ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم ..}	١٢٥	٩١

١٧- سورة الإسراء

١٢٤	{ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ..}	٦٢	١٣٦
١٢٥	{وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا ..}	٧٦-٧٧	٩
١٢٦	{وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾}	٧٧	١٢
١٢٧	{ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾}	٨١	٣١، ١٠٢، ١٢٨

١٨- سورة الكهف

١٢٨	{إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ ..}	٢٠	٥٨

١٨- سورة الأنبياء

١٢٩	{ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ..}	٥٥	

١٨- سورة الكهف

١٣٠	{ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ ..}	٥٥	٩
١٣١	{وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾}	٥٦	١٠٦

٢٠- سورة طه

١٣٢	{إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ..}	١٥-١٦	١٤٤
١٣٣	{قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ..}	١٣٥	١٠٣

٢١- سورة الأنبياء

١٣٤	{بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ..}	١٨	٣٨، ١٢٨
١٣٥	{وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾}	٣٠	٣٤
١٣٦	{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ..}	٨٣	٨٣

٢٢- سورة الحج

١٣٧	{وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ ..}	٣١	١٠٤
١٣٨	{إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴿٣٨﴾}	٣٨	٧٠، ١٢٢
١٣٩	{وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾}	٤٠	٩٤، ١٢٣
١٤٠	{ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ..}	٤١	٩٤
١٤١	{أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ ..}	٤٦	١٣
١٤٢	{هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴿٧٨﴾}	٧٨	١٥١

٢٣- سورة المؤمنون

١٤٣	{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ..}	٤٥-٤٧	١٣٧
١٤٤	{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن ..}	٧١	٢٩، ١٤٥

٢٤- سورة النور

١٤٥	{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن ..}	٥١	٧٨
١٤٦	{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ..}	٥٢	٧٨
١٤٧	{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ..}	٥٥	٦٨، ١٤٧

٢٥- سورة الفرقان

١٤٨	{۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ ..}	٢١	١٣٩
١٤٩	{وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ ..}	٤١	١٠٦
١٥٠	{أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ..}	٤٣	١٤٣
١٥١	{وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ ..}	٥٨	١٥٤

٢٦- سورة الشعراء

١٥٢	{فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ..}	٥٣-٥٦	١٣١

٢٨- سورة القصص

١٥٣	{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ..}	٣٨	١٣٧
١٥٤	{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ ..}	٣٩	١٣٧
١٥٥	{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ ..}	٥٠	١٤٤

٢٩- سورة العنكبوت

١٥٦	{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ..}	٤٣	٣٢
١٥٧	{وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا ..}	٤٨	٣١

٣٠- سورة الروم

١٥٨	{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ..}	٤٧	٧١

٣٢- سورة السجدة

١٥٩	{وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴿١٣﴾}	١٣	٣٠
١٦٠	{أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ..}	١٨-٢٠	٦٣
١٦١	{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا ..}	٢٤	٨٧

٣٣- سورة الأحزاب

١٦٢	{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ ..}	١٢	١٥٦
١٦٣	{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ..}	٢٢	٦٩، ١٥٦
١٦٤	{مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن ..}	٢٣	٦٩، ١٥٣
١٦٥	{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ أَمْرًا أَن يَكُونَ ..}	٣٦	٧٥
١٦٦	{مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ ..}	٣٨	١٠
١٦٧	{۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ..}	٦٠-٦٢	١٠
١٦٨	{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾}	٧١	١٠٢

٣٤- سورة سبأ

١٦٩	{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ..}	٢٦	٥٧

٣٥- سورة فاطر

١٧٠	{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ ..}	٤٢-٤٣	١٣٩
١٧١	{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ ﴿٤٣﴾}	٤٣	١٢

٣٦- سورة يس

١٧٢	{وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ..}	٤٦	١٠٥

٣٧- سورة الصافات

١٧٣	{وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾}	٣٦	١٤٠

٣٨- سورة ص

١٧٤	{يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا ..}	٢٦	١٤٣
١٧٥	{كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ..}	٢٩	١٤
١٧٦	{إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾}	٤٤	٨٣
١٧٧	{إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾}	٧٤	١٣٥
١٧٨	{قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾}	٧٦	١٣٥

٣٩- سورة الزمر

١٧٩	{إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾}	١٠	٨٤

٤٠- سورة غافر

١٨٠	{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ..}	٥١	٧٢، ١٤٧
١٨١	{إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ..}	٥٦	١٣٩
١٨٢	{فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ..}	٧٨	٥٧

٤١- سورة فصلت

١٨٣	{فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا ..}	١٥	١٤٠
١٨٤	{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى ..}	٣٣	٨٩
١٨٥	{لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴿٤٢﴾}	٤٢	٣١

٤٢- سورة الشورى

١٨٦	{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ ..}	٧	٦٢
١٨٧	{وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ ..}	١٤	١٤٢
١٨٨	{وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ..}	٢٤	١٢٨

٤٣- سورة الزخرف

١٨٩	{وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾}	٧	١٠٦
١٩٠	{وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ..}	٥١-٥٢	١٣١

١٩١	{إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ ..}	٧٤-٧٨	٦٤
١٩٢	{وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾}	٧٨	١٠٥

٤٥- سورة الجاثية

١٩٣	{وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ..}	٧-٨	١٤٠

٤٦- سورة الأحقاف

١٩٤	{فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ ..}	٣٥	٨٥

٤٧- سورة محمد

١٩٥	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾}	٧	٩٣، ٩٧
١٩٦	{ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ..}	١١	٧٠
١٩٧	{فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن ..}	٣٥	٧٤

٤٨- سورة الفتح

١٩٨	{وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا ..}	٢٢-٢٣	١١
١٩٩	{سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ ..}	٢٣	٥٩
٢٠٠	{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ..}	٢٨	٩٣

٤٩- سورة الحجرات

٢٠١	{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ..}	١٥	٦٩

٥٢- سورة الطور

٢٠٢	{فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ ..}	٢٩-٣٠	١٠٦

٥٤- سورة القمر

٢٠٣	{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾}	١٧	١٤

٥٧- سورة الحديد

٢٠٤	{وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ}	٣	١٥٤

٥٨- سورة المجادلة

٢٠٥	{كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾}	٢١	١٣٢
٢٠٦	{لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ ..}	٢٢	١٥٠

٥٩- سورة الحشر

٢٠٧	{لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۭ ..}	١٤	١١٨

٢٠٨	{لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ..}	٢٠	٦٢
٢٠٩	{وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾}	٢١	٣٢

٦١- سورة الصف

٢١٠	{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ..}	٤	١٦٢
٢١١	{يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ..}	٧-٩	١٠٣
٢١٢	{يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ..}	٨	١١٥
٢١٣	{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ ..}	٩	١٠١، ١٠٥

٦٣- سورة المنافقون

٢١٤	{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ ..}	٥	١٣٩

٦٧- سورة الملك

٢١٥	{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴿٢﴾}	٢	٨٩

٦٨- سورة القلم

٢١٦	{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾}	٤	٨٠

٦٩- سورة الحاقة

٢١٧	{فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ ..}	٥-٨	١٦١

٧١- سورة نوح

٢١٨	{أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ..}	٣-٤	٧٧
٢١٩	{وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ ..}	٧	١٤٠

٧٣- سورة المزمل

٢٢٠	{وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾}	١٠	٤٢، ٨٩

٧٤- سورة المدثر

٢٢١	{إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ..}	١٨-٢٤	١٣٨

٧٩- سورة النازعات

٢٢٢	{فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾}	٢٤	١٣٥

٨٥- سورة البروج

٢٢٣	{قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ..}	٤-٨	٦٢
٢٢٤	{وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾}	٨	٥٨

٨٦- سورة الطارق

٢٢٥	{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ..}	١٧-١٥	١٢٧

٩٨- سورة البينة

٢٢٦	{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ..}	٥	١٥٤

١١١- سورة المسد

٢٢٧	{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾}	١	٤٣

ثانياً :- فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	((ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي))	١٥٧
٢	((إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض))	١٠١
٣	((إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُوا))	١٦٦
٤	((أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف))	٩٨
٥	((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا يظل إلا ظله الإمام العادل))	١٦٦
٦	((فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْت	٤٢
٧	((قد قلت وعليكم))	١١٤
٨	((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال إنّ الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس))	١٣٥
٩	((لاتَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))	٤٤
١٠	((لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))	٤٤
١١	((ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم))	١٥٩
١٢	((ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة))	١٦٦
١٣	((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))	٩٢
١٤	((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))	١٥٣
١٥	((من لا يشكُر النّاس لا يشكر الله))	ب
١٦	((مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله))	١١٤

ثالثاً : فهرس المراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة.
٣. ابن الأثير،أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت :٦٣٠هـ)، أسد الغابة ، المحقق :عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط : الأولى ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .
٤. الألوسي ، محمود أبو الفضل ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٥. باجودة ، حسن محمد ، تأملات في سورة الرعد.
٦. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ،تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ـ بيروت ، ط : الثالثة ، ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م .
٧. البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، المحقق :عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
٨. أبو البقاء الكفومي ، أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .
٩. البهي ، محمد ، من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ، مكتبة وهبة ، ط الأولى ،١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .
١٠. البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة ، دار الفكر ، دمشق ، ط : ٢٠٠٣م .
١١. البيضاوى ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الفكر ـ بيروت.
١٢. البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ،ط : الأولى ، ١٤١٠هـ .
١٣. الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ) ، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٤. التونسي ، محمد خليفة ، بروتوكولات حكماء صهيون ، أعده وقدم له ، محمد خليفة ، ط : الخامسة ١٩٨٠م .
١٥. ابن تيمية ، تقي الدين أحمد (ت : ٧٢٨هـ) ، مجموع الفتاوى ، المحقق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية ، طبعة : ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
١٦. الجرجاني ،علي بن محمد بن ، التعريفات ،تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت .

١٧. الجزائري ، أبو بكر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .
١٨. الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي ، تفسير أحكام القرآن ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ .
١٩. الجندي، أنور ، بماذا انتصر المسلمون ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الثالثة ١٤٢٠هـ .
٢٠. ابن الجوزي ، أبوالفرج جمال الدين عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ط : الأولى ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ م .
٢١. الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى ، ١٤١١هـ .
٢٢. ابن حجر العسقلاني ،أحمد بن علي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ،دار الجيل - بيروت ، ط : الأولى ، ١٤١٢هـ .
٢٣. ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر بيروت، ط : الأولى ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
٢٤. الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر - بيروت.
٢٥. الحميد ، حسن بن صالح ، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط : الثانية ، ١٤٣٢هـ .
٢٦. أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ، البحر المحيط ،تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م .
٢٧. الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر - بيروت - لبنان ،١٣٩٩ هـ =١٩٧٩م
٢٨. خطاب ، محمود شيت ، الرسول القائد ، دار الفكر، ط : الخامسة ، ١٩٧٤م .
٢٩. الخطيب ، شريف ، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض ، ط : الأولى ، ٢٠٠٤م .
٣٠. الخطيب ، محمد عبد الله ، دستور النصر والهزيمة ، دار المنار ، ط : الثانية ،١٤١١هـ
٣١. ابن دريد ، الجمهرة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط : الأولى ١٩٨٧م
٣٢. الذَهَبي ، أبوعبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء ، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٣٣. الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م .
٣٤. الراغب الأصفهاني ، الحسن بن محمد ، مفردات ألفاظ القرآن ، دار القلم - دمشق .

٣٥. الرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ـ بيروت.
٣٦. رضا ، السيد محمد رشيد (ت ١٣٥٤هـ) ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط : ١٩٩٠م .
٣٧. الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ـ دمشق ، ط : الثانية ، ١٤١٨هـ .
٣٨. الزركلي ، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط : السادسة ، ١٩٨٤م .
٣٩. زكي ، رمضان خميس ، مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم.
٤٠. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة ، ط : ١٩٩١م.
٤١. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط :١٤٠٧ هـ .
٤٢. أبو زهرة ، محمد ، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العامة والإفتاء والدعوة الإرشاد ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، ط : ١٤٠٤هـ .
٤٣. زيدان ، عبد الكريم ، أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : الثانية ١٩٨٧م .
٤٤. زيدان ، عبد الكريم ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، مؤسسة الرسالة، ط : الثالثة ، ٢٠٠٢م .
٤٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط : الأولى ١٤٢٠هـ =٢٠٠٠ م .
٤٦. أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٤٧. سعيد حوى، الأساس في التفسير ، دار السلام ـ القاهرة ، ط : الأولى ، ١٤٠٥هـ .
٤٨. السفاريني ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت:١١٨٨هـ) ، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، مؤسسة قرطبة ـ مصر،الطبعة : الثانية ،١٤١٤هـ =١٩٩٣م .
٤٩. السلمي ، محمد صامل ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار الوفاء ـ المنصورة ، ط : الأولى ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
٥٠. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر ـ بيروت ، ١٩٩٣م .
٥١. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ـ بيروت.

٥٢. الشريف ، محمود ، الأمثال في القرآن ، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ، ط : الرابعة ، ١٩٨٥م .
٥٣. الشعراوي، محمد متولي ، تفسير الشعراوي (نسخة المكتبة الشاملة).
٥٤. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار (ت : ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ـ لبنان ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥م .
٥٥. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر – بيروت.
٥٦. الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني ، بدون طبعة (الشاملة) .
٥٧. الصابوني ، محمد علي ، مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم ـ بيروت ، ط : الثالثة ، ١٩٨١م .
٥٨. صالح بن عواد المغامسي ، الأيام النظرة والسيرة العطرة .
٥٩. الصواف ، محمد محمود ، أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، دار الاعتصام ، دون طبعة.
٦٠. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط : الأولى ،١٤٢٠هـ .
٦١. طنطاوي ، محمد سيد ، التفسير الوسيط ، دار نهضة مصر ـ القاهرة ، ط : الأولى .
٦٢. ابن عاشور ، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ) ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية تونس ،١٩٨٤ هـ .
٦٣. عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار المعرفة – بيروت ط : الرابعة ،١٤١٤هـ .
٦٤. ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت:٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،المحقق:علي محمد البجاوي، دار الجيل ـ بيروت ط : الأولى ، ١٤١٢هـ .
٦٥. عبد الله قادري الأهدل ، السباق إلى العقول ، بدون طبعة .
٦٦. ابن عجيبة ، أبو العباس أحمد بن محمد ، البحر المديد ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط : الثانية ،١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م .
٦٧. ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ،ط : الثامنة ،١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
٦٨. عزام ، عبد الله ، العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، مكتبة الأقصى ـ عمان ، ط : الثالثة ، ١٤٠٠هـ .
٦٩. علوان ، عبد الله ، صلاح الدين الأيوبي ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط : السابعة ، ١٤٠٨هـ .

٧٠. الغزالي ،أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ـ بيروت.
٧١. الغضبان ، منير محمد ، من معين التربية الإسلامية ، مكتبة المنار ـ الأردن ، ط:الثانية ١٤٠٢هـ .
٧٢. الغلبزوري ، توفيق بن أحمد ، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم.
٧٣. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، المحقق : عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب ، ط : ١٤٢٣ هـ .
٧٤. أبو الفرج ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.
٧٥. الفيومي ،أحمد بن محمد بن علي المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ،المكتبة العلمية ـ بيروت .
٧٦. القرضاوي ، يوسف ، الإيمان والحياة ، مكتبة وهبة ، ط :الثانية عشرة ٢٠٠٢م .
٧٧. القرضاوي ، يوسف ، النية والإخلاص ، دار الفرقان، ط : الأولى ، ١٤١٧هـ .
٧٨. القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ـ الرياض، طبعة : ١٤٢٣هـ . وطبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، لبنان، ط : الأولى ، ٢٠٠٢م.
٧٩. قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ط : دار الشروق .
٨٠. قطب ، محمد ، شبهات حول الإسلام ، ط : الحادية عشرة ، نسخة الشاملة .
٨١. قلعجي ، محمد رواس ، موسوعة فقه ابن تيمية ، دار النفائس .
٨٢. ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر .
٨٣. ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت ـ الكويت الطبعة : الرابعة عشر ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .
٨٤. ابن القيم ، ، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م
٨٥. ابن القيم ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، تحقيق : زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٨٦. ابن القيم ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٣هـ .
٨٧. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ـ بيروت.
٨٨. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط : الثانية ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩ م.

٨٩. ابن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق :محمد بيومي وأخرون، مكتبة الإيمان- المنصورة.
٩٠. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، أعلام النبوة ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى ، ١٩٨٧م .
٩١. المباركفوري ، صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، ط : الثانية ، ١٤١١هـ .
٩٢. المراغي ، أحمد مصطفى (المتوفى سنة ١٩٥٢م) ، تفسير المراغي ، مكتبة مصطفى البابي ،ط : الأولى ،١٩٤٦م .
٩٣. مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١) ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٩٤. مشهور ، مصطفى ، زاد على الطريق ، ط : ١٤١٦هـ .
٩٥. المناوي ،محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، ط : الأولى ، ١٤١٠هـ .
٩٦. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، ط : الأولى .
٩٧. نخبة من العلماء ، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط : الأولى ، ١٤٢١هـ .
٩٨. الندوي ، أبو الحسن علي الحسني ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، مكتبة الإيمان (الكتاب نسخة للشاملة).
٩٩. النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق : مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥م.
١٠٠. النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، المنهاج شرح صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت،ط الثانية ، ١٣٩٢هـ .
١٠١. هارون ،عبد السلام ، تهذيب سيرة ابن هشام ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الرابعة عشرة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .
١٠٢. ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر - بيروت ، ط :السادسة ، ١٩٨٥.
١٠٣. الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، أسباب نزول القرآن ، المحقق : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الصلاح - الدمام ، ط : الثانية ، ١٤١٢هـ .
١٠٤. الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، الدار الشامية - دمشق ، ط : الأولى ، ١٤١٥هـ
١٠٥. يوسف ، محمد السيد ، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط : الأولى ، ١٤١٨هـ.

المجلات :

١- الخضيري ، عبد العزيز ، الثبات على الحق في ضوء القرآن ، مجلة العلوم الشرعية ، جامعة القصيم ، المجلد الأول ، العدد الأول ، سنة النشر ، ٢٠٠٨م .

٢- خصاونة ، عماد عبد الكريم ، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل ، مجلة المنارة ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني ، سنة النشر ، ٢٠٠٩م

الأبحاث :

اللوح ، عبد السلام حمدان ، القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل ، غزة ، بحث مقدم إلى مؤتمر " الإسلام والتحديات المعاصرة " ،المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ، في الفترة : ٢-٣ / ٤ / ٢٠٠٧م .

المواقع الالكترونية (إنترنت):

١- موقع الألوكة . http://www.alukah.net/Persona

٢- موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/book/index.php

رابعاً : فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
ملخص البحث باللغة العربية	د
المقدمة	هـ
سبب اختيار هذا البحث و أهميته	و
أهداف البحث	و
الجهود والدراسات السابقة	و
منهج الباحث	ز
محتوى البحث	ح
الفصل الأول (السنن الإلهية (تعريفها وأهميتها وخصائصها)	١
المبحث الأول:تعريف السنة الإلهية لغة واصطلاحاً .	٢
المطلب الأول :مفهوم السنة في اللغة .	٢
المطلب الثاني :مفهوم السنة الإلهية في الاصطلاح .	٣
المطلب الثالث : السنة في القرآن الكريم .	٥
المبحث الثاني : أهمية دراسة السنن الإلهية والسبيل لمعرفتها.	١٢
المبحث الثالث : مميزات السنن الإلهية وخصائصها.	١٧
الخاصية الأولى: عدم التبدل أو التحول (الثبات).	١٧
الخاصية الثانية: حتمية الوقوع والنفاذ.	٢٠
الخاصية الثالثة: الشمولية(العموم).	٢٢
الفصل الثاني :الصراع بين الحق والباطل	٢٥
المبحث الأول :التعريف بالحق والباطل .	٢٧
المطلب الأول :الحق في اللغة والاصطلاح والقرآن .	٢٧
أولا: الحق في اللغة.	٢٧
ثانياً:الحق في الاصطلاح.	٢٧
ثالثاً : الحق في القرآن.	٢٧
المطلب الثاني :الباطل في اللغة والاصطلاح والقرآن .	٢٩
أولاً:الباطل في اللغة.	٢٩
ثانياً : الباطل في الاصطلاح.	٢٩
ثالثاً:الباطل في استعمال القرآن.	٢٩
المبحث الثاني :طبيعة العلاقة بين الحق والباطل .	٣٠
المطلب الأول :الأمثال التي ضربها الله ﷻ للحق والباطل .	٣٠
المثل الأول.	٣١
المثل الثاني.	٣٢
دروس وعبر من هذيْن المثليْن.	٣٤
المطلب الثاني :الصراع بين الحق والباطل قديم .	٣٦
قصة موسى عليه السلام مع فرعون (مثال على الصراع بين الحق والباطل)	٤٣
وقفة مع مؤمن آل فرعون	٤٤

تحدي فرعون لموسى عليه السلام بالسحر والسحرة .	٤٥
إيمان السحرة بعد أن غلبوا من موسى عليه السلام.	٤٦
انتقام الله عز وجل من فرعون وجنوده.	٤٩
ظنون خاطئة.	٥١
المطلب الثالث :الصراع بين الحق والباطل عقدي	٥٣
عاقبة الصراع في الدنيا والآخرة.	٥٥
الفصل الثالث:- صفات أهل الحق، وصفات المنكرين له .	٦١
المبحث الأول: صفات أهل الحق :-	٦٢
المطلب الأول: الإيمان وقوة العقيدة.	٦٢
الإيمان سبب الحياة الطيبة.	٦٦
الإيمان يجلب النصر للمؤمنين.	٦٧
بالإيمان والتقوى يحصل الرخاء.	٦٨
التمكين والاستخلاف في الأرض لأهل الإيمان.	٦٩
لا سبيل للكفر على الإيمان.	٦٩
المطلب الثاني:- الطاعة لله ورسوله .	٧١
أهم ثمرات طاعة الله ورسوله.	٧٣
أثر الطاعة على نصرة أهل الحق.	٧٤
خلاصة.	٧٥
المطلب الثالث:- الأخلاق الحسنة.	٧٥
تعريف الأخلاق وأهميتها.	٧٨
أولاً:- تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً.	٧٨
الأخلاق لغةً.	٧٨
تعريف الأخلاق اصطلاحاً.	٧٨
ثانياً :- أهمية الأخلاق.	٧٨
خُلُق الصبر .	٧٩
أولاً:- تعريف الصبر لغة واصطلاحا.	٧٩
ثانياً:- حقيقة الصبر.	٧٩
ثالثاً:- أنواع الصبر.	٨١
الصبر صفة من صفات أهل الحق.	٨٢
المطلب الرابع:- الدعوة إلى الله ﷻ ونصرة الدين.	٨٥
الدعوة والنصرة صفة لأهل الحق.	٨٧
تعريف الدعوة إلى الله .	٨٧
تعريف نُصرة الدين.	٨٧
خطورة ترك الدعوة والنصرة .	٩٠
المطلب الخامس :- الثبات رغم حالة الضعف.	٩٢
وجوب الثبات في أرض المعركة :	٩٢
تحريم الفرار من المعركة وعقوبته:	٩٥
وسائل الثبات على الحق:	٩٥
١-الإخلاص لله تعالى.	٩٦
٢-ذِكْرُ الله عز وجل.	٩٦
٣-التفاؤل بمستقبل الإسلام المشرق.	٩٦

٤ـدراسة السيرة النبوية وقصص الأولين.	٩٧
المبحث الثاني :المنكرون لدعوة الحق :-	٩٨
المطلب الأول :المشركون	٩٩
مواقف المشركين العدائية تجاه دعوة الحق.	١٠١
المطلب الثاني :المنافقون	١٠٢
خطورة النفاق	١٠٣
صفات المنافقين	١٠٤
أولاً :- الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء والاستياء بما يمكّن الله لهم.	١٠٤
ثانياً :- موالاة الكافرين:	١٠٥
ثالثاً :- كراهية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى:	١٠٦
رابعاً :- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخل ونسيان الله تعالى:	١٠٦
خامساً :- التبطيء عن المؤمنين والتشفي بهم بعد الهزائم:	١٠٧
سادساً:- إشاعة الأراجيف وبث الإشاعات:	١٠٧
المطلب الثالث :اليهود	١٠٨
أولاً :- قلة أدبهم مع الخالق ـ تبارك وتعالى ـ، ومع أنبيائه.	١٠٨
ثانياً:- هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا.	١٠٩
ثالثاً :- نقضهم العهود والمواثيق:	١١٠
رابعاً :- تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:	١١٢
خامساً :- حبهم الحياة، وحرصهم عليها	١١٢
المطلب الرابع :النصارى	١١٤
الفصل الرابع:- التدافع بين الحق والباطل(ماهيته وأسبابه).	١١٦
المبحث الأول : ماهية التدافع بين الحق والباطل.	١١٧
المطلب الأول :معنى التدافع.	١١٧
المطلب الثاني :النصوص القرآنية التي ورد فيها التدافع .	١١٧
المطلب الثالث : آثار سنة التدافع.	١١٩
المطلب الرابع: ملامح التدافع بين الحق والباطل .	١٢١
المطلب الخامس: إستراتيجية التدافع بين الحق والباطل .	١٢٣
المبحث الثاني :- أسباب التدافع بين الحق والباطل .	١٢٧
المطلب الأول :الكبر	١٢٧
أولًا :الكبر لغةً واصطلاحاً.	١٢٧
ثانياً أمثلة قرآنية على الكبر.	١٢٨
المطلب الثاني :الحسد	١٣٣
المطلب الثالث :انحراف الأهواء	١٣٥
الفصل الخامس: أسباب النصر ومعوقاته:	١٣٩
المبحث الأول : من أهم أسباب النصر:	١٤٠
المطلب الأول :التربية على العقيدة السليمة.	١٤٠
المطلب الثاني :الولاء والبراء.	١٤١
المطلب الثالث:حب الجهاد والرباط والاستشهاد في سبيل الله.	١٤٣
المطلب الرابع: التوكل على الله.	١٤٦
المطلب الخامس: الإعداد الجيد وبذل الجهد.	١٤٨
المبحث الثاني: معوقات النصر(أسباب الهزيمة):	١٥٢

المطلب الأول :ارتكاب الذنوب والمعاصي.	١٥٢
المطلب الثاني :التنازع والاختلاف والفرقة.	١٥٤
المطلب الثالث:اليأس والقنوط.	١٥٦
المطلب الرابع: غياب القيادة الراشدة .	١٥٧
خاتمة البحث.	١٦٠
الفهارس العامة:-	١٦٢
أولاً : فهرس الآيات القرآنية	١٦٣
ثانياً :فهرس الأحاديث النبوية	١٧٥
ثالثاً :فهرس المراجع	١٧٦
رابعاً :فهرس الموضوعات	١٨٣
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	١٨٧

Divine laws in the conflict between truth and falsehood - Quranic study

Prepared By
Student: Murtada Mohammad Az-Zagharni
Supervised By:
Dr. Harun Kamil Ash-Sharabati- May Allah protect him-

Abstract

This research includes an introduction , five chapters and a conclusion. In the first chapter, I talked about the meaning of the divine laws in terms of the linguistic meaning and the technical meaning and the importance of the study of these laws . Then I demonstrated the features and the characteristics of the divine laws.

In the second chapter, I addressed the meaning of truth and falsehood in terms of the linguistic meaning and the technical meaning. Then I talked about the nature of the relationship between truth and falsehood. In this paper, I mentioned some Koranic examples given by God - the Almighty - for each of truth and falsehood, and then I demonstrated that the conflict between truth and falsehood is an old ideological conflict.

In the third chapter, I addressed Some attributes of the right people (the believers in God) and its importance, and in the second section I talked about the deniers of the right call who are the polytheists , hypocrites, Jews and Christians.

In the fourth chapter, I discussed what a conflict is in terms of its meaning , its effects and features. In the second part, I mentioned some of the reasons for the conflict between truth and falsehood.

In the fifth and final chapter, I demonstrated the reasons for victory in the first section, and then moved to the second sectiont to talk about the obstacles to victory (the reasons for the defeat). Finally, I concluded the study by the most important findings and recommendations.